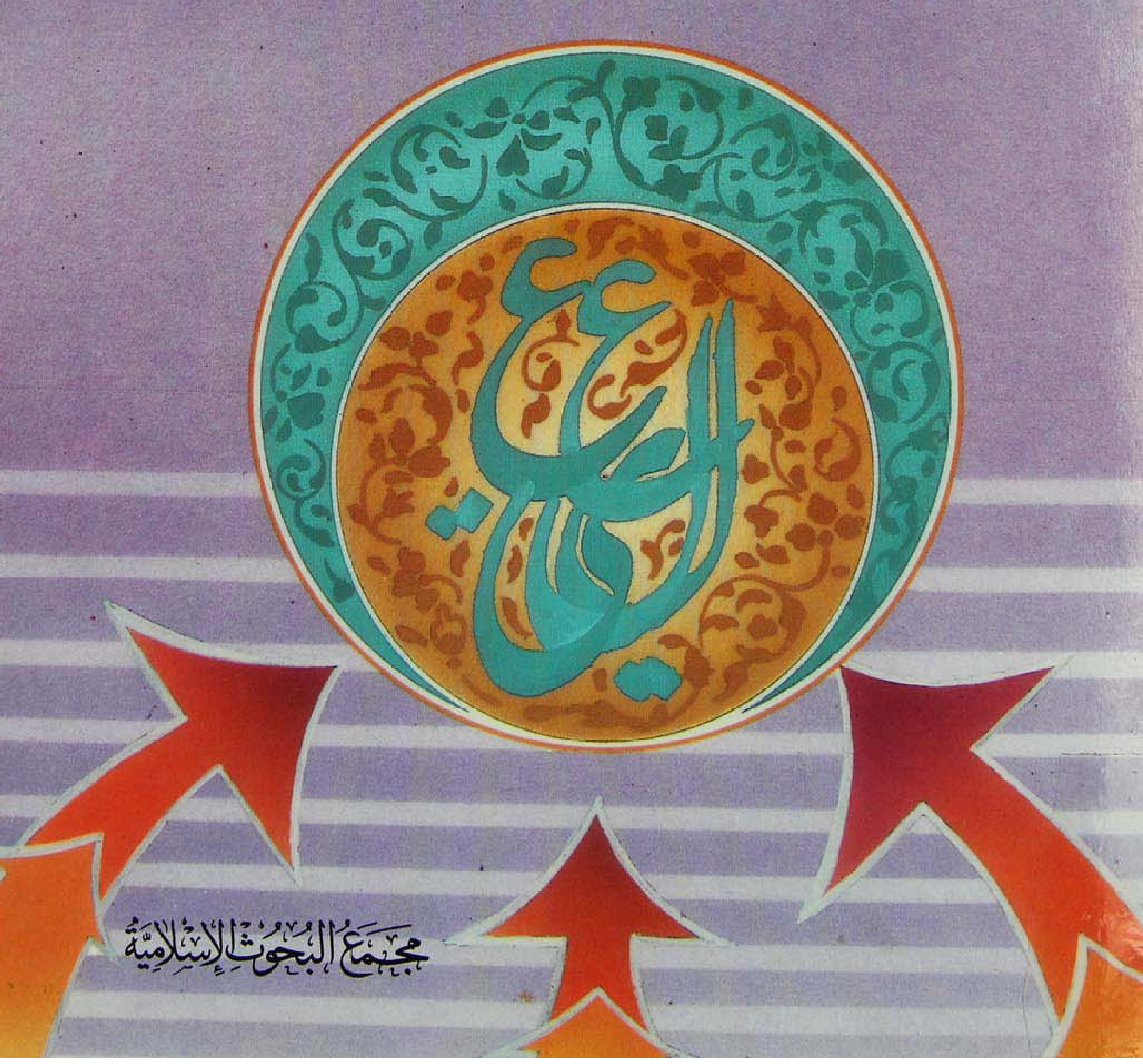
طالب السنجري

الفِتن الكُبرى

النّاكثونَ والقاسِطونَ والمارقونَ



مجمع البحوث الإسلامية




بسم الله الرحمن الرحيم

الفِتَنُ الكُبرى

النّاكِثونَ والقاسِطونَ والمارقون



طالب السّنجري



الكتاب : الفتن الكبرى، **الناكثون والقاسطون والمارقون**

المؤلّف : طالب السنجري.

الناشر : مجمع البحوث الإسلامية للدراسات والنشر.

الطبعة : الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م

العنوان : بيروت ـ لبنان، ص.ب. ٦٤٨٦ / ١١٣ ـ الحمراء هاتف مع فاكس 837507.

١ ـ الناكثون

وقعة الجمل:

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمّد صلّى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين.

وبعد:

فهذه محاولة استعرضت فيها أحداث وقعة الجمل التي حاكها الناكثون للعهد الناقضون للميثاق والبيعة مع عليّ عليه السلام الذي يمثل رسول الله ﷺ في هديه وهواه وفهمه. مبتعداً عن التحليق في التحليل تاركاً للقارىء ذلك من خلال النصوص الّتي أعنته على ترتيبها موفراً له الوقت في الاختصار ليعيد إلى ذاكرته كم لنكث البيعة ونقض العهد من آثار سلبية على سير الإسلام في الحياة. ثمّ لينظر أن هذه الحركة الناكثة الّتي عاشت مع الإسلام في سنيه الأولى لم تعدو أن تكون فيما بعد معلماً للنفاق والردّة عن الدّين.

أعاذنا الله تعالى من الردّة والنكوص والانكفاء، ووفقنا لأنْ نكون مع عليّ وآل عليّ معالم الهداية والحبّ والخير والصلاح.

والحمد لله ربّ العالمين

طالب السنجري

المستقبل القريب

قرأ عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ المستقبل من خلال رؤاه الثابتة والقائمة على العلم الإلهي المخزون عنده، فكان يرى الأحداث ويصحر بها من دون أن تؤثر في حركته باتجاه تحريك الأمّة وتثويرها، وإلاّ فغير عليّ الذي يقف على ما في كتاب الحياة المفتوح على مستقبلها الذي تتجاذبه أحداث لا تثبت عليه العقول ولا تقوم له القلوب فإنه ينكفأ ويقبع في زاوية من زوايا بيته، بدون أن يشارك في هذا الخضم المتلاطم.

ولكنّ الحياة بتقلباتها المريرة شهدت لعليّ المواقف الجسورة والإقدام الرائد واللّياقة على شقّ أمواج الحياة وفقأ عين الفتن، ذلك أنه الراعي والمسؤول الأوّل بعد رسول الله ﷺ على هذه الأمّة الّتي مزّقها فيما بعد الابتعاد عن هذا النبع الزلال والمنهج الربّاني السليم وكذلك الإهمال المتعمّد من قبل الحكومات المتعاقبة على كرسيّ السلطة بما تحمل من روح قبلية وعنصرية لا تنسجم مع الإسلام في تطلّعاته الإنسانية.

أضف أنّ هناك حالات بدت وكأنّها ثوابت عند جمهور من الناس هو الوقوف على خزعبلات الموقف لدى الخليفة الثالث عثمان أولاً وثانياً الحركة السريعة لأعداء الإسلام فيما هو التعايش السليم الذي دخلت فيه اليهودية والمسيحية بيوت الخليفة ومن يدور في فلكه، وفي هذا إنذار لتمزيق الأمّة وانقضاض عليها وعزل الإسلام عن الحياة وإقباره متى يجدوا إلى ذلك سبيلاً.

علماً أنّ علياً عَلَيْهِ السَّلَامُ كان ينتظر لعلّ هناك من يستفيق فيستلم زمام المبادرة في حركة تصحيحية شاملة فتسدّ الأبواب بوجه من يريد سوءً بالإسلام وأهله.

ولمّا لم تر الأمّة غيره من يقوم بهكذا عمل اختارته دون سواه خليفة لإيمانها بأنّه الجدير بها والخليق والأقوى في مواجهة الصّراع الذي يعود برسم جاهلي مقيت فتكاثروا عليه يطلبون مبايعته، فأبى وامتنع، ليعلم صراحة لماذا غشوه أولاً،

وما هي الأسباب الّتي دفعتهم عبر هذا الاهتمام والهمّ الدائم.

فلمّا أن بيّنوا رأيهم في ذلك قبل منهم ليبقى الإقرار ملزماً لهم في خطّ إمامته وخلافته، وتبقى الكلمة مسؤولة عندما يحتدم الصّراع وقد لا يكسبوا الموقف لصالحهم في وقت قصير فقال عليه السلام:

دعوني والتمسوا غيري فإنّا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان لا تثبت عليه العقول ولا تقوم له القلوب.

قالوا له: ننشدك الله ألا ترى الفتنة ألا ترىٰ ما حدث في الإسلام؟ ألا تخاف الله؟

فقال: قد أجبتكم لما أرىٰ منكم واعلموا أنّي إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم وإن تركتموني فإنّما أنا كأحدكم بل أنا أسمعكم وأطوعكم لمن ولّيتموه أمركم.

فقالوا: ما نحن بمفارقيك حتّىٰ نبايعك.

قال: إن كان لا بدّ من ذلك ففي المسجد إنّ بيعتي لا تكون خفياً ولا تكون إلاّ عن رضا المسلمين وفي ملاء وجماعة[1].

إذن فعليّ عليه السلام أمام حالات منها درايته ورؤيته عن المستقبل وما يتمخض عن أحداث جسام، ومنها الواقع الإسلامي الّتي مزّقته الخلافة عبر ممارساتها وترهلاتها ومنها: مناشدة المسلمين له حيث لا يرون إلاّ إيّاه لا باعتباره الجامع لمواصفات الكمال بل باعتباره الأقوىٰ في ردم المفاسد والقضاء على التسيب الذي تجتمع كلمة الناس جميعاً في القضاء عليه. وإلاّ فالواقع الذي عاشه عليّ عليه السلام في تلك الفترة تتوزعه بيوتات لها الشأنيّة في المدينة وتتعامل مع الإسلام وأحداث الحياة من وجهة نظرها وهناك مظلومون عاشوا حياة بائسة حزينة شعروا بالضعف أمام هذه الوجودات طول وجود الخلافة التي كانت تقرّ لهم بهكذا حياة.

ولهذا فعليّ عليه السلام حين أراد المسلمون مبايعته فباعتباره من الستة أهل الشورىٰ أولاً، وانحياز الطبقات الضعيفة والواعية إليه باعتباره الأمل المنشود لهم بعد كلّ حدث يتسنىٰ لهم فيه اختياره وانتخابه ثانياً.

---

(١) انظر تاريخ الطبري: ٤/ ٤٣٤.

وكان لأهل الوجودات الأخرىٰ تحفظها الواضح وإن بايعوه إلاّ أنّ عليّ بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ كان ينتظر منه وهو في ظلّ ظروفه غير الطبيعية أن يصانع هذه الوجودات ولو إلىٰ فترة، إلاّ أنّنا رأيناه وفي أوّل كلمة له أصحر بحقيقة ما يحتفظ به لأنّه يعلم حقّاً أنّ الوجودات الّتي وقفت للدعوة في أبان أمرها هي نفسها اليوم تعيش معه وبمستوى الروح العدوانية تجاه أي صفاء ونقاء إسلامي.

وكان له معهم وبأسلوب واضح كشف الواقع وقراءة المستقبل القريب وما تتجاذبه من طوارق ودواهي ليهتدي ويرعوي من اهتدىٰ عن بيّنة ويضلّ من ضلّ عن بينة.

ذمّتي بما أقول رهينة وأنا به زعيم أنّ من صرّحت له العبر عمّا بين يديه من المثلات حجزته التقوىٰ عن تقحّم الشبهات.

ألا وإنّ بليّتكم قد عادت كهيئتها يوم بعث الله نبيه ﷺ والذي بعثه بالحقّ لتبلبلنّ بلبلة ولتغربلنّ غربلة ولتسلطنّ سوط القدر حتّىٰ يعود أسفلكم أعلاكم وأعلاكم أسفلكم وليسبقنّ سابقون كانوا قصّروا وليقصرّن سبّاقون كانوا سبقوا والله ما كتمت وشمة[(١)] ولا كذبت كذبة ولقد نبّئت بهذا المقام وهذا اليوم.

ألا وإنّ الخطايا خيل شمس حمل عليها أهلها وخلعت لجمها فتقحمت بهم في النار.

ألا وإنّ التقوىٰ مطايا ذلل حمل عليها أهلها وأعطوا أزّمتها فأوردتهم الجنّة[(٢)].

هذا هو عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ في إشاراته الهادية ومكاشفاته لأهل البصيرة والوعي وقراءته لمستقبل الأمّة القريب والبعيد.

إذن فموقفه واضح ولمن يريد أن يخطو خطوة في طريق الله وخلاص الأمّة من واقعها المرير عليه أن يهضم ذلك ويمتثله كأقوىٰ من ترى الأحداث مصارعاً لها ومقاوماً لأعاصيرها الهوجاء. ولهذا تساقط المترفون الضعاف ومن لا يقوىٰ علىٰ عراك الحياة فمنهم من رضي لنفسه بالذلّ فقبع في بيته ينتظر فرجاً ومنهم اشترىٰ الحياة الدنيا.

فمن كلّ ما تقدّم من كلام لأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يتخلّص في القضاء

---

(١) الوشمة: الكلمة.

(٢) نهج البلاغة خطبة: ١٦.

على الروح القبلية والروح العنصرية التي نمت وترعرعت في أحضان الخلافة بعد أن هجعت طويلاً عندما جاء الإسلام.

لأنّ هذه الروح القبلية الّتي كانت تهدف إلى انقسامات المجتمع الإسلامي لتبقىٰ هي بأشخاصها القائمين علىٰ بعثها وتحريكها تمثّل الإمتداد الحيّ لحركة الإشكال القديمة الجاهليّة.

وبالتالي فإن لاقت حظّاً ونجاحاً فإنّها ستديل وتضعف مؤسسة الخلافة الجديدة الّتي تعلن الإسلام هو المنهج والمحور الذي تدور عليه رحى العلاقات الإنسانية.

إذن لماذا رفض في أوّل الأمر عندما غشوه الناس يطلبون بيعته؟

رفض الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ ذلك لأنّه كغيره كان يرقب مسيرة هذا المجتمع تلك المسيرة المتعثرة، فلعلّ هذا المجتمع بعد هذا الانحطاط الذي مرّ به أن يمرّ بمرحلة انتقالية إلىٰ حيث القيم والمثل الإسلامية العليا، وإذا حدث مثل ذلك عبر موج جماهيري عارم وثورة شعبية تعصف بآمال رؤساء القبائل والتجمعات العنصرية وبالتالي فهو فرد قائم علىٰ مدرسة يشارك هذا الهيجان الذي سيمحض عن شيء مقبول. وستأتيه الخلافة بدون أن يلاقي تأليباً من مراكز قوى جاهلية.

أضف إلىٰ أنّ الإمام حين رفض الخلافة في أوّل الأمر لشعوره بأنّ هذا الهيجان باتجاه التصحيح لا يسعه أن يلبّي طموح الناس ومراكز الدولة قد استشرىٰ فيها الرأي العقيم القائم علىٰ الانتماء إلى القبيلة إن لم نقل علىٰ التفاهم في عرقلة حركة الإسلام من خلال هذه المراكز. وهذا إن لاحظناه بعمق وجدناه علىٰ رؤوس القوم من الرعيل الأوّل والقيادات الفوقية في المجتمع.

أمّا القيادات من الدرجة الثانية فهي وإن لم ترغب المشاركة مع هذا الطفح إلاّ أنها لاذت بالصّمت وهو تعبير عن التأييد المبطّن له ولكنه متحفّظاً ولهذا يشير الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ إلىٰ هؤلاء الصنف من الناس:

«خذلوا الحقّ ولم ينصروا الباطل»[1].

---

(١) نهج البلاغة: باب الحكم/ ١٨.

وكان لهؤلاء ولاء خاص من قبل الناس علىٰ أساس أنّهم رموز في قبائل وقادة في تجمّعات ولهم صحبة مع رسول الله ﷺ كما من قاد الحركة الناكثة أيضاً.

ولهذا لا يصدّق أحد من الناس أنّ الذين خرجوا علىٰ عليّ عليه السلام بما يملكون من هذه الملاكات الّتي تشيع وتفسح لهم في مجتمعهم خصوصيات التقدمة والفضيلة أنّهم علىٰ ضلال.

نعم قليل من الأمّة من لم يعر أهمية لهذه الملاكات إلاّ ملاك التقوىٰ والعمل والموالاة وتقديم مصلحة الأمّة والإسلام علىٰ غيرها من المصالح.

ولقد واجه الإمام عليه السلام هذا النمط من الاستفسارات حول هذه الوجودات قال له الحارث بن حوط: أتراني أظنّ أصحاب الجمل كانوا علىٰ ضلالة؟ قال له الإمام عليه السلام:

«يا حارث إنّك نظرت تحتك ولم تنظر فوقك فحرت إنّك لم تعرف الحقّ فتعرف من أتاه ولم تعرف الباطل فتعرف من أتاه».

ولم يهضم الحارث هذه القاعدة ولم يستجب لها لأنّها ستحدّد له موقفاً يخرجه عن إطار قبيلته وتعارفاته.

فقال له: فإنّي أعتزل مع سعد بن مالك وعبد الله بن عمر.

فأجابه عليّ عليه السلام:

«إنّ سعداً وعبد الله بن عمر لم ينصرا الحقّ ولم يخذلا الباطل»[(1)].

ثمّ حذّر أمير المؤمنين عليه السلام من مآسي عظيمة ستنزل بالأمّة ولا تبقي أحداً فمن فساد اجتماعي إلىٰ مسخ حضاري لأنّ هذه البلية المتمثلة في الوجود الجاهلي المموه بالإسلام قد عاد كما كان في عهده الجاهليّ.

وطبيعي لمن لا يملك وعياً للتاريخ ولا إدراكاً بما ستؤول إليه الأمّة لا يجد في ذاته دفعاً ومرارة باتجاه عليّ عليه السلام.

---

(١) نهج البلاغة: باب الحكم/ ٢٦٢.

(٢) نهج البلاغة: خطبة/ ٣٣.

ولمّا إن بدأت الحياة في ظلّ الخلافة الجديدة التي تتّسم بالعمق والحرص على الإسلام التجأ إليها الغيارىٰ علىٰ الدين والمضحين دونه ممّن كانوا علىٰ عهد رسول الله ﷺ في خطّ الإسلام الواضح.

وقد عبّر الإمام عليه السلام عن هذه الروح وتلك الوقفة في الحياة عن نفسه بما هو المصداق الماثل لكلّ خطوة باتجاه الله تعالىٰ فقال:

«مالي ولقريش! والله لقد قاتلتهم كافرين ولأقاتلنّهم مفتونين وإنّي لصاحبهم بالأمس كما أنا صاحبهم اليوم»[1].

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢/ ٥٩٩.

منطق الخليفة الجديد

لمّا بويع عليّ عليه السلام في المسجد وغطّت الأفراح محيا المحرومين والحريصين على الإسلام كان لا بدّ لهذا الرئيس الجديد أن يخطب المسلمين، وللخطاب الأوّل له الأثر الكبير في النفوس ومنه يعرف الناس خطّة عمل الخليفة المنتخب كما هو المتعارف.

فصعد المنبر في اليوم الثاني من يوم البيعة وهو يوم السبت لإحدىٰ عشرة ليلة بقين من ذي الحجّة. فحمد الله وأثنىٰ عليه وذكر محمّداً فصلّىٰ عليه ثمَّ ذكر نعمة الله علىٰ أهل الإسلام ثمّ ذكر الدنيا فزهدهم فيها وذكر الآخرة فرغّبهم إليها ثمَّ قال:

أما بعد فإنّه لمّا قبض رسول الله ﷺ استخلف الناس أبا بكر، ثمَّ استخلف أبو بكر عمر فعمل بطريقه، ثمَّ جعلها شورىٰ بين ستّة فأفضىٰ الأمر منهم إلىٰ عثمان فعمل ما أنكرتم وعرفتم ثمَّ حصر وقتل ثمَّ جئتموني فطلبتم إليّ وإنّما أنا رجل منكم لي ما لكم وعليّ ما عليكم وقد فتح الله الباب بينكم وبين أهل القبلة فأقبلت الفتن كقطع اللّيل المظلم ولا يحمل هذا الأمر إلاّ أهل الصبر والبصر والعلم بمواقع الأمور وإنّي حاملكم علىٰ منهج نبيّكم ﷺ ومنفّذ فيكم ما أمرت به إن استقمتم لي والله المستعان.

ألا إنّ موضعي من رسول الله ﷺ بعد وفاته كموضعي منه أيّام حياته فامضوا لما تؤمرون به وقفوا عندما تنهون عنه ولا تعجلوا في أمر حتّىٰ نبيّنه لكم فإنّ لنا عن كلّ أمر منكر تنكرونه عذراً.

ألا وإنّ الله عالم من فوق سمائه وعرشه أنّي كنت كارهاً للولاية علىٰ أمّة محمّد ﷺ حتّىٰ اجتمع رأيكم علىٰ ذلك لأنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أيّما والٍ ولي الأمر من بعدي أقيم علىٰ حدّ الصّراط ونشرت الملائكة صحيفته فإن كان عادلاً أنجاه الله بعدله وإن كان جائراً انتقض به الصّراط حتّىٰ تتزايل مفاصله ثمَّ يهوي إلى النار فيكون أوّل ما يتقيها به أنفه وحرّ وجهه ولكنّي لمّا

اجتمع رأيكم لما يسعني ترككم.

ثمّ التفت يميناً وشمالاً فقال:

ألا لا يقولنّ رجال منكم غداً قد غمرتهم الدنيا فاتخذوا العقار وفجّروا الأنهار وركبوا الخيول الفارهة واتخذوا للوصائف الرّوقة فصار ذلك عليهم عاراً وشناراً إذا ما منعتهم ما كانوا يخوضون فيه وأصرتهم إلىٰ حقوقهم التي يعلمون فينقمون ذلك ويستنكرون ويقولون حرمنا ابن أبي طالب حقوقنا.

ألا وأيّما رجل من المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ يرىٰ أنّ الفضل له علىٰ من سواه لصحبته فإنّ له الفضل النيّر غداً عند الله وثوابه وأجره على الله وأيّما رجل استجاب لله وللرسول فصدّق ملّتنا ودخل في ديننا واستقبل قبلتنا فقد استوجب حقوق الإسلام وحدوده فأنتم عباد الله والمال مال الله يقسّم بالسّوية لا فضل فيه لأحد علىٰ أحد وللمتقين عند الله غداً أحسن الجزاء وأفضل الثواب لم يجعل الله الدنيا للمتقين أجراً ولا ثواباً وما عند الله خير للأبرار.

وإذا كان غداً إنشاء الله فاغدوا علينا فإنّ عندنا مالاً نقسمه فيكم ولا يتخلفنّ أحد منكم عربيّ ولا عجميّ كان من أهل العطاء أو لم يكن إلاّ حضر إذا كان مسلماً حرّاً أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم[(١)].

فلقد استعرض الإمام عليه السلام في هذه الخطبة الفاصلة وهذا المنطق الواضح أموراً هي في القمّة من التفكير في المرحلة الرّاهنة الّتي يعيشها المسلم آنذاك يبتغي من وراء ذلك إيقافهم علىٰ الخطأ وتدارك الخطأ إن هم يريدوا الحياة حرّة كريمة في ظلّ حكومته فمن استخلاف أبي بكر الذي كان استخلافه فلتة إلى مجيء عمر فاجتهد وشرّع وفعل ما فعل بوحي منه وبإرادة ليس لها علاقة بدين.

ثمّ استخلاف عثمان فعمل المناكير حتىٰ أنّ قطّاعاً من الناس كان بالأمس خاملاً استيقظ وثار عليه مع حفنة من أحرار الأمّة.

وكان أمير المؤمنين عليه السلام بعد مقتل عثمان يرىٰ أنّ سماء الإسلام ستتلفع بالسحب المظلمة بعضها فوق بعض ولا يتجاوزها إلاّ أهل الصبر والبصر والعلم.

ثمّ لا يعدو عليّ أن يتهادىٰ خلف رسول الله ﷺ في هديه وسمته ومنهاجه وسننه وسيرته.

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢/٥٩٩

ولقد عاش أُناس بعد رحيله ﷺ في ظلّ خلافة الخلفاء الثلاثة في حياة متميّزة فركنوا إليها واستعذبوها.

وأصبح عليّ عليه السلام بين أن يحرّك الواقع من خلال الإسلام الذي جاء به محمّد ﷺ وهو الذي تنتظره القطاعات الكبيرة المحرومة في الأمّة ويبقى لهؤلاء حياتهم الباذخة وفي ذلك ضياع المبادىء والإقرار بالفساد، وبين أن يقطع الطريق عليهم ويسوي الحياة علىٰ أساس عدالة السّماء وكان هذا الذي حدث.

فأهمّ ما يثير المترفين هو التسوية في العطاء وكان هو أوّل عمل عمله في اليوم الثاني ليصحر بالرافضين أمام الملأ من الناس علىٰ أنّهم أهل دنيا لا دين وأهل جاهلية لا إسلام.

يوم العطاء وبدء المعارضة

فلمّا كان من الغد غدا عليه السلام وغدا الناس لقبض المال، فقال لعبيد الله بن أبي رافع كاتبه ابدأ بالمهاجرين فنادهم وأعط كلّ رجل ممّن حضر ثلاثة دنانير ثمّ ثنّ بالأنصار فافعل معهم مثل ذلك. ومن يحضر من الناس كلّهم الأحمر والأسود فاصنع به مثل ذلك.

فقال سهل بن حنيف: يا أمير المؤمنين هذا غلامي بالأمس وقد أعتقته اليوم.

فقال: نعطيه كما نعطيك.

فأعطىٰ كلّ واحد منهما ثلاثة دنانير ولم يفضّل أحداً علىٰ أحد وتخلّف عن هذا القسم يومئذ طلحة والزبير وعبد الله بن عمر وسعيد بن العاص ومروان بن الحكم ورجال من قريش وغيرهم.

وسمع عبيد الله بن أبي رافع عبد الله بن الزبير يقول لأبيه وطلحة ومروان وسعيد أما خفي علينا أمس من كلام عليّ ما يريد؟

فقال سعيد بن العاص ـ والتفت إلىٰ زيد بن ثابت ـ إيّاك أعني واسمعي يا جارة.

فقال ابن أبي رافع لسعيد وابن الزبير: إنّ الله يقول في كتابه: **﴿ولكنّ أكثرهم للحقّ كارهون﴾**[1].

ثمّ إنّ ابن أبي رافع أخبر علياً عليه السلام بذلك، فقال عليه السلام:

«والله إن بقيت وسلمت لهم لأقيمنّهم على المحجّة البيضاء وللطريق الواضح قاتل الله ابن العاص لقد عرف من كلامي ونظري إليه أمس أني أريده وأصحابه

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ٤٣.

ممّن هلك فيمن هلك»[1].

ثمَّ إنّ الزبير وطلحة جلسا ناحية عن عليّ عليه السلام ثمّ طلع مروان وسعيد وعبد الله بن الزبير فجلسوا إليهما فتحدّثوا نجيّاً ساعة، ثمّ قام الوليد بن عقبة فجاء إلىٰ عليّ عليه السلام فقال:

يا أبا الحسن إنّك قد وترتنا جميعاً.. أمّا أنا فقتلت أبي يوم بدر صبراً وخذلت أخي يوم الدار بالأمس، وأمّا سعيد فقتلت أباه يوم بدر في الحرب وكان ثور قريش، وأمّا مروان فسخفت أباه عند عثمان إذ ضمّه إليه ونحن إخوتك ونظراؤك من بني عبد مناف ونحن نبايعك اليوم علىٰ أن تضع عنّا ما أصبناه من المال في أيّام عثمان وأن تقتل قتلته وإنّا إن خفناك تركناك والتحقنا بالشام.

فقال عليه السلام:

أمّا ما ذكرتم من وتري إياكم فالحقّ وتركم وأمّا وضعي عنكم ما أصبتم فليس لي أن أضع حقّ الله عنكم ولا عن غيركم.

وأمّا قتلي قتلة عثمان فلو لزمني قتلهم اليوم لقتلتهم أمس ولكن لكم عليّ إن خفتموني أن أؤمّنكم وإن خفتكم أن أسيّركم.

فقام الوليد إلىٰ أصحابه فحدّثهم وافترقوا علىٰ إظهار العداوة وإشاعة الخلاف[2] إذن هي سنّة جديدة لم يعهدها المترفون المؤيّدون لخطّ الخلافة بعد النبيّ صلى الله عليه وآله ولمن يتأمّل شدّة التوثب علىٰ هذا الحطام والعراك الشديد علىٰ أن يصب في جيوب مخصوصة يدرك أن لا مبادىء هناك تسوق القوم ولا اهتمام بالأمّة الّتي ضحّت من أجل أن تكون هذه المبادىء النبوية قائمة علىٰ واقعهم المعاشي.

ولم يبق من يمثّل الرسالة في أعلىٰ ذراها الإنسانية العادلة إلاّ خطّ الإمامة والواقع يشهد بذلك.

فإن يكن التسوية في العطاء هو الدافع للخصومة والوقوف ضدّ عليّ عليه السلام فما أقبحه من دافع.

وإن تكن العصبية القبلية هي الّتي تدعو القوم إلى اتخاذ موقف سلبي من عليّ عليه السلام فلقد أسكتها الإسلام بعالميته وربانيته.

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢/٥٩٨.

(٢) نفس المصدر السابق.

وإن يكن الحرص على الخلافة، وامتهانها للأغراض الدنيوية البحتة. فلقد انتخبت الأمّة علياً عَلَيْهِ السَّلَامُ لضرورة قائمة ولم يكن الراغب بها.

إذن حركة التمرّد ضدّه يجدر أن يلسّط عليها ضوء آخر لتتكشّف الأقنعة من خلاله ويبدو الوجه الحقيقي لها!!!

التضحية من أجل المبدأ

لا شك أنّ الحياة الإسلامية أضحت هزيلة في أكثر من موقع وانحسر الإسلام في زاوية لا يصلها الضوء إلاّ قليلاً، لأنّ الحياة الدنيا قد صبّت على قريش صبّاً فمن صحابي كان مع رسول الله ﷺ في تلك الضائقة إلى انفتاح غير محدود في ظلّ الخلفاء ومن شبح الفاقة إلى عالم الغنى والثروة. فهل يبقى أمام هذه الحياة الناعسة للمفتون بها من موقف وكلمة مسؤولة. ثمّ هل يرتجى الدين والانتصار له والتضحية دونه من أهل الدنيا؟

وهكذا فقد أصبح عليّ عليه السلام المقياس لمن يريد الله أو الشيطان فوضع الجميع على المحك وأمام المسؤولية.

وعليّ عليه السلام يعلم أنّه سيكون ضحيّة مبادئه وسيدفع الضريبة باهضة إلاّ أنه قد جنّد نفسه لذلك من أجل أن يكون الإسلام قوياً وتعود معالم عدالته إلى الحياة وأن لا يفتقده المستضعفون عندما يكون الحاكم إسلامياً والمجتمع إسلامياً.

وقد خسر جمع من الصحابة حظّهم في دفع الإسلام من خلال عليّ عليه السلام إلى الواقع الإسلامي. أمثال: سعد وابن مسلمة، وأسامة، وعبد الله، وحسّان بن ثابت[(١)].

وأصرّ عليّ عليه السلام على تنفيذ خطّة عمله وقرارات حكومته وهدّد كلّ من يعترض على الحقّ وكان يقول:

«ألا وإنّ كلّ قطيعة أقطعها عثمان أو مال أخذه من بيت مال المسلمين فهو مردود عليهم في بيت مالهم ولو وجدته قد تزوّج به النساء وفرّق في البلدان فإنّه إن لم يسعه الحقّ فالباطل أضيق عليه»[(٢)].

(١) انظر الإرشاد للمفيد: ص١٣٠.

(٢) نهج البلاغة.

وإنّ أخوف ما يخاف علىٰ أي تجربة جديدة تريد أن تشقّ طريقها بسلام هو من أولئك الذين يخلطونه عملاً صالحاً بآخر سيئاً ابتغاء مرضاة الجميع وكأنّ الله سبحانه قد جعل صلة بين الحقّ والباطل.

فعمد أولئك إلىٰ معاتبة عليّ عليه السلام في تسويته العطاء ظنّاً منهم أنّ لهم في قلب عليّ عليه السلام مكاناً وفي وجدانه لهم فسحة.

فقال عليه السلام: «أتأمروني أن أطلب النصر بالجور فيمن ولّيت عليه...

لو كان المال لي لسوّيت بينهم فكيف وإنّما المال لهم.

ألا وإنّ إعطاء المال في غير حقّه تبذير وإسراف وهو يرفع صاحبه في الدنيا ويضعه في الآخرة ويكرمه في الناس ويهينه عند الله.

ولم يضع امرؤ ماله في غير حقّه وعند غير أهله إلاّ حرمه الله شكرهم وكان لغيره ودّهم»[1].

فأمام هذا الموقف وإجراء هذه الخطّة العادلة بهذا التصميم وعبر هذه الروح فلا يبقىٰ في ساحة العمل من أجل الحقّ إلاّ زمرة قليلة كان قد أعدّها عليّ عليه السلام لخوض هذه المهمّة ولأداء دور تحكيم الدّين في حياة الناس. أضف إلى الحاجة الملحّة من قبل قطّاع من الناس عاشوا الحرمان والضياع بكلّ أشكاله هم الآخرون العضد المفدىٰ لهذه التجربة الرّائدة وهذه الروح الجديدة. كلّ أولئك هم المضحون مع عليّ من أجل المبدأ الصالح الذي رفع شعاره عليه السلام.

---

(١) نهج البلاغة.

بلاغ جديد

لقد حصر عليّ عليه السلام أهل الأكراش المتهدّلة والنوايا المدخولة في زاوية المال وكان أوّل عمل قام به هو إثارتهم عبر التسوية في العطاء، فشعر أولئك بالمنقصة إن ظلّوا في هذه الزاوية الحرجة، فعبّروا عن معارضتهم للخلافة الجديدة في عدم مؤاخذتها قتلة الخليفة السابق وجعلوه الشعار الذي يحومون حوله ويناشدون المغفلّين من الناس به فيما هي أهداف يستبطنها القوم واضحة لمن تأمّل.

فاتسعت لهم المساحة من وراء ذلك فأخذوا يتحرّكون فيها ليوقدوا نيران الفتنة في المجتمع ويضعوا العقابيل في طريق عليّ عليه السلام.

ولمّا لم يجد الإمام عليّ عليه السلام من طريق لإرضاءهم. أو ارتكانهم لمبادىء الإسلام من خلاله أصدر بلاغاً في حقّهم عرّف به شخصيتهم وحدّد فيه هويّتهم.

فقال عمّار لأصحابه قوموا بنا إلىٰ هؤلاء النفر من إخوانكم فإنّه قد بلغنا عنهم ورأينا منهم ما نكره من الخلاف والطعن علىٰ إمامهم وقد دخل أهل الجفاء بينهم وبين الزبير والأعسر العاقّ يعني طلحة.

فقام أبو الهيثم وعمّار وأبو أيّوب وسهل بن حنيف وجماعة معهم فدخلوا علىٰ عليّ عليه السلام فقالوا: يا أمير المؤمنين انظر في أمرك وعاتب قومك هذا الحيّ من قريش فإنّهم قد نقضوا عهدك وأخلفوا وعدك وقد دعونا في السرّ إلىٰ رفضك هداك الله لرشدك وذاك لأنّهم كرهوا الإسوة وفقدوا الأثرة ولمّا آسيت بينهم وبين الأعاجم أنكروا واستشاروا عدوّك وعظّموه وأظهروا الطلب بدم عثمان فرقة للجماعة وتألّفاً لأهل الضلالة فرأيك.

فخرج عليّ عليه السلام فدخل المسجد وصعد المنبر فقال:

أمّا بعد فإنّا نحمد الله ربّنا وإلهنا ووليّنا ووليّ النعم علينا الذي أصبحت نعمه

علينا ظاهرة وباطنة امتناناً منه بغير حول منّا ولا قوّة ليبلونا أنشكر أم نكفر فمن شكر زاده ومن كفر عذّبه فأفضل الناس عند الله منزلة وأقربهم من الله وسيلة أطوعهم لأمره وأعملهم بطاعته وأتبعهم لسنّة رسوله وأحياهم لكتابه ليس لأحد عندنا فضل إلا بطاعة الله وطاعة الرسول.

هذا كتاب الله بين أظهرنا وعهد رسول الله ﷺ وسيرته فينا لا يجهل ذلك إلاّ جاهل عاند عن الحقّ منكر، قال الله تعالى: ﴿يا أيها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثىٰ وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم﴾[1].

ثمّ صاح بأعلىٰ صوته: أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولّيتم فإنّ الله لا يحبّ الكافرين ثمّ قال: يا معشر المهاجرين والأنصار أتمنّون على الله ورسوله بإسلامكم بل الله يمنّ عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين.

ثمّ قال: أنا أبو الحسن ـ وكان يقولها إذا غضب ـ ثمّ قال:

ألا إنّ هذه الدّنيا الّتي أصبحتم تتمنونها وترغبون فيها وأصبحت تغضبكم وترضيكم ليست بداركم ولا منزلكم الذي خلقتم له فلا تغرنكم فقد حذرتموها واستتمّوا نعم الله عليكم بالصبر لأنفسكم علىٰ طاعة الله والذلّ لحكمه جلّ ثناؤه.

فأمّا هذا الفيء فليس لأحد علىٰ أخيه فيه أثرة فقد فرغ الله من قسمته فهو مال الله وأنتم عباد الله المسلمون، وهذا كتاب الله به أقررنا وله أسلمنا وعهد نبيّنا بين أظهرنا فمن لم يرض به فليتولّ كيف شاء فإنّ العامل بطاعة الله والحاكم بحكمه لا وحشة عليه[2].

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

(٢) راجع المعيار والموازنة: ص١٠٩ الطبعة الأولىٰ.

خطوة على طريق الحلّ

مع ما أشار إليه أمير المؤمنين في بلاغه الذي مرّ فقد أرسل إلىٰ طلحة والزبير اللذين يمثلان الوجه المعبّر عن المعارضة لعلّهما من وراء الحوار القائم بينه وبينهم يرجعان عن أمرهما وتعود المياه إلىٰ مجاريها الطبيعية وينطلق الجميع لرصّ الصفّ الإسلامي وتسوية الحياة علىٰ أساس الإسلام.

فبعث عمّار بن ياسر وعبد الرحمان بن حسل القرشيّ إليهما وهما في ناحية المسجد فأتياهما فدعواهما فقاما حتّىٰ جلسا إليه فقال لهما:

نشدتكما الله هل جئتماني طائعين للبيعة ودعوتماني إليها وأنا كاره لها؟ قالا: نعم.

فقال: غير مجبورين ولا مقسورين فأسلمتما لي بيعتكما وأعطيتماني عهدكما؟ قالا: نعم.

قال: فما دعاكما بعد إلىٰ ما أرىٰ؟

قالا: أعطيناك بيعتنا علىٰ أن لا تقضي في الأمور ولا تقطعها دوننا وأن تستشيرنا في كلّ أمر ولا تستبدّ بذلك علينا ولنا من الفضل علىٰ غيرنا ما قد علمت فأنت تقسم القسم وتقطع الأمر وتمضي الحكم بغير مشاورتنا ولا علمنا!!

فقال: لقد نقمتما يسيراً وأرجأتما كثيراً فاستغفرا يغفر لكما ألا تخبرانني أدفعتكما عن حقّ وجب لكما فظلمتكما إياه؟ قالا: معاذ الله.

قال: فهل استأثرت من هذا المال لنفسي بشيء؟ قالا: معاذ الله.

قال: أفوقع حكم أو حقّ لأحد من المسلمين فجهلته أو ضعفت عنه؟ قالا: معاذ الله.

قال: فما الذي كرهتما من أمري حتّىٰ رأيتما خلافي؟

قالا: خلافك عمر بن الخطّاب في القسم إنّك جعلت حقّنا في القسم كحقّ

غيرنا وسوّيت بيننا وبين من لا يماثلنا فيما أفاء الله تعالىٰ بأسيافنا ورماحنا وأوجفنا عليه بخيلنا ورجلنا وظهرت عليه دعوتنا وأخذناه قسراً وقهراً ممّن لا يرى الإسلام إلاّ كرهاً.

هذا هو مبلغ الفهم عند خصوم عليّ عليه السلام للإسلام وكأنه إرث يتوارثونه وحقّ يتقاسمونه وتلك آثار التربية المعوجّة التي تلقّاها قطّاع من الناس في ظلّ الخلافة.

فكيف يستسيغون علياً عليه السلام وهو القائم علىٰ رؤوسهم بمنطق العدالة وشرع الإسلام ثمّ هم لم يجدوا علياً عليه السلام متهاوناً وضعيفاً أمام إعصارهم الذي واجهوه به بل هو ثابت الجأش قويّ الهمّة في مقاومته والحيلولة دون نفوذ سمومه في حياة المسلمين ما أمكن إلىٰ ذلك.

ثمّ لا يجد أدنىٰ مسلم يملك غيرة علىٰ دينه وما تمرّ به الأمّة من محنة غياب قائد يأخذ بيدها إلىٰ حيث استقامتها ورشدها فلمّا أن اختارت موضع أملها ومحقّق إرادتها علياً عليه السلام رأينا هؤلاء وقد انطووا علىٰ أنانية مقيتة وحقد ملتاث وفهم للإسلام ساذج.

ومع كلّ ذلك فلم يعدم أمير المؤمنين موعظتهم وتوجيههم لعلّهم يرجعون عن شططهم وهواهم. فقال لهم عليه السلام:

أمّا ما ذكرتموه من الاستشارة بكما فوالله ما كانت لي في الولاية رغبة ولكنكم دعوتموني إليها وجعلتموني عليها فخفت أن أردّكم. فتختلف الأمّة فلمّا أفضت إليّ نظرت في كتاب الله وسنّة رسوله فأمضيت ما دلاّني عليه واتبعته ولم أحتج إلىٰ رأيكما فيه ولا رأي غيركما ولو وقع حكم ليس في كتاب الله بيانه ولا في السنّة برهانه واحتيج إلى المشاورة فيه لشاورتكما فيه.

وأمّا القسم والأسوة فإنّ ذلك أمر لم أحكم فيه بادىء بدء قد وجدت أنا وأنتما رسول الله صلى الله عليه وآله يحكم بذلك وكتاب الله ناطق به وهو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

وأما قولكما جعلت فيئنا وما افاءته سيوفنا ورماحنا سواءً بيننا وبين غيرنا فقديماً سبق إلى الإسلام قوم ونصروه بسيوفهم ورماحهم فلم يفضّلهم رسول الله صلى الله عليه وآله في القسم ولا آثرهم بالسبق والله سبحانه موفّ السابق والمجاهد يوم القيامة أعمالهم وليس لكما والله عندي ولا لغيركما إلاّ هذا أخذ الله بقلوبنا وقلوبكم إلى الحقّ وألهمنا وإيّاكم الصّبر.

ثمّ قال: رحم الله امرءاً رأىٰ حقّاً فأعان عليه ورأىٰ جوراً فردّه وكان عوناً للحق علىٰ من خالفه[1].

فلم تجد هذه الخطوة في طريق الحلّ والهداية أهلاً لأنّ القوم قد ران علىٰ قلوبهم ما كانوا يصنعون.

ولمّا لم يجدوا بدأ من الخروج علىٰ عليّ عليه السلام وهو في أوّل خلافته إلاّ أن يخرجوا من المدينة الّتي استحكم الإمام عليّ عليه السلام قبضته فيها وليس أنفع مكان يمكنهم أن يعيشوا فيه لتشابه النوايا والقلوب فيها إلاّ الشام لأنّها أموية أو البصرة لأنّها عثمانية.

(١) راجع المعيار والموازنة: ص١٠٩.

العمرة أم الشام والبصرة

تقدّم ممّا مرّ أنّ جملة من أهل البيوتات وأصحاب المكانة الاجتماعية في مجتمع المدينة ومكّة لا يرتضون عليّاً منذ أوّل يوم بزغ نجمه وهو يتهادىٰ خلف رسول الله ﷺ يحطم أمانيّهم ويأتي علىٰ تصوراتهم، ولم يك من بد أن يسكتوا حيث النبوة أمّا بعدها فالمجال مفتوح وإشاعة المسوغات لحربه تأخذ طريقها بيسر لا سيما وأنّ هناك من يرتاح علىٰ نهيق العبودية والذلّ!!

وعليّ عليه السلام يدرك بعمق حجم المعارضة ضدّه فما عساه يترك الأمّة بدون سائس والأحداث بدون موجّه والأمور بيد الطامعين المترفين. ذلك ما لا يمكن في قاموس عليّ عليه السلام ولهذا تصدّىٰ بجدارة وبقوّة فأعاد إلى الحياة من جديد روح النقد الموجّه والمتابعة المسؤولة والثورة علىٰ الفساد والانحراف أيّا حلّ هذا الانحراف في فرد أو مجموعة أو أمّة وكائناً من كان.

ولهذا شعر أقطاب المعارضة في المدينة أن لا مكان لهم فيها وعليهم أن يغيّروا مكانهم فيختاروا موقعاً للمواجهة أكثر تماسكاً ولم يكن أحسن من البصرة والشام حيث النزعة العثمانية ومعاوية وكلا هذين التوجهين يمثلان عنواناً صارخاً ضدّ عليّ عليه السلام.

فبقي علىٰ هؤلاء أن يقنعوا علياً في الخروج من المدينة فجاءوه من حيث ما استخدمه من ورقة فضيحة مذلّة لهم في المجتمع وهو المال والتمايز على الغير، فجاءا أمير المؤمنين يستأذناه في العمرة فقال: لعلكما تريدان الشام والبصرة؟

فقالا: اللّهمّ غفراً ما ننوي إلاّ العمرة.

فأخذ عليهما عهد الله وميثاقه وأعظم ما أخذ علىٰ أحد من خلقه أن لا يخالفا ولا ينكثا ولا يتوجّها وجهاً غير العمرة حتّىٰ يرجعا إليه فأعطياه ذلك من أنفسهما ثمّ أذن لهما فخرجا.

عن أمّ راشد مولاة أمّ هاني أنّ طلحة والزبير دخلا على عليّ عليه السلام فاستأذناه في العمرة فأذن لهما فلمّا ولّيا ونزلا من عنده سمعتهما يقولان:

«لا والله ما بايعناه بقلوبنا إنّما بايعناه بأيدينا».

فأخبرت عليّاً عليه السلام بمقالتهما فقال:

«إنّ الذين يبايعونك إنّما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنّما ينكث علىٰ نفسه ومن أوفىٰ بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً»[1].

(١) انظر بحار الأنوار: ٣١/٣٢. بتصرف.

مع عائشة

عائشة بنت الخليفة الأوّل أبي بكر الصّديق زوج رسول الله ﷺ المرأة الطموح الّتي تسعىٰ دوماً أن تكون شيئاً فلم يحالفها حظّها لا في بيت زوجها رسول الله ﷺ ولا بعده فبقيت تعيش الغصّة والمرارة. ومن تعتمل في داخله الاضطرابات ويستولي عليه داء العظمة لا يقر له قرار ولا تعرف منه كيف يحبّ وكيف يكره ومتىٰ؟

كانت من أشدّ الناس علىٰ عثمان حتّىٰ أنّها أخرجت ثوباً من ثياب رسول الله ﷺ فنصبته في منزلها وكانت تقول للداخلين إليها: هذا ثوب رسول الله ﷺ لم يبل وعثمان قد أبلىٰ سنّته، وهي أوّل من سمّىٰ عثمان نعثلاً.

ولمّا قتل عثمان كانت بمكّة وبلغ قتله إليها وهي بشراف فلم تشك في أنّ طلحة صاحب الأمر، وكأنّ هناك مخططاً قد رسموه لهذا الرجل بعد رحيل عثمان تدعمه عائشة بما لها من اعتبار كونها زوج رسول الله ﷺ، فقالت:

بعداً لنعثل وسحقاً إيه ذا الإصبع إيه أبا شبل إيه يا ابن عمّ لكأنّي أنظر إلىٰ إصبعه وهو يبايع له حثوها لا بل وزعزعوها(١).

فاستقبلها عبيد بن أبي سلمة فقالت له: ما عندك؟ قال: قتل عثمان قالت: ثمّ ماذا؟

قال: جارت بهم الأُمور إلىٰ خير مجاد بايعوا عليّاً.

فقالت: لوددت أنّ السّماء انطبقت على الأرض إن تمّ هذا انظر ماذا تقول؟

قال: هو ما قلت لك يا أمّ المؤمنين فولولت!!

---

(١) حثّوها: أي اجعلوا اصبعه متحنية للبيعة وزعزعوها: أي كسروها.

فقال لها: ما شأنك يا أمّ المؤمنين. والله لا أعرف بين لابتيها[1] أحداً أولىٰ بها منه ولا أحقّ ولا أرىٰ له نظيراً في جميع حالاته فلماذا تكرهين ولايته؟

قال: فما ردّت جواباً.

ثمّ ردّت ركائبها إلىٰ مكّة، فكتب إليها طلحة والزبير كتاباً أن خذّلي الناس عن بيعة عليّ وأظهري الطلب بدم عثمان وحمّلا الكتاب مع ابن أختها عبد الله بن الزبير فلمّا قرأت الكتاب كاشفت وأظهرت الطلب بدم عثمان[2].

فقصدت الحجر فاجتمع الناس إليها فقالت:

أيها الناس إنّ الغوغاء من أهل الأمصار من أهل المياه وعبيد أهل المدينة اجتمعوا إلىٰ هذا الرجل المقتول ظلماً بالأمس ونقموا عليه استعمال من حدث سنّه وقد استعمل أمثالهم من قبله ومواضع الحمىٰ حماها لهم فتابعهم ونزع لهم عنها فلمّا لم يجدوا حجّة ولا عذراً بادروا بالعدوان فسفكوا الدم الحرام واستحلّوا البلد الحرام والشهر الحرام وأخذوا المال الحرام والله لإصبع من عثمان خير من طباق الأرض أمثالهم!!! ووالله لو أنّ الذي اعتدوا به عليه كان ذنباً تخلص منه كما يخلص الذهب من خبثه والثوب من درنه إذ ماصّوه كما يماصّ الثوب بالماء..

فقال عبد الله بن عامر الحضرميّ ـ وكان عامل عثمان علىٰ مكّة ـ: ها أنا أوّل طالب بدمه وتبعه بنو أمية وكانوا هربوا من المدينة بعد قتل عثمان إلىٰ مكّة.

وقدم طلحة والزبير من المدينة إلىٰ مكّة ولقيا عائشة فقالت: ما ورائكما؟ قالا: إنّا تحملنا هراباً من المدينة من غوغاء وأعراب وفارقنا قوماً حيارىٰ لا يعرفون حقّاً ولا ينكرون باطلاً ولا يمنعون أنفسهم.

فقالت: انهضوا إلىٰ هذه الغوغاء.

فقالوا: نأتي الشام.

فقال ابن عامر: كفاكم الشام معاوية فأتوا البصرة فاستقام الرأي على البصرة[3].

---

(١) لابتيها: أطرافها.

(٢) انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢/٤٠٧.

(٣) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٣/١٠٥.

موقف أُمّ سلمة

أُمّ سلمة زوج رسول الله ﷺ امرأة تقيّة على خير عاشت مع رسول الله ﷺ فأشاعت في ربوع بيته المودّة والرحمة، وكانت معه حيث هو مع الطاهرين.

لمّا سمعت أنّ عائشة تزمع الرحيل إلى البصرة لإثارة الفتنة بين المسلمين كان لها دور الواعظ لها فدخلت على عائشة ثمّ قالت:

يا هذه أنت سدّة[١] بين رسول الله ﷺ وبين أُمّته وحجابه عليك مضروب وعلى حرمته، وقد جمع القرآن ذيلك فلا تندحيه[٢] وضمّ ضفرك[٣] فلا تنشريه واسكني عقيرتك[٤] فلا تصحريها إنّ الله من وراء هذه الأمّة قد علم رسول الله ﷺ مكانك لو أراد أن يعهد إليك فعل بك فقد نهاك عن الفرطة[٥] في البلاد إنّ عمود الدين لن يثأب[٦] بالنساء إن مال، ولا يرأب بهنّ إن انصدع، حمادي النساء غضّ الأطراف وضمّ الذيول والأعطاف، وما كنت قائلة لو أنّ رسول الله ﷺ عارضك في بعض هذه الفلوات فأنت ناصّة قعوداً[٧] من منهل إلى منهل ومنزل إلى منزل ولغير الله مهواك وعلى رسول الله ﷺ تردين وقد هتكت عنك سجافه[٨] ونكثت عهده وبالله أحلف لو أن سرت مسيرك ثمّ قيل لي: ادخلي الفردوس لاستحييت من رسول الله أن ألقاه هاتكة حجاباً ضربه عليّ (ص) فاتقي الله واجعليه حصناً وقاعة الستر منزلاً حتّى تلقينه أطوع ما

---

(١) السدّة: الباب.

(٢) تندحيه: تفتحيه.

(٣) الظفر: نسج الشعر وغيره والضفيرة: العقيصة.

(٤) العقيرة: أصل الدار.

(٥) الفرطة: التقدّم.

(٦) أي لا يرد بهنّ إلى استوائه.

(٧) القعود من الإبل: الذي يقتعده الراعي من كلّ حاجة.

(٨) السجاف: الستر.

تكونين لربّك ما قصرت عنه وأنصح ما تكونين لله ما لزمتيه وأنصر ما تكونين للذين ما قعدت عنه.

وبالله أحلف لو حدّثتك بحديث سمعته من رسول الله ﷺ لنهشتيني نهش الرقشاء المطرقة[1].

فقالت لها عائشة: ما أعرفني، بموعظتك وأقبلني لنصيحتك ليس مسيري على ما تظنّين، ما أنا بالمغترة ولنعم المطلع تطلعت فيه فرقت بين فئتين متشاجرتين فإن أقعد ففي غير حرج وإن أخرج ما لا غناء عنه من الازدياد به فهو الأجر[2].

ولم تفد هذه الموعظة الجليلة من المرأة الجليلة فيما هو الإصرار من قبل عائشة لحرب عليّ عليه السلام والخروج أرسلت أمّ سلمة رسالة إلى أمير المؤمنين عليه السلام تخبره بنوايا القوم:

أمّا بعد فإنّ طلحة والزبير وأشياعهم أشياع الضلالة يريدون أن يخرجوا بعائشة إلى البصرة ومعهم عبد الله بن عامر بن كريز ويذكرون أنّ عثمان قتل مظلوماً وأنّهم يطلبون بدمه والله كافيهم بحوله وقوّته ولولا ما نهانا الله عنه من الخروج وأمرنا من لزوم البيت لم أدع الخروج إليك والنصرة لك ولكنّي باعثة نحوك ابني عدل نفسي عمر بن أبي سلمة فاستوص به يا أمير المؤمنين خيراً[3].

---

(١) الرقشاء المطرقة: الأفعى.

(٢) الاحتجاج للطبرسيّ: ١/ ١٦٧.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢/ ٤١٠.

رسالة الأشتر إلىٰ عائشة

الأشتر الرجل القوي في جماعة أمير المؤمنين والعضد المفدىٰ له وكانت له هيبة في قلوب المناوئين للحق فكان من المناسب أن يكتب كتاباً إلىٰ عائشة يحذرها من مغبّة التسامح في حرب عليّ عليه السلام فكان:

أمّا بعد فإنّك ظعينة رسول الله ﷺ وقد أمرك أن تقرّي في بيتك فإن فعلت فهو خير لك وإن أبيت إلاّ أن تأخذي منسأتك[1] وتلقي جلبابك وتبدي الناس شعيراتك قاتلتك حتّى أردّك إلىٰ بيتك والموضع الذي يرضاه لك ربّك.

فكتبت إليه في الجواب:

أمّا بعد فإنّك أوّل العرب شبّ الفتنة ودعا إلى الفرقة وخالف الأئمة وسعىٰ في قتل الخليفة وقد علمت أنك لن تعجز الله حتّى يصيبك منه بنقمة ينتصر بها منك للخليفة المظلوم وقد جاءني كتابك وفهمت ما فيه وسنكفيك وكلّ من أصبح مماثلاً لك في غيك وضلالك إنشاء الله[2].

---

(١) المنسأة: العصا.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢/٤٠٧.

متفرّجون ومضحون

في حالات الصّراع الّتي تمرّ بها الجماعات والأُمم لا يمكن أن يكون ثالث متفرّج فهو إن شاء أو أبىٰ فإنّه سيلتجيء بالأخير إلىٰ طرف عبر كلمة أو تصريح أو حتّى ابتسامة أضف إلىٰ ما لهذا المتفرّج من ضعف وخوار وضواء لأنّ الابتعاد عن ساحة الصّراع يعني ذلك تماماً.

ومن هنا يتجلّىٰ لنا كم زرع أولئك المتفرّجون على الأحداث الّتي أدارها القدر بين عليّ ومناوئيه من بذور التراجع والانكفاء على الذات وغياب الصورة الصحيحة للحقّ وأهله عند ثلّة من الناس هم أحوج ما يكونون مع الحقّ والحقّ أحوج ما يكون إلىٰ أعداد تقوم به.

ولقد تثاقل جمع ممن صحب رسول الله ﷺ عن نصرة الحقّ وما ذلك إلاّ شدّة الغبش الجاثم على الأبصار والرّين الذي حجب رؤية القلوب ومن يعدم الرؤية يتخبط في ظلام!

عن أبي سهل بن مالك عن أبيه قال: إنّي لواقف مع المغيرة بن شعبة عند نهوض عليّ بن أبي طالب عليه السلام من المدينة إلى البصرة إذ أقبل عمّار بن ياسر فقال له: هل لك في الله عزّ وجلّ يا مغيرة فقال: وأين هو يا عمار؟ قال: تدخل في هذه الدعوة فتلحق بمن سبقك.

فقال له المغيرة: أوخير من ذلك يا أبا اليقظان!!

قال عمّار: وما هو؟

قال: ندخل بيوتنا ونغلق علينا أبوابنا حتّىٰ يضيء لنا الأمر فنخرج ونحن مبصرون ولا نكون كقاطع السلسلة فرّ. من الضّحل فوقع في الغمر.

فقال له عمّار: هيهات هيهات أجهل بعد علم وعمي بعد استبصار؟ ولكن

اسمع لقولي، فوالله لن تراني إلاّ في الرعيل الأوّل.

قطلع عليهما أمير المؤمنين عليه السلام فقال:

يا أبا اليقظان ما يقول لك الأعور فإنه والله دائماً يلبس الحق بالباطل ويموّه فيه ولن يتعلّق من الدين إلا بما يوافق الدنيا ويحك يا مغيرة إنها دعوة تسوق من يدخل فيها إلى الجنة.

فقال له المغيرة: صدقت يا أمير المؤمنين إن لم أكن معك فلن أكون عليك[1].

وتبع المغيرة لفيف من الجبناء عمي القلوب أمثال: سعد وأُسامة بن زيد ومحمّد بن مسلمة، وعبد الله بن عمر.

فكان سعد يقول: لا أشهر سيفاً حتّىٰ يعرف المؤمن من الكافر.

وقال أُسامة: لا أُقاتل رجلاً يقول لا إله إلاّ الله ولو كنت في زبية الأسد لدخلت فيه معك.

وقال محمّد بن مسلمة: أعطاني رسول الله صلى الله عليه وآله سيفاً وقال: إذا اختلف المسلمون فاضرب به عرض أحد والزم بيتك.

وقد شخّص عمّار هؤلاء لأمير المؤمنين فقال: دع القوم أمّا عبد الله فضعيف وأمّا سعد فحسود وأمّا محمد بن مسلمة فذنبك إليه أنك قتلت بأخيه مرحباً.

وقام الأشتر إلىٰ عليّ عليه السلام فكلّمه بكلام يحضّه علىٰ أهل الوقوف فكره ذلك عليّ عليه السلام حتّىٰ شكاه وكان من رأي عليّ عليه السلام أن لا يذكرهم بشيء.

فقال الأشتر: يا أمير المؤمنين إنّا وإن لم نكن من المهاجرين والأنصار فإنّا فيهم وهذه بيعة عامّة والخارج منها عاص والمبطىء عنها مقصّر وإنّ أدبهم اليوم باللّسان وغداً بالسيف وما من ثقل عنك كمن خفّ معك. وإنّما أرادك القوم لأنفسهم فأردهم لنفسك.

فقال عليّ عليه السلام: يا مالك دعني.

وأقبل عليّ عليه السلام عليهم فقال: أرأيتم لو أنّ من بايع أبا بكر أو عمر أو

(١) أمالي الشيخ المفيد: ص١٣٥.

عثمان ثمَّ نكث بيعته أكنتم تستحلّون قتالهم؟

قالوا: نعم.

قال: وكيف تحرّجون من القتال معي وقد بايعتموني؟

قالوا: إنّا لا نزعم أنّك مخطىء وأنّه لا يحلّ لك قتال من بايعك ثمَّ نكث بيعتك ولكن نشكّ في قتال أهل الصلاة.

فقال الأشتر: دعني يا أمير المؤمنين أوقع بهؤلاء الذين يتخلّفون عنك.

فقال له: كفّ عنّي، فانصرف الأشتر وهو مغضب[1].

---

(١) انظر أمالي الطوسيّ: ٨٧ بتصرف.

مسوغات الحرب عند علي عليه السلام

كان عليّ عليه السلام يتحرّك حيث يتحرّك الإسلام في ضمير هذه الأُمّة الّتي مرّ عليها وقت ليس بالقصير ضيّعت فيه كثيراً من قيمها الإسلامية ولو قدّر لها البقاء علىٰ حالها لانتهت وأصبحت من الأُمم الّتي نقرأ عنها في التاريخ. لا أثر لها ولا وجود ولانتهى الإسلام تبعاً لها.

تحرّك عليّ عليه السلام مستفيداً من وضع الخلافة في عهد عثمان الّتي كشّرت عن الوجه القبيح لها وأوضحت عبر ممارساتها مراميها وغلياتها، فالتفّت البقية الباقية ممّن عجزت أيادي التمويه أن تزيغهم عن الحقّ أو تجرّهم إلىٰ مواقع الجهل والحذر حول عليّ عليه السلام وتشكّلت هذه المدرسة العظيمة علىٰ أساس الرؤية الصحيحة لمسار الإسلام في الحياة والتضحية من أجل أن يكون وتكون أُمّته.

ولهذا فأي شيء يعترض هذه الرؤية في مسارها الجديد وروحها الخلاّقة يعتبر خروجاً عن الدّين، وهذا متفق عليه بين المسلمين، إذا ما لاحظنا نكث البيعة والوقوف معها سلباً في إطارها الشخصي القائم علىٰ حقد ملتاث أو بغض له جذوره الممتدّة في عمق العلاقات. أيضاً عقبة لها آثارها السلبية في خطّ الخلافة الجديدة.

ولو لم تكن المعارضة قد حملت السلاح بوجه عليّ وبقيت علىٰ ما هي عليه بدون إثارة الأجواء والدعاية ضدّه بما يشكّل بهتاناً وزوراً لتركها أمير المؤمنين عليه السلام تعيش كما يعيش الآخرون.

إلاّ أنّها تكتلت وخرجت تتخذ البصرة موقعاً وناشدت الأمصار في الالتفاف حولها كالشام ولم تراع ذمّة لأحد من المسلمين إلاّ ما يدور حولها ويطوف حول مصالحها الشخصية... وهل يعني هذا العمل إلاّ تدمير الأُمّة والقضاء علىٰ هيبتها

من خلال الخروج على الخلافة وإحباط التجربة الجديدة المنتخبة الّتي رفعت شعار العدالة وتطبيق السنّة وتحكيم كتاب الله؟

وفي هذا الاتجاه فقد سوّغ أمير المؤمنين قتالهم مع أنّه كان موعوداً من قبل النبي ﷺ أنه سيقاتلهم لأنهم سينكثون البيعة، إلاّ أنّ أدب الإسلام وإسلوب الإمامة في الحياة لا يبادر في إنزال العقوبة وإن كان علىٰ دراية في حجم الجناية وتشخيصها ومعرفة الجاني إلاّ أن تصدر الجناية وتأخذ بعدها في المجتمع ليكون الناس علىٰ جانب من الوضوح والقناعة في الوقوف ضدّها إلاّ من مرض قلبه وأتبعه الشيطان فكان من الغاوين!

فمن رسالة له عليه السلام أرسلها إلىٰ أهل الكوفة يألبهم في الوقوف ضدّ هذا التيار الناكث ويخبرهم بما عليه أمور دار الهجرة والوضع الجديد فيها.

«إنَّ دار الهجرة قد قلعت بأهلها وقلعوا بها وجاشت جيش المرجل وقامت الفتنة علىٰ القطب فأسرعوا إلىٰ أميركم وبادروا عدوّكم»[1].

وسأل ابن الكوّاء وقيس بن عبّاد أمير المؤمنين عن قتال الناكثين فقال:

إنّهما بايعاني بالحجاز وخلعاني بالعراق فاستحللت قتالهما لنكثهما بيعتي وأشار بعض عليه عليه السلام أن لا يتبع الناكثين ولا يرصد لهما القتال فقال:

والله لا أكون كالضبع تنام علىٰ طول اللّدم[2] حتىٰ يصل إليها طالبها ويختلها راصدها ولكن أضرب بالمقبل إلى الحقّ المدبر عنه وبالسّامع المطيع العاصي المريب أبداً حتىٰ يأتي عليّ يومي[3].

(١) المناقب لابن شهر آشوب: ٢/ ٣٣٥.
(٢) نفس المصدر.
(٣) اللّدم: صوت الحجر أو العصا أو غيرها يضرب بها الأرض ضرباً ليس بشديد، يحكىٰ أنّ الضبع يستغفل في حجرها بمثل ذلك فيسكن حتىٰ يصاد ويضرب بها المثل في الحمق.
(٤) نهج البلاغة المختار: ٦.

هذا هو مستوىٰ عائشة

وأزمع الناكثون التحرّك إلى البصرة لاثارت الفتنة وشقّ الصفّ والخروج على الخلافة، فهيّئوا إلىٰ أمّ المؤمنين مراكبها لتكون هي قائدة المسير، ورائدة النهضة، وجاءهم يعلى بن أمية ببعير يسمّىٰ (عسكراً) وكان عظيم الخلق شديداً فلمّا رأته أعجبها، والطريق طويل، والذكريات كثيرة، والقائمون علىٰ جرّها إلىٰ هذا الموقع الوبيء يسعون لإيجاد جو يبعدها عما كان رسول الله ﷺ يحدّثها عن عليّ عليه السلام وفضله لعلّ الأيام بثقلها الممض وساعاتها الطوال يذكّرها بذلك فأنشأ الجمّال يحدّثها بقوّة هذا المركب وشدّته كفاتحة للحديث المستمر الذي يمثل مستواه ومدىٰ ما ينسيهما أتعاب الطريق. وكان يكرر في أثناء كلامه (عسكر) فلمّا سمعت بذلك استرجعت وقالت: ردّوه لا حاجة لي فيه وذكرت حيث سئلت أنّ رسول الله ﷺ ذكر لها هذا الاسم ونهاها عن ركوبه، وأمرت أن يطلب لها غيره فلم يوجد لها ما يشبهه فغيّر لها بجلال غير جلاله وقيل لها: قد أصبنا لك أعظم منه خلقاً وأشدّ منه قوّة وأوتيت به فرضيت(١).

هذه هي أمّ المؤمنين تتعامل مع نهي رسول الله ﷺ عن ركوب جمل اسمه عسكر ولا تراعي حرمة لأمير المؤمنين عليه السلام ولهذه الأمّة الّتي طالما كان رسول الله ﷺ يشيد به وبفضله ويوصي في وحدة الأُمّة من خلاله.

ولمّا انتهت في مسيرها إلى الحوأب، وهو ماء لبني عامر بن صعصعة نبحتها الكلاب حتّىٰ نفرت صعاب إبلها فقال قائل من أصحابها: ألا ترون ما أكثر كلاب الحوأب وما أشدّ نباحها؟

فأمسكت زمام بعيرها وقالت: وإنّها لكلاب الحوأب؟ ردّوني ردّوني فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول وذكرت الخبر.

---

(١) انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢/٤٠٧.

فقال لها قائل: مهلاً يرحمك الله فقد جزنا ماء الحوأب.

فقالت: فهل من شاهد؟ فلفقوا لها خمسين أعرابياً جعلوا لها جعلاً فحلفوا لها أنّ هذا ليس بماء الحوأب فسارت لوجهها[1].

وهذه أوّل شهادة في الحياة الإسلامية شهد بها في الإسلام بالزور[2] والكذب وهل أفاقت أمّ المؤمنين من نومها؟ وهل فتح المعجبون بها يوماً عيون قلوبهم علىٰ ما لهذه المرأة من الطموح ولو علىٰ حساب الأُمّة والدين؟!!

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢/٤٠٨.

(٢) انظر من لا يحضره الفقيه للصدوق: ٣/٤٤.

تقييم لأقطاب المعارضة الناكثة

فيما يظهر من سير الأحداث والتصريحات القائمة على المتبنى الشخصي والذهني لكلّ واحد من أقطاب المعارضة أنّ هناك أنات وهنات وقد تجاوزوها لأنّهما يشتركان في تحقيق هدف واحد وهو الإطاحة بعليّ عليه السلام ولمّا لم يقدر لهما أي طلحة والزبير أن يسيرا في المجتمع الإسلامي بوحي من قناعتهما المشتركة وإضفاء صيغ لها مساس بالشرعية علىٰ هذا المجتمع إلاّ من خلال عائشة زوج رسول الله صلى الله عليه وآله لهذا نراهما علىٰ طول مسيرتهما العدائية لعليّ عليه السلام لم يظهرا ما كانا عليه وما أضمر كلّ واحد للآخر من نوايا سيئة.

وقد استعمل أمير المؤمنين عليّ عليه السلام هذه الورقة الّتي لم تقرأ بعد ابتغاء أن تثوّر الدفائن فيتبدّد الشمل وتضعف الحركة حين أُخبر بمسيرهما من مكّة إلى البصرة فقال بعد أن حمد الله وأثنىٰ عليه:

قد سارت عائشة وطلحة والزبير كلّ منهما يدّعي الخلافة دون صاحبه ولا يدّعي طلحة الخلافة إلاّ أنّه ابن عمّ عائشة ولا يدّعيها الزبير إلاّ أنّه صهر أبيها.

والله لئن ظفرا بما يريدان ليضربنّ الزبير عنق طلحة وليضربنّ طلحة عنق الزبير ينازع هذا على الملك هذا.

ولقد علمت أنّ راكبة الجمل لا تحلّ عقدة ولا تسير عقبة ولا تنزل منزلة إلاّ إلىٰ معصية الله حتّىٰ تورد نفسها ومن معها مورداً يقتل ثلثهم ويهرب ثلثهم ويرجع ثلثهم.

والله إنّ طلحة والزبير ليعلمان أنّهما مخطئان وما يجهلان ولربّ عالم قتله جهله وعلمه معه لا ينفعه.

والله لئن أصابوا الذي يريدون لينتزعنّ هذا نفس هذا وليأتين هذا علىٰ هذا[1].

---

(١) نهج البلاغة المختار: ١٤٦.

أضف إلىٰ هذا ما للرجلين من تاريخ يعجّ بكثير من الاستهتار بالقيم والوقوف ضدّ الرسالة منذ أوّل أيّامها الغرر وما دخولهم في الإسلام إلاّ من وراء الجو الاجتماعي الذي خلقته الدّعوة في صفوف المحرومين وأهل القلوب السليمة والتوجّهات الناضجة في الحياة وكان ما لا بدّ منه.

وقد تناصر الخبر من الطريقين بأنّ عثمان وطلحة والزبير وسعداً وعبد الرحمان من جملة أصحاب العقبة الذين نفّروا برسول الله ﷺ.

وكان عثمان وطلحة قد قالا: أينكح محمّد نسائنا ولا ننكح نسائه؟ والله لو قد مات لأجلنا علىٰ نسائه بالسّهام!!!

وكان طلحة قد تحدّث أن يتزوّج عائشة فأنزل الله سبحانه:

﴿وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً﴾.

ولقد عشق طلحة امرأة يهودية فخطبها ليتزوّجها فأبت إلاّ أن يتهوّد ففعل.

وقد تنازع يوماً هو وعثمان فقال عثمان له: والله إنّك أوّل أصحاب محمّد تزوّج يهودية.

فقال طلحة: وأنت والله لقد قلت: ما يحبسنا ها هنا ألا نلحق بقومنا.

وقد حسوا في نسبه فقالوا بأنّ أبا طلحة وهو عبد الله كان عبداً راعياً بالبلقاء فلحق بمكّة فادّعاه عثمان بن عمرو بن كعب التيمي فنكح الصعبة بنت دزمهر الفارسيّ وكان بعث بها كسرىٰ إلىٰ اليمن فكان بحضرموت خرّازاً وكانت الصعبة بنت الحضرميّ لها راية بمكّة واستبضعت بأبي سفيان فوقع عليها أبو سفيان وتزوّجها عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب التيميّ فجاءت بطلحة فجعلا أمرهما إلىٰ صعبة فألحقته بعبيد الله فقيل لها كيف تركت أبا سفيان؟

فقالت يد عبيد الله طلقة ويد أبي سفيان نكرة.

وأمّا بالنّسبة إلى الزبير فقد ورد بأنّ العوّام أباه كان عبداً لخويلد ثمَّ أعتقه وتبنّاه وكان جميلاً ولم يكن من قريش وذلك أنّ العرب في الجاهلية كان إذا كان لأحدهم عبد وأراد أن ينسبه إلىٰ نفسه ويلحق به نسبه أعتقه وزوّجه كريمة من العرب.

ويصدّق ذلك شعر عدي بن حاتم في عبد الله بن الزبير بحضرة معاوية وعنده

جماعة قريش فقال عبد الله لمعاوية: يا أمير المؤمنين ذرنا نكلّم عدياً فقد زعم أنّ عنده جواباً.

فقال: إنّي أحذركموه.

فقال: لا عليك دعنا وإيّاه فرضي معاوية.

فقال: يا أبا طريف متىٰ فقئت عينك؟

فقال: يوم فرّ أبوك وقتل شرّ قتلة وضربك الأشتر على إستك فوقعت هارباً من الزحف وأنشد يقول:

أما وأبي يا ابن الزبير لو أنّني　　لقيتك يوم الزحف رمت مدىٰ شحطا
وكان أبي في طيّ وأبو أبي　　صحيحين لم ينزع عروقهما القبطا

قال معاوية: قد حذرتكموه فأبيتم[1].

(١) انظر بحار الأنوار: ٢١٨/٣٢ وقوله: صحيحين لم ينزع عروقهما القبطا تعريفي به بأنّ أباه وأبا أبيه ليسا بصحيحي النسب وأنّهما من القبط ولم يستطع ابن الزبير إنكار ذلك في مجلس معاوية.

الناكثون في حفر أبي موسىٰ

انتهىٰ الموكب الناكث حفر أبي موسىٰ قريباً من البصرة فاستعلم بذلك عثمان بن حنيف وكان والياً على البصرة من قبل عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فأرسل إليهم أبا الأسود الدؤلي يعلم له علمهم فجاء حتّىٰ دخل علىٰ عائشة فسألها عن مسيرها؟

فقالت: أطلب بدم عثمان.

قال: إنّه ليس بالبصرة من قتلة عثمان أحد.

قالت: صدقت ولكنّهم مع عليّ بن أبي طالب بالمدينة وجئت أستنهض أهل البصرة لقتاله أنغضب لكم من سوط عثمان ولا نغضب لعثمان من سيوفكم؟

فقال لها: ما أنت من السوط والسيف؟ إنّما أنت حبيس رسول الله ﷺ أمرك أن تقرّي في بيتك وتتلي كتاب ربّك ليس على النساء قتال ولا لهنّ الطلب بالدماء وإنّ عليّاً لأولىٰ بعثمان منك وأمسّ رحماً فإنّهما ابنا عبد مناف.

فقالت: لست بمنصرفة حتّىٰ أمضي لما قدمت له أفتظنّ يا أبا الأسود أنّ أحداً يقدم علىٰ قتالي؟

فقال: والله لنقاتلنّ قتالاً أهونه الشديد.

ثمّ قام فأتى الزبير فقال: يا أبا عبد الله عهد الناس بك وأنت يوم بويع أبو بكر آخذ بقائم سيفك تقول: لا أحد أحقّ لهذا الأمر من ابن أبي طالب وأين هذا المقام من ذاك؟

فذكر له دم عثمان قال: أنت وصاحبك وليتماه فيما بلغناه قال فانطلق إلىٰ طلحة فاسمع ما يقول فذهب إلىٰ طلحة فوجده مصرّاً على الحرب والفتنة فرجع إلىٰ عثمان بن حنيف فقال: إنّها الحرب فتأهّب لها[1].

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢/٤٠٧.

ودعا عثمان بن حنيف عمران بن الحصين وكان من أصحاب رسول الله ﷺ فبعثه وبعث معه أبا الأسود الدؤلي إلىٰ طلحة والزبير وعائشة.

فقال: انطلقا فاعلما ما أقدم علينا هؤلاء القوم وما يريدون؟

قال أبو الأسود: فدخلنا علىٰ عائشة فقال لها عمران بن الحصين: يا أمّ المؤمنين ما أقدمك بلدنا ولم تركت بيت رسول الله ﷺ الذي فارقك فيه؟ وقد أمرك أن تقرّي في بيتك وقد علمت أنك إنّما أصبت الفضيلة والكرامة والشرف وسميت أمّ المؤمنين وضرب عليك الحجاب ببني هاشم فهم أعظم الناس عليك منّة وأحسنهم عندك يداً ولست من اختلاف الناس في شيء لولا لك من الأمر شيء وعليّ أولىٰ بدم عثمان فاتقي الله واحفظي قرابته وسابقته فقد علمت أنّ الناس بايعوا أباك فما أظهر عليه خلافاً وبايع أبوك عمر وجعل الأمر له دونه فصبر وسلّم ولم يزل بهما برّاً ثمّ كان من أمرك وأمر الناس وعثمان ما قد علمت ثمّ بايعتم عليّاً فغبنا عنكم فأتتنا رسلكم بالبيعة فبايعنا وسلّمنا.

فلّما قضىٰ كلامه قالت عائشة: يا أبا عبد الله ألقيت أخاك أبا محمّد يعني طلحة؟

فقال لها: ما لقيته بعد وما كنت لآتي أحداً ولا أبدأ به قبلك.

قالت: فأته فانظر ماذا يقول؟

قال: فأتيناه فكلّمه عمران فلم يجد عنده شيئاً ممّا يحبّ فخرجنا من عنده فأتينا الزبير وهو متكيء وقد بلغه كلام عمران وما قال لعائشة فلمّا رآنا قعد وقال:

أيحسب ابن أبي طالب أنّه حين ملك ليس لأحد معه أمر فلمّا رأىٰ ذلك عمران لم يكلّمه فأتىٰ عمران عثمان فأخبره.

ثمّ ذهب إليهما الأحنف بن قيس فقال لعائشة: يا أُمّ المؤمنين وما الذي أقدمك وما أشخصك وما تريدين؟

قالت: يا أحنف قتلوا عثمان.

فقال: يا أمّ المؤمنين مررت بك عام أوّل بالمدينة وأنا أُريد مكّة وقد أجمع الناس علىٰ قتل عثمان ورمي بالحجارة وحيل بينه وبين الماء فقلت لك: يا أم المؤمنين إعلمي أنّ هذا الرجل مقتول ولو شئت لتردّين عنه وقلتِ فإن قتل فإلىٰ من؟

فقلت: إلىٰ عليّ بن أبي طالب.

قالت: يا أحنف صفّوه حتىٰ إذا جعلوه مثل الزجاجة قتلوه.

فقال لها أقبل قولك في الرّضا ولا أقبل قولك في الغضب.

ثمّ أتىٰ طلحة فقال: يا أبا محمّد ما الذي أقدمك وما الذي أشخصك وما تريد؟

قال: قتلوا عثمان.

قال: مررت بك عاماً أوّل بالمدينة وأنا أُريد العمرة وقد أجمع الناس علىٰ قتل عثمان ورمي بالحجارة وحيل بينه وبين الماء فقلت لكم: إنكم أصحاب رسول الله ﷺ لو تشاءون أن تردّوا عنه فعلتم.

فقلت: دبر فأدبر.

فقلت لك: فإن قتل فإلىٰ من؟

فقلت: إلىٰ عليّ بن أبي طالب.

فقال: ما كنّا نرىٰ أمير المؤمنين يرىٰ أن يأكل الأمر وحده[1].

---

(١) انظر بحار الأنوار: ٣٢/١٤٠.

الموقف في البصرة

حين نزل الموكب الناكث البصرة قصدهم عثمان بن حنيف فحاربهم فوجدوا أنفسهم في حرج منه لا سيما وأنّهم قد جاءوا لتوهم ولم يكونوا قد أعلموا الناس بمقصدهم وغايتهم، والبصرة عثمانية الرأي والناكثون قصدوها باعتبارها كذلك، ولا يتسنىٰ لهم أن يمرروا أهدافهم إلاّ أن يرفعوا شعار المطالبة بدم عثمان، وهذا ممّا يحتاج إلىٰ وقت. وفي مباغتة عثمان بن حنيف لهم وفتح ألسنة الحراب عليهم تفويت لفرصة التحرّك وانتشارٌ أمرهم فاضطرّوا من موقع الضعف والاحتيال إلىٰ الصلح معه فكتبوا بينهم كتاباً أنّ لعثمان دار الإمارة، وبيت المال، والمسجد إلىٰ أن يصل إليهم عليّ عليه السلام.

فقال طلحة لأصحابه في السرّ، والله لئن قدم عليّ البصرة لنؤخذنّ بأعناقنا فأتوا علىٰ عثمان بياتاً في ليلة ظلماء وهو يصلّي بالناس العشاء الآخرة وقتلوا منهم خمسين رجلاً واستأسروه ونتفوا شعره وحلقوا رأسه وحبسوه ثمّ بعثا عبد الله بن الزبير في جماعة إلىٰ بيت مال المسلمين فقتل أبا سلمة الزطّي في خمسين رجلاً[1].

---

(١) انظر المناقب: ٢/٣٣٥.

عليّ عليه السلام يتحرّك نحو البصرة

لمّا أراد عليّ عليه السلام المسير إلى البصرة قام فخطب الناس فقال بعد أن حمد الله وصلّى على رسوله:

إنّ الله لما قبض نبيّه استأثرت علينا قريش بالأمر ودفعتنا عن حقّ نحن أحقّ به من النّاس كافّة فرأيت أنّ الصّبر على ذلك أفضل من تفريق كلمة المسلمين وسفك دمائهم والناس حديثوا عهد بالإسلام والدّين يمخض مخض الوطب[1] يفسده أدنى وهن ويعكسه أقلّ خلق[2] فولي الأمر قوم لم يألوا في أمرهم اجتهاداً ثمّ انتقلوا إلى دار الجزاء والله وليّ تمحيص سيئاتهم والعفو عن هفواتهم فما بال طلحة والزبير وليسا من هذا الأمر بسبيل لم يصبرا عليّ حولاً ولا شهراً حتّى وثبا ومرقا ونازعاني أمراً لم يجعل الله لهما إليه سبيلاً بعد أن بايعا طائعين غير مكرهين يرتضعان أمّاً قد فطمت ويحييان بدعة قد أُميتت أدم عثمان زعما يطالبان؟ والله ما التبعة إلاّ عندهم وفيهم وإنّ أعظم حجّتهم لعلى أنفسهم وأنا راض بحجّة الله عليهم وعلمه فيهم فإن فاءا وأنابا فحظّهما أحرزا وأنفسهما غنما وأعظم بها غنيمة وإن أبيا أعطيتهما حدّ السّيف وكفى به ناصراً لحقّ وشافياً من باطل[3].

ثمّ نزل عليه السلام.

---

(١) الوطب: الزقّ الذي يكون فيه السّمن واللّبن.

(٢) المراد بالخلق إما قدم اللّبن ومضيّ زمان عليه أو خلق الزقّ فإنه يفسد اللّبن.

(٣) شرح ابن أبي الحديد: ١/ ٢٤٧ بيروت.

عليّ عليه السلام في الرّبذة[1]

لمّا نزل عليّ عليه السلام الرّبذة بعث هاشم بن عتبة بن أبي وقّاص إلىٰ أبي موسى الأشعريّ وهو الأمير يومئذ على الكوفة لينفر إليه الناس وكتب إليه معه:

من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس أما بعد: فإنّي بعثت إليك هاشم بن عتبة لتشخص إليّ من قبلك من المسلمين ليتوجهوا إلىٰ قوم نكثوا بيعتي وقتلوا شيعتي وأحدثوا في الإسلام هذا الحدث العظيم فأشخص بالنّاس إليّ معه حين يقدم عليك فإنّي لم أوّلك المصر الذي أنت به ولم أقرّك عليه إلاّ لتكون من أعواني على الحقّ وأنصاري علىٰ هذا الأمر والسّلام.

ولمّا أن قدم هاشم الكوفة دعا أبا موسىٰ فقال:

أتبّع ما كتب به إليك فأبىٰ ذلك فبعث إلىٰ هاشم يتوعّده فكتب إلىٰ عليّ بامتناعه وأنّه شاقّ بعيد الودّ ظاهر الغلّ والشنآن وأنّه هدّده بالسجن والقتل!! فلمّا ورد كتابه علىٰ أمير المؤمنين عليه السلام وقد أتاه به المُجِلُّ بن خليفة فسلّم عليه ثمّ قال: الحمد لله الّذي أدّى الحقّ إلىٰ أهله ووضعه موضعه فكره ذلك قوم وقد والله كرهوا نبوّة محمّد صلى الله عليه وآله ثمّ بارزوه وجاهدوه فردّ الله كيدهم في نحورهم وجعل دائرة السّوء عليهم والله يا أمير المؤمنين لنجاهدنّهم معك في كلّ موطن حفظاً لرسول الله صلى الله عليه وآله في أهل بيته إذ صاروا أعداء لهم بعده.

فرحب به عليّ عليه السلام وقال له خيراً ثمّ أجلسه إلى جانبه وقرأ كتاب هاشم وسأله عن النّاس وعن أبي موسىٰ فقال: يا أمير المؤمنين ما أثق به ولا آمنه علىٰ خلافك إن وجد من يساعده علىٰ ذلك.

فقال عليّ عليه السلام: والله ما كان عندي بمؤتمن ولا ناصح ولقد أردت عزله

---

(١) الربذة: قرية من قرى المدينة علىٰ ثلاثة أيّام قريبة من ذات عرق علىٰ طريق الحجاز.

فأتاني الأشتر وسألني أن أقرّه وذكر أن أهل الكوفة به راضون فأقررته.

وبعث عليه السلام بعد ذلك عبد الله بن عبّاس ومحمّد بن أبي بكر إلىٰ أبي موسىٰ وكتب معهما: من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلىٰ عبد الله بن قيس أمّا بعد يا ابن الحائك يا عاضّ أير أبيه[1] فوالله إن كنت لأرىٰ أن بعدك من هذا الأمر الذي لم يجعلك الله له أهلاً ولا جعل لك فيه نصيباً سيمنعك من ردّ أمري والإفتراء عليّ وقد بعثت إليك ابن عبّاس وابن أبي بكر فخلّهما والمصر وأهله واعتزل عملنا مذموماً مدحوراً فإن فعلت وإلاّ فإنّي قد أمرتهما أن ينابذاك علىٰ سواء إن الله لا يهدي كيد الخائنين فإذا ظهرا عليك قطّعاك إرباً إرباً والسلام علىٰ من شكر النعمة ووفا بالبيعة وعمل برجاء العافية[2].

قال ابن أبي الحديد: إنّ أبا موسىٰ كان يقول لأهل الكوفة: إنّ عليّاً إمام هدىً وبيعته صحيحة إلاّ أنّه لا يجوز القتال معه لأهل القبلة.

ولما بلغ علياً عليه السلام ذلك أرسل إليه هذا الكتاب أيضاً:

من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلىٰ عبد الله بن قيس أمّا بعد فقد بلغني عنك قول هو لك وعليك[3] فإذا قدم عليك رسولي فارفع ذيلك وأشدد مئزرك واخرج من حجرك[4] واندب من معك فإن حقّقت فانفذ وإن تفشّلت فأبعد وأيم الله لتؤتينّ حيث أنت ولا تترك حتّىٰ تخلط زبدك بخاثرك[5] وذائبك بجامدك وحتّىٰ تعجّل عن قعدتك وتحذر من أمامك كحذرك من خلفك[6] وما هي بالهوينا الّتي ترجو ولكنّها الدّاهية الكبرىٰ يركب جملها ويذلّ صعبها ويسهل جبلها فاعقل عقلك واملك أمرك وخذ نصيبك وحظّك فإن كرهت فتنحّ إلىٰ غير رحب ولا في نجاة فبالحريّ لتكفين

---

(١) الأير: الذكر وهو مثل ضربه أي من كثرت إخوته اشتدّ ظهره ولعلّ المعنىٰ هنا أخذه بسنّة أبيه الكافر ولزومه بجهله وعصبيّته ومعائبه أو قلّة أعوانه وأنصاره ودناءته.

(٢) راجع شرح ابن أبي الحديد: ٤/ ٢٩٠ بيروت.

(٣) لاشتماله علىٰ الحقّ والباطل.

(٤) الأمر برفع الذيل وشدّ المئزر كنايتان عن الاهتمام في الأمر والخروج من الحجر استهانة به حيث جعله ثعلباً أو ضبعاً.

(٥) الخاثر: اللّبن الغليظ والزبد: خلاصة اللبن وصفوته.

(٦) قال ابن أبي الحديد: أي يأتيكم أهل البصرة مع طلحة ونأتيكم بأهل المدينة والحجاز فيجتمع عليكم سيفان من أمامكم ومن خلفكم.

وأنت نائم حتّىٰ لا يقال: أين فلان والله إنّه لحقّ مع محقّ وما يبالي ما صنع الملحدون والسّلام[1].

ولمّا بلغه عليه السلام خبر طلحة والزبير وقتلهما حكيم بن جبلة ورجالاً من الشيعة وضربهما عثمان بن حنيف وقتلهما السّبابجة[2] قام على الغرائر[3] فقال: إنّه أتاني خبر متفظّع ونبأ جليل أنّ طلحة والزبير وردا البصرة فوثبا علىٰ عاملي فضرباه ضرباً مبرحاً وترك لا يدري أحيّ هو أم ميّت وقتلا العبد الصّالح حكيم بن جبلة في عدّة من رجال المسلمين الصّالحين لقوا الله موفون ببيعتهم ماضون علىٰ حقّهم وقتلا السّبابجة خزّان بيت مال المسلمين قتلوهم صبراً وقتلوا طائفة منهم غدراً. فبكى الناس بكاءً شديداً ورفع أمير المؤمنين عليه السلام يديه يدعو ويقول: اللّهمّ أجز طلحة والزبير جزاء الظّالم الفاجر والخفور الغادر[4].

وفي الرّبذة لقيه بها آخر الحاجّ فاجتمعوا ليسمعوا من كلامه وهو في خبائه قال ابن عبّاس فأتيته فوجدته يخصف نعلاً فقلت له نحن إلىٰ أن تصلح أمرنا أحوج منّا إلىٰ ما تصنع فلم يكلّمني حتّىٰ فرغ من نعله ثمّ ضمّها إلىٰ صاحبتها وقال لي: قوّمهما. فقلت: ليس لهما قيمة قال: على ذاك، قلت: كسر درهم، قال: والله لهما أحبّ إليّ من أمركم هذا إلاّ أن أقيم حقّاً أو أدفع باطلاً، قلت: إنّ الحاجّ اجتمعوا ليسمعوا من كلامك فتأذن لي أن أتكلّم فإن كان حسناً كان منك وإن كان غير ذلك كان منّي؟ قال: لا أنا أتكلّم ثمّ وضع يده علىٰ صدري وكان ششن الكفين فآلمني ثمّ قام فأخذت بثوبه وقلت: نشدتك الله والرّحم قال: لا تنشدني ثمّ خرج فاجتمعوا عليه فحمد الله وأثنىٰ عليه ثمّ قال:

أمّا بعد فإنّ الله بعث محمّداً صلى الله عليه وآله وليس في العرب أحد يقرأ كتاباً ولا يدّعي نبوّة فساق الناس إلىٰ منجاتهم أم والله ما زلت في ساقتها ما غيّرت ولا بدّلت ولا خنت حتّىٰ تولّت بحذافيرها.

مالي ولقريش أم والله لقد قاتلتهم كافرين ولأقاتلنّهم مفتونين وإنّ مسيري هذا عن عهد إليّ فيه، أم والله لأبقرنّ الباطل حتّىٰ يخرج الحقّ من خاصرته ما تنقم منّا

(١) نهج البلاغة: ٦٣ المختار من الكتب.
(٢) السبابجة: قوم من السند كانوا بالبصرة جلاوزة وحزاس السجن.
(٣) الغرائر: ص٥١.
(٤) بحار الأنوار: ٣٢/ ٩٢.

قريش إلاّ أنّ الله اختارنا عليهم فأدخلناهم في حيّزنا وأنشد:

أدَمْتَ لعمري شربك المحض خالصاً وأكلك بالزبد المقشّرة البجرا
ونحن وهبناك العلاء ولم تكن عليّاً وحطنا حولك الجرد والسمرا[1]

وعليّ عليه السلام وهو مشغول بإعداد العدّة والتأهب لملاقاة عدوّه لا يترك عملاً من شأنه أن يردّ اعتباراً لمسلم بل لا يرذ طلباً لمستضعف وهذه هي الابوة بعينها وهذا هو الذوق السليم الذي يجب أن يكون عليه والي المسلمين وأمير المؤمنين.

أتاه رجل من محارب[2] فقال: يا أمير المؤمنين إنّي تحمّلت في قومي حمالة[3] وإنّي سألت في طوائف منهم المواساة والمعونة فسبقت إليّ ألسنتهم بالنكد فمرهم يا أمير المؤمنين بمعونتي وحثّهم علىٰ مواساتي.

فقال: أين هم؟ فقال: هؤلاء فريق منهم حيث ترىٰ ـ قال: فنصّ راحلته[4] فأدلف كأنّها ظليم[5] فأدلف بعض أصحابه في طلبها فلأيا بلأيٍ[6] ما لحقت فانتهىٰ إلى القوم فسلّم عليهم وسألهم ما يمنعهم من مواساة صاحبهم؟ فشكوه وشكاهم.

فقال أمير المؤمنين: وصل امرء عشيرته فإنّهم أولىٰ ببرّه وذات يده ووصلت العشيرة أخاها إن عثر به دهر وأدبرت عنه ديناً فإنّ المتواصلين المتباذلين مأجورون وإنّ المتقاطعين المتدابرين موزورون، ثمّ بعث راحلته.

---

(١) الإرشاد: ص١٣٢ ذكر هذه القصة الرضي رضي الله عنه وهو عليه السلام في ذي قار راجع نهج البلاغة في المختار من خطبه ٣٣.

(٢) محارب: اسم قبيلة.

(٣) الحمالة بالفتح ما يتحمّله الإنسان من غيره من دية أو غرامة.

(٤) نصّ راحلته: استخرج أقصىٰ ما عندها من السير.

(٥) الدلف: المشي الرويد والظليم: ذكر النعامة.

(٦) لآىٰ لأيا: أي أبطأ.

عليّ عليه السلام في ماء العذيب[1]

ولمّا نزل عليّ عليه السلام بماء العذيب كتب كتاباً إلى أهل الكوفة وبعثه مع ابنه الحسن عليه السلام وعمّار بن ياسر وهو:

من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلىٰ أهل الكوفة جبهة الأنصار وسنام العرب أمّا بعد: فإنّي أخبركم في أمر عثمان حتّىٰ يكون سمعه كعيانه، إنّ النّاس طعنوا عليه فكنت رجلاً من المهاجرين أكثر استعتابه وأقلّ عتابه[2] وكان طلحة والزبير أهون سيرهما فيه الوجيف[3] وأرفق حدائهما العنيف!!! وكان من عائشة فيه فلتة غضب فأتيح له قوم قتلوه وبايعني الناس غير مستكرهين ولا مجبرين بل طائعين مخيّرين واعلموا أنّ دار الهجرة قد قلعت بأهلها وقلعوا بها وجاشت جيش المرجل[4] وقامت الفتنة علىٰ القطب فأسرعوا إلىٰ أميركم وبادروا جهاد عدوّكم إنشاء الله[5].

فلمّا قرأ الكتاب على الناس قام خطباء الكوفة شريح بن هانىء وغيره فقالوا: والله لقد أردنا أن نركب إلى المدينة حتّىٰ نعلم علم عثمان فقد أنبأنا الله به في بيوتنا ثمّ بذلوا السّمع والطّاعة وقالوا: رضينا بأمير المؤمنين ونطيع أمره ولا نتخلّف عن دعوته والله لو لم يستنصرنا لنصرناه سمعاً وطاعة.

---

(١) ماء العذيب: وهو ماء بين القادسية والمغيثة بينه وبين القادسية أربعة أميال وإلىٰ المغيثة اثنان وثلاثون ميلاً، وقيل: هو واد لبني تميم وهو من منازل حاج الكوفة.

(٢) أكثر استعتابه: أي أكثر طلب العتبىٰ منه والرجوع إلىٰ ما يرضىٰ به القوم منه وأقلّ عتابه أي لائمته علىٰ وجه الإذلال أما لعدم النفع أو للمصلحة.

(٣) الوجيف: السير السريع.

(٤) جاشت: غلت والمرجل: القدر من النحاس.

(٥) نهج البلاغة: المختار الأول من الكتب.

فلمّا سمع الحسن بن عليّ عليه السلام ذلك قام خطيباً فقال: أيّها النّاس إنّه قد كان من أمير المؤمنين عليّ ما تكفيكم جملته وقد أتيناكم مستنفرين لكم لأنكم جبهة الأمصار ورؤساء العرب وقد كان من نقض طلحة والزبير بيعتهما وخروجهما بعائشة ما قد بلغكم وهو ضعف النساء وضعف رأيهنّ وقد قال الله تعالى: **﴿الرّجال قوامون علىٰ النساء﴾**[1] وأيم الله لو لم ينصره أحد لرجوت أن يكون له فيمن أقبل معه من المهاجرين والأنصار ومن يبعث الله له من نجباء الناس كفاية فانصروا الله ينصركم.

ثمّ جلس وقام عمّار بن ياسر فقال: يا أهل الكوفة إن كانت غابت عنكم أبداننا فقد انتهت إليكم أمورنا إنّ قاتلي عثمان لا يعتذرون إلى النّاس وقد جعلوا كتاب الله بينهم وبين محاجّيهم أحيى من أحيى وقتل من قتل وإنّ طلحة والزّبير أوّل من طعن وآخر من أمر ثمّ بايعا أوّل من بايع فلمّا أخطأهما ما أمّلا نكثا بيعتهما علىٰ غير حدث كان وهذا ابن الرسول يستنفركم في المهاجرين والأنصار فانصروا ينصركم الله[2].

(١) سورة النساء، الآية: ٣٤.
(٢) أمالي الطوسي: ٢/ ٨٧.

عليّ عليه السلام في قائد

عن جابر بن يزيد الجعفي قال: سمعت أبا جعفر محمّد بن عليّ عليه السلام يقول: حدّثني أبي عن جدّي قال:

لمّا توجّه أمير المؤمنين عليه السلام من المدينة إلى الناكثين بالبصرة نزل الرّبذة فلمّا ارتحل منها لقيه عبد الله بن خليفة الطّائي وقد نزل بمنزل يقال له: قائد فقرّبه أمير المؤمنين عليه السلام ورحّب به وأجلسه إلىٰ جنبه.

فهو مع عبد الله في هذا ونحوه إذ أقبل سواد كثير من قبل جبال طيء فقال أمير المؤمنين عليه السلام أنظروا ما هذا السّواد؟ وقد ذهبت الخيل تركض فلم تلبث أن رجعت فقيل: هذه طيء قد جاءتك تسوق الغنم والإبل والخيل فمنهم من جاءك بهداياه وكرامته ومنهم من يريد النفوذ معك إلىٰ عدوّك فقال أمير المؤمنين عليه السلام: جزى الله طيّاً خيراً وفضّل الله المجاهدين علىٰ القاعدين أجراً عظيماً فلمّا انتهوا إليه سلّموا عليه.

قال عبد الله بن خليفة فسرّني والله ما رأيت من جماعتهم وحسن هيئتهم وتكلّموا فأقروا والله لعيني ما رأيت خطيباً أبلغ من خطبهم.

وقام عديّ بن حاتم الطّائي فحمد الله وأثنىٰ عليه ثمّ قال: أمّا بعد فإنّي كنت أسلمت علىٰ عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وأدّيت الزّكاة علىٰ عهده وقاتلت أهل الرِدّة من بعده أردت بذلك ما عند الله وعلى الله ثواب من أحسن وأتّقىٰ وقد بلغنا أنّ رجالاً من أهل مكّة نكثوا بيعتك وخالفوا عليك ظالمين فأتيناك لننصرك بالحقّ فنحن بين يديك فمرنا بما أحببت ثمّ أنشأ يقول:

فنحن نصرنا الله من قبل ذاكم وأنت بحقّ جئتنا فستنصر
سنكفيك دون النّاس طراً بنصرنا وأنت به من سائر النّاس أجدر

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: جزاكم الله من حيّ عن الإسلام وأهله خيراً فقد أسلمتم طائعين وقاتلتم المرتدّين ونويتم نصر المسلمين.

وقام سعيد بن عبيد البختري من بني بختر فقال: يا أمير المؤمنين إنّ من النّاس من يقدر أن يعبّر بلسانه عمّا في قلبه ومنهم من لا يقدر أن يبيّن ما يجده في نفسه بلسانه فإن تكلّف ذلك شقّ عليه وإن سكت عمّا في قلبه برح به الهمّ والبرم وإنّي والله ما كلّ ما في نفسي أقدر أن أؤدّيه إليك بلساني ولكن والله لأجهدنّ علىٰ أن أبيّن لك والله وليّ التوفيق أما أنا فإنّي ناصح لك في السرّ والعلانية ومقاتل معك الأعداء في كلّ موطن وأرىٰ لك من الحقّ ما لم أكن أراه لمن كان قبلك ولا لأحد اليوم من أهل زمانك لفضيلتك في الإسلام وقرابتك من الرّسول ولن أفارقك أبداً حتّىٰ تظفر أو أموت بين يديك.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: يرحمك الله فقد أدّىٰ لسانك ما يجد ضميرك لنا ونسأل الله أن يرزقك العافية ويثيبك الجنّة.

وتكلّم نفر منهم فما حفظت غير كلام هذين الرّجلين.

ثمَّ ارتحل أمير المؤمنين عليه السلام واتّبعه منهم ستّمائة رجل حتّىٰ نزل «ذي قار» فنزلها في ألف وثلاثمائة رجل[1].

---

(١) أمالي المفيد: ص١٧١ وأمالي الطّوسي: ١/ ٦٧ بتصرف.

عليّ عليه السلام في ذي قار[1]

لمّا نزل عليّ عليه السلام بذي قار أخذ البيعة علىٰ من حضره ثمّ تكلّم فأكثر من الحمد لله والثناء عليه والصّلاة علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ قال:

قد جرت أُمور صبرنا عليها وفي أعيننا القذىٰ تسليماً لأمر الله فيما امتحننا به رجاء الثواب علىٰ ذلك وكان الصبر عليها أمثل من أن يتفرّق المسلمون ويسفك دماؤهم نحن أهل البيت وعترة الرّسول وأحقّ الخلق بسلطان الرسالة ومعدن الكرامة الّتي ابتدأ الله بها هذه الأُمّة وهذا طلحة والزبير ليسا من أهل النبوّة ولا من ذرّية الرسول حين رأيا أنّ الله قد ردّ علينا حقّنا بعد أعصر لم يصبرا حولاً واحداً ولا شهراً كاملاً حتّىٰ وثبا علىٰ دأب الماضين قبلهما ليذهبا بحقّي ويفرّقا جماعة المسلمين عنّي.

ثمّ دعا عليه السلام عليهما[2].

والتقىٰ أهل الكوفة بأمير المؤمنين عليه السلام بذي قار حيّوا به ثمّ قالوا: الحمد لله الّذي خصّنا بجوارك وأكرمنا بنصرتك.

فقام أمير المؤمنين عليه السلام فيهم خطيباً فحمد الله وأثنىٰ عليه وقال: يا أهل الكوفة إنّكم من أكرم المسلمين وأقصدهم تقويماً وأعدلهم سنّة وأفضلهم سهماً في الإسلام وأجودهم في العرب مركباً ونصاباً أنتم أشدّ العرب ودّاً للنبيّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته وإنّما جئتكم ثقةً بعد الله بكم للذي بذلتم من أنفسكم عند نقض طلحة والزبير وخلعهما طاعتي وإقبالهما بعائشة للفتنة وإخراجهما إيّاها من بيتها حتّىٰ أقدماها البصرة فاستغووا طغامها وغوغائها[3] مع أنّه قد بلغني أنّ أهل الفضل منهم

---

(١) ذي قار: موضع قريب من البصرة.

(٢) راجع الإرشاد: ص١٣٣ ط النجف.

(٣) الطغام: بالفتح أوغاد الناس والغوغاء: الكثر من الناس المختلطون.

وخيارهم في الذين قد اعتزلوا وكرهوا ما صنع طلحة والزبير ثمّ سكت عليه السلام.

فقال أهل الكوفة: نحن أنصارك وأعوانك على عدوّك ولو دعوتنا إلى أضعافهم من الناس احتسبنا في ذلك الخير ورجوناه فدعا لهم أمير المؤمنين وأثنى عليهم ثمّ قال:

لقد علمتم معاشر المسلمين أنّ طلحة والزبير بايعاني طائعين غير مكرهين راغبين ثمّ استأذناني في العمرة فأذنت لهما فسارا إلى البصرة فقتلا المسلمين وفعلا المنكر اللّهمّ إنّهما قطعاني وظلماني وجنياني ونكثا بيعتي وأكبّا النّاس عليّ فاحلل ما عقدا ولا تحكم ما أبرما وأرهما المائة فيما عملا[1].

ولمّا نفر عليه السلام من ذي قار متوجّهاً إلى البصرة قال: بعد حمد الله والثناء عليه والصّلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله:

أمّا بعد: فإنّ الله تعالى فرض الجهاد وعظّمه وجعله نصرة له، والله ما صلحت دنيا قطّ ولا دين إلاّ به، وإنّ الشيطان قد جمع حزبه واستجلب خيله وشبّه في ذلك وخدع وقد بانت الأمور وتمخّضت.

والله ما أنكروا عليّ منكراً ولا جعلوا بيني وبينهم نصفاً وأنّهم ليطلبون حقّاً تركوه ودماً سفكوه ولئن كنت شركتهم فيه إنّ لهم نصيبهم منه، ولئن كانوا ولّوه دوني فما تبعته إلاّ قبلهم وإنّ أعظم حجّتهم لعلى أنفسهم وإنّي لعلى بصيرتي ما التبست عليّ وإنّها للفئة الباغية فيها اللّحم واللّحمة[2] قد طالت هينتها[3] وأمكنت درّتها يرضعون أمّاً فطمت ويحيون بيعة تركت ليعود الضلال إلى نصابه ما اعتذر ممّا فعلت ولا أتبرأ ممّا صنعت فيا خيبة للداعي ومن دعا لو قيل له إلى من دعوتك وإلى من أجبت ومن إمامك وما سنّته إذاً لزاح الباطل عن مقامه ولصمت لسانه فما نطق.

وأيم الله لأفرطنّ لهم حوضاً أنا ماتحه[4] ولا يصدرون عنه ولا يلقون بعده

---

(١) الإرشاد: ص١٣٣.

(٢) لحم كلّ شيء: لبّه، واللّحمة بالضمّ: القرابة أي فيها من يظنّ الناس أنهم لبّ الصحابة وفيهم من يدّعي قرابة الرسول كالزبير.

(٣) قد طالت هينتها: الهينة: الرفق والسكون شبه تلك الفئة وفتنتها بناقة طال سكونها وأمكنت من حلبها كناية عن استمرار الفتنة وتمكّنها في أهل الجهل.

(٤) ماتحه: ص٦٠.

ريّاً أبداً وإنّي لراض بحجّة الله عليهم وعذره فيهم إذ أنا داعيهم فمعذر إليهم فإن تابوا وأقبلوا فالتوبة مبذولة والحقّ مقبول وليس على الله كفران وإن أبوا أعطيتهم حدّ السيف فكفى به شافياً من باطل وناصراً لمؤمن[1].

(١) الإرشاد: ص١٣٤.

حفصة وحقدها الأعمى لعليّ عليه السلام

لمّا نزل عليّ عليه السلام ذي قار كتبت عائشة إلى حفصة أمّا بعد فإنّي أُخبرك أنّ علياً قد نزل ذي قار وأقام بها مرعوباً خائفاً لما بلغه من عدّتنا وجماعتنا فهو بمنزلة الأشقر إن تقدّم عُقِر وإن تأخّر نحر.

فدعت حفصة جواري لها يتغنّين ويضربن بالدّفوف فأمرتهن أن يقلن في غنائهنّ: ما الخبر ما الخبر؟ عليّ في السّفر كالفرس الأشقر إن تقدّم عقر وإن تأخّر نحر.

وجعلت بنات الطلقاء يدخلن على حفصة ويجتمعن لسماع ذلك الغناء.

فبلغ أُمّ كلثوم بنت عليّ عليه السلام ذلك فلبست جلابيبها ودخلت عليهنّ في نسوة متنكّرات ثمّ أسفرت عن وجهها فلمّا عرفتها حفصة خجلت واسترجعت فقالت أُمّ كلثوم: لئن تظاهرتما عليه اليوم لقد تظاهرتما على أخيه من قبل فأنزل الله فيكما ما أنزل، فقالت حفصة: كفّي رحمكِ الله وأمرت بالكتاب فمزّق واستغفرت الله[١].

(١) شرح ابن أبي الحديد: ٤/ ٢٩٠.

عليّ عليه السلام يصل البصرة

وحين دخل عليّ عليه السلام البصرة جمع أصحابه فحرّضهم على الجهاد وقال:

عباد الله انهدوا إلىٰ هؤلاء القوم منشرحة صدوركم بقتالهم فإنّهم نكثوا بيعتي وأخرجوا ابن حنيف عاملي بعد الضرب المبرّح والعقوبة الشديدة وقتلوا السّبابجة ومثّلوا بحكيم بن جبلة العبديّ وقتلوا رجالاً صالحين ثمَّ تتبّعوا منهم من نجا يأخذونهم في كلّ حائط وتحت كلّ رابية ثمَّ يأتون بهم فيضربون رقابهم صبراً ما لهم قاتلهم الله أنّىٰ يؤفكون.

انهدوا إليهم وكونوا أشدّاء عليهم والقوم صابرين محتسبين تعلمون أنّكم منازلوهم ومقاتلوهم ولقد وطّنتم أنفسكم علىٰ الطعن الدُّعسيّ والضرب الطلحفي[1] ومبارزة الأقران.

وأيّ امرء أحسّ من نفسه رباطة جأش عند اللّقاء ورأىٰ من أحد من إخوانه فشلاً فليذبّ عن أخيه الذي فضّل عليه كما يذبّ عن نفسه فلو شاء الله لجعله مثله[2].

جاء كلامه هذا عليه السلام بعد الإنذار يتلوه الإنذار إلى الناكثين أن يرجعوا إلىٰ رشدهم ويتوبوا إلىٰ ربهم من ذلك ما قاله لعبد الله بن عبّاس وقد أرسله إلى الزبير يستفيئه إلىٰ طاعته لا تلقينّ طلحة فإنّك إن تلقه تجده كالثور عاقصاً[3] قرنه يركب

---

(١) الدّعسيّ: بفتح الذّال والياء المشدّدة قال في القاموس: الدعس: شدّة الوطيء والطعن والطعان والمداعسة: المطاعنة. والطلحف بكسر الطّاء وفتح اللاّم وسكون الحاء: الشديد.

(٢) الإرشاد: ١٣٤ ط النجف.

(٣) عاقصاً: عاطفاً.

الصعب ويقول هو الذلول ولكن الق الزبير فإنّه ألين عريكة[1] فقل له: يقول لك ابن خالك: عرفتني بالحجاز وأنكرتني بالعراق فما عدا ممّا بدا[2].

(١) العريكة: الطبيعة.

(٢) نهج البلاغة: المختار من الكتب ٣١.

رسول الناكثين إلىٰ عليّ عليه السلام

بعث طلحة والزبير رجلاً من عبد القيس يقال له خداش إلىٰ أمير المؤمنين عليه السلام وقالا له: إنّا نبعثك إلىٰ رجل طال ما كنّا نعرفه وأهل بيته بالسّحر والكهانة وأنت أوثق من بحضرتنا من أنفسنا من أن تمتنع من ذلك منه وإن تحاجه لنا حتّىٰ تقفه علىٰ أمر معلوم واعلم أنّه أعظم النّاس دعوى فلا يكسرنّك ذلك عنه ومن الأبواب الّتي يخدع النّاس بها الطعام والشراب والعسل والدّهن وأن يخالي الرجل فلا تأكل له طعاماً ولا تشرب له شراباً ولا تمسّ له عسلاً ولا دهناً ولا تخل معه واحذر هذا كلّه منه وانطلق علىٰ بركة الله فإذا رأيته فاقرأ آية السحرة وتعوّذ بالله من كيده وكيد الشيطان فإذا جلست إليه فلا تمكّنه من بصرك كلّه ولا تستأنس به ثمّ قل له: إنّ أخويك في الدين وابني عمّيك يناشدانك القطيعة ويقولان لك: أما تعلم أنّا تركنا الناس لك وخالفنا عشائرنا فيك منذ قبض الله عزّ وجلّ محمداً صلى الله عليه وآله فلمّا نلت أدنىٰ منال ضيّعت حرمتنا وقطعت رجاءنا ثمّ قد رأيت أفعالنا فيك وقدرتنا على النأي عنك وسعة البلاد دونك وإنّ من كان يصرفك عنّا وعن صلتنا كان أقلّ لك نفعاً وأضعف عنك دفعاً منّا وقد وضح الصبح لذي عينين وقد بلغنا عنك انتهاك لنا ودعاء علينا فما الذي يحملك علىٰ ذلك فقد كنّا نرىٰ أنّك أشجع فرسان العرب أتتخذ اللّعن لنا ديناً وترىٰ أن ذلك يكسرنا عنك.

فلمّا أتىٰ خداش أمير المؤمنين عليه السلام صنع ما أمراه فلمّا نظر إليه عليّ عليه السلام وهو يناجي نفسه ضحك وقال: ها هنا يا أبا عبد قيس وأشار له إلىٰ مجلس قريب منه فقال: ما أوسع المكان أريد أن أُؤدّي إليك رسالة، قال: بل تطعم وتشرب وتخلّي ثيابك وتدهن ثمّ تؤدّي رسالتك قم يا قنبر فأنزله، قال: ما بي إليٰ شيء مما ذكرت حاجة قال: فأخلو بك قال: كلّ سرّ لي علانية، قال: فأنشدك الله الذي هو أقرب إليك من نفسك الحائل بينك وبين قلبك الّذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصّدور أتقدّم لك الزبير بما عرضت عليك؟ قال: اللّهمّ

نعم. قال: لو كتمت بعدما سألتك ما ارتدّ إليك طرفك فأنشدك الله هل علّمك كلاماً تقوله إذا أتيتني؟ قال: اللّهمّ نعم، قال عليّ عَلَيْتَكِلاِرْ: آية السحرة؟ قال: نعم، قال: فاقرأها فقرأها، قال: أتجد قلبك اطمأن؟ قال: أي والذي نفسي بيده قال: فما قالا لك؟ فأخبره فقال: قل لهما: كفىٰ بمنطقكما حجّة عليكما ولكنّ الله لا يهدي القوم الظالمين زعمتما أنكما أخواي في الدّين وابنا عميّ في النسب، أمّا النسب فلا أنكره وإن كان النسب مقطوعاً إلاّ ما وصله الله بالإسلام.

وأمّا قولكما أنّكما أخواي فإن كنتما صادقين فقد فارقتما كتاب الله عز وجل وعصيتما أمره بأفعالكما في أخيكما في الدّين وإلاّ فقد كذبتما وافتريتما بادّعائكما أنكما أخواي في الدّين.

وأمّا مفارقتكما الناس منذ قبض الله محمّداً فإن كنتما فارقتماهم بحقّ فقد نقضتما ذلك الحقّ بفراقكما إيّاي أخيراً وإن فارقتماهم بباطل فقد وقع اثم ذلك الباطل عليكما مع الحدث الذي أحدثتما مع أنّ صفقتكما بمفارقتكما الناس لم يكن إلاّ لطمع الدّنيا زعمتما وذلك قولكما «قطعت رجاءنا» لا تعيبان بحمد الله عليّ من ديني شيئاً.

وأمّا الذي صرفني عن صلتكما فالذي صرفكما عن الحقّ وحملكما علىٰ خلعه من رقابكما كما يخلع الحرون لجامه وهو الله ربّي لا أشرك به شيئاً فلا تقولا هو أقل نفعاً وأضعف دفعاً فتستحقّا اسم الشرك مع النّفاق.

وأمّا قولكما «إنّي أشجع فرسان العرب وهربكما من لعني ودعائي فإنّ لكلّ موقف عملاً إذا اختلفت الأسنّة وماجت لبود الخيل وملأ سحراكما أجوافكما فثمّ يكفيني الله بكمال القلب.

وأمّا إذا أبيتما بأنّي أدعو الله فلا تجزعا من أن يدعو عليكما رجل ساحر من قوم سحرة زعمتما.

ثمّ قال: اللّهمّ اقعص الزبير شرّ قتلة وأسفك دمه علىٰ ضلالة وعرّف طلحة المذلّة وادّخر لهما في الآخرة شرّاً من ذلك إن كان ظلماني وافتريا عليّ وكتما شهادتهما وعصياني وعصيا رسولك فيّ قل آمين.

قال خداش: آمين ثمّ قال خداش لنفسه والله ما رأيت لحية قطّ أبين خطأً

منك حامل حجّة ينقض بعضها بعضاً لم يجعل الله لها سماكاً أنا أبرأ إلىٰ الله منهما.

ثمَّ قال عليّ عليه السلام : ارجع إليهما وأعلمهما ما قلت: قال: لا والله حتّىٰ تسأل الله أن يردّني إليك عاجلاً وأن يوفقني لرضاه فيك!! ففعل فلم يلبث أن انصرف وقتل معه يوم الجمل رحمه الله[1].

(١) راجع الأصول من الكافي: ١/ ٣٤٣ بتصرف.

بدء المعركة

زحف عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بالنّاس غداة يوم الجمعة لعشر ليال خلون من جمادي الآخرة سنة ست وثلاثين، على ميمنته الأشتر وسعيد بن قيس، وعلى ميسرته عمّار وشريح بن هانىء وعلى القلب محمّد بن أبي بكر وعديّ بن حاتم وعلى الجناح زياد بن كعب وحجر بن عدي وعلى الكمين عمرو بن الحمق وجندب بن زهير وعلى الرّجالة أبو قتادة الأنصاري. وأعطى رايته محمّد بن الحنفيّة ثمّ أوقفهم من صلاة الغداة إلى صلاة الظهر يدعوهم ويناشدهم ويقول لعائشة: إنّ الله أمركِ أن تقرّي في بيتك فاتّقي الله وارجعي ويقول لطلحة والزبير خبأتما نساءكما وأبرزتما زوجة رسول الله ﷺ واستفززتماها فيقولان: إنّما جئنا للطلب بدم عثمان وأن يردّ الأمر شورى.

ثمّ قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ للزبير أما تذكر يوماً كنت مقبلاً بالمدينة تحدثني إذ خرج رسول الله ﷺ فرآك معي وأنت تبتسم إليّ فقال لك: يا زبير أتحب عليّاً؟ فقلت: وكيف لا أُحبّه وبيني وبينه من النسب والمودّة في الله ما ليس لغيره - قال: إنّك ستقاتله وأنت ظالم له فقلت: أعوذ بالله من ذلك.

ثمّ قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ دع هذا بايعتني طائعاً ثمّ جئت محارباً فما عدا ممّا بدا؟ فقال: لا جرم والله لا قاتلتك، فلقيه عبد الله ابنه فقال جبناً جبناً؟ فقال: يا بنيّ قد علم الناس أنّي لست بجبان ولكن ذكّرني عليّ شيئاً سمعته من رسول الله ﷺ فحلفت أن لا أُقاتله فقال: دونك غلامك فلان فأعتقه كفّارة ليمينك.

وقالت له عائشة: لا والله بل خفت سيوف ابن أبي طالب أما إنّها طوال حداد تحملها سواعد أنجاد ولئن خفتها فلقد خافها الرّجال من قبلك.

فرجع إلى القتال فقيل لأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ إنّه قد رجع فقال: دعوه فإنّ الشيخ محمول عليه ثمّ قال:

أيها الناس غضوا أبصاركم وعضوا على نواجذكم وأكثروا من ذكر ربكم وإيّاكم وكثرة الكلام فإنّه فشل.

ونظرت عائشة إليه وهو يجول بين الصّفين فقالت: انظروا إليه كأنّ فعله فعل رسول الله ﷺ يوم بدر أما والله لا ينتظر بك إلاّ زوال الشمس.

فقال عليّ عليه السلام: يا عائشة عمّا قليل لتصبحنّ نادمين.

فجدّ الناس في القتال فنهاهم أمير المؤمنين عليه السلام وقال: اللّهمّ إنّي أعذرت وأنذرت فكن لي عليهم من الشاهدين.

ثمّ أخذ المصحف وطلب من يقرأه عليهم «وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما».

فقال مسلم المجاشعي: ها أنذا فأخذه ودعاهم إلى الله فقطعت يده اليمنى فأخذه بيده اليسرى فقطعت فأخذه بأسنانه فقتل، فقالت أمّه:

يا ربّ إنّ مسلماً أتاهم ... بمحكم التنزيل إذ دعاهم
يتلو كتاب الله لا يخشاهم ... فرمّلوه رمّلت لحاهم

فقال عليه السلام الآن طاب الضراب.

وقال لمحمّد بن الحنفيّة والرّاية في يده: يا بنيّ تزول الجبال ولا تزل عضّ على ناجذك أعر الله جمجمتك تد في الأرض قدميك ارم ببصرك أقصى القوم وغضّ بصرك واعلم أنّ النصر من الله.

ثمّ صبر سويعة فصاح الناس من كلّ جانب من وقع النبال فقال عليه السلام: تقدّم يا بنيّ، فتقدّم وطعن طعناً منكراً، وقال:

اطعن بها طعن أبيك تحمد ... لا خير في حرب إذا لم توقد
بالمشرّفي والقنا المسدّد ... والضرب بالخطّي والمهنّد[1]

فأمر الأشتر أن يحمل فحمل وقتل هلال بن وكيع صاحب ميمنة الجمل:

وخرج عبد الله بن اليثربي قائلاً:

---

(١) المشرفية: سيف نسب إلى مشارف وهي قرية من أرض العرب، والخطّي: رماح تنسب إلى خطّ موضع باليمامة.

يا ربّ إنّي طالب أبا الحسن ذاك الّذي يعرف حقّاً بالفتن

فبرز إليه عليّ عليه السلام قائلاً:

إن كنت تبغي أن ترىٰ أبا الحسن فاليوم تلقاه مليّاً فاعلمن

وضربه ضربة مجزمة.

فخرج بنو ضبّة وجعل يقول بعضهم:

نحن بنو ضبّة أصحاب الجمل والموت أحلىٰ عندنا من العسل
ردّوا علينا شيخنا بمرتحل إنّ عليّاً بعد من شرّ النذل

وقال آخر:

نحن بنو ضبّة أعداء عليّ ذاك الّذي يعرف فيهم بالوصيّ

وكان عمرو بن اليثربي يقول:

إن تنكروني فأنا ابن اليثربي قاتل علباء وهند الجمل
ثمّ ابن صوحان علىٰ دين عليّ

فبرز إليه عمّار قائلاً:

لا تبرح العرصة يا ابن اليثربي أثبت أقاتلك علىٰ دين عليّ

فطعنه وأرداه عن فرسه وجرّ برجله إلىٰ عليّ فقتله بيده.

فخرج أخوه قائلاً:

أضربكم ولو أرىٰ عليّاً عمّمته أبيض مشرفيّاً
وأسمراً عنطنطاً خطّيّاً أبكي عليه الولد والوليّا(١)

فخرج إليه عليّ عليه السلام متنكراً وهو يقول:

يا طالباً في حربه عليّاً يمنحه أبيض مشرفيّاً
أثبت ستلقاه بها مليّاً مهذّباً سميدعاً كميّاً(٢)

---

(١)العنطنط: الطويل.

(٢) المليء: الثقة والسميدع: السيد والكميّ: الشجاع.

فضربه فرمىٰ نصف رأسه.

فناداه عبد الله بن خلف الخزاعي صاحب منزل عائشة بالبصرة أتبارزني؟

فقال عليه السلام ما أكره ذلك ولكن ويحك يا ابن خلف ما راحتك في القتل وقد علمت من أنا؟

فقال: ذرني من بذخك يا ابن أبي طالب ثمّ قال:

إن تدن منّي يا عليّ فترا فإنّني دان إليك شبرا
بصارم يسقيك كأساً مرّاً ها إنّ في صدري عليك وترا

فبرز إليه عليّ عليه السلام قائلاً:

يا ذا الذي يطلب منّي الوترا إن كنت تبغي أن تزور القبرا
حقّاً وتصلىٰ بعد ذاك جمرا فادن تجدني أسداً هزبرا[1]
أصعطك اليوم زعاقاً صبرا

فضربه فطيّر جمجمته.

فخرج مازن الضبيّ قائلاً:

إن تنكروني فأنا بن نهشل فارس هيجا وخطيب فيصل

فقتله.

وحمل أمير المؤمنين عليه السلام علىٰ بني ضبّة فما رأيتهم إلاّ كرماد اشتدّت به الريح في يوم عاصف وشدّ رجل من الأزد علىٰ محمد بن الحنفيّة وهو يقول: يا معشر الأزد كرّوا فضربه ابن الحنفيّة فقطع يده فقال: يا معشر الأزد فرّوا!!!

فخرج الأسود بن البختري السلميّ قائلاً:

ارحم إلهي الكل من سليم وانظر إليه نظرة الرّحيم

فقتله عمرو بن الحمق.

فخرج جابر الأزديّ قائلاً:

(١) الهزبر: الأسد.

يا ليت أهلي من عمار حاضري ... من سادة الأزد وكانوا ناصري

فقتله محمّد بن أبي بكر.

وخرج عوف القيني قائلاً:

يا أمّ يا أمّ خلا منّي الوطن ... لا أبتغي القبر ولا أبغي الكفن

فقتله محمّد بن الحنفيّة.

فخرج بشر الضبّي قائلاً:

ضبّة أبدي للعراق عمعمةً ... وأضرمي الحرب العوان المضرمة

فقتله عمّار.

وكان طلحة يحثّ الناس ويقول: عباد الله الصبر الصبر، وكان مروان بن الحكم يقول: والله ما أطلب ثأري بعثمان بعد اليوم أبداً فرمىٰ طلحة بسهم فأصاب ركبته والتفت إلىٰ أبان بن عثمان.

وقال: لقد كفيتك أحد قتلة أبيك.

وبهذا قال السيّد الحميري:

واختل من طلحة المزهوّ جُنّته ... سهم بكفّ قديم الكفر غدّار
في كفّ مروان مروان اللّعين أرىٰ ... رهط الملوك ملوك غير أخيار

وله:

واغترّ طلحة عند مختلف القنا ... عبل الذراع شديد أصل المنكب[1]
فاختل حبّة قلبه بمدلق ... ريّان من دم جوفه المتصبّب[2]
في مارقين من الجماعة فارقوا ... باب الهدىٰ وحيا الربيع المخصب

وأمّا الزبير فتبعه جُزموز وجزّ رأسه وأتىٰ به إلىٰ أمير المؤمنين.

وبهذا قال السيّد الحميري:

أمّا الزبير فحاص حين بدت له ... جاؤوا ببرق في الحديد الأشهب

---

(١) عبل الذراعين: أي ضخمهما.

(٢) دلق السيف من غمده: أخرجه.

حتّىٰ إذا أمن الحتوف وتحته عاري النواهق ذو نجاء صهلب
أثوىٰ ابن جُرموز عمير شلوه بالقاع منعفراً كشلوا التولب

فقالوا: يا عائشة قتل طلحة والزبير وجرح عبد الله بن عامر من يدي عليّ فصالحي علياً فقالت: كبر عمرو عن الطوق[1] وجلّ أمر عن العتاب ثمّ تقدّمت.

فحزن عليّ عليه السلام وقال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون فجعل يخرج واحد بعد واحد ويأخذ الزّمام حتّىٰ قتل ثمان وتسعون رجلاً.

ثمّ تقدّمهم كعب بن سور الأزديّ وهو يقول:

يا معشر الناس عليكم أُمّكم فإنّها صلاتكم وصومكم
والحرمة العظمىٰ الّتي تعمّكم لا تفضحوا اليوم فداكم قومكم

فقتله الأشتر.

فخرج ابن جفير الأزديّ يقول:

قد وقع الأمر بما لم يحذر والنبل يأخذن وراء العسكر
وأمّنا في حذرها المشمر

فبرز إليه الأشتر قائلاً:

اسمع ولا تعجل جواب الأشتر واقرب تلاق كأس موت أحمر
ينسيك ذكر الجمل المشمّر

فقتله ثمّ قتل عمر الغنوي وعبد الله بن عتاب بن أسيد ثمّ جال في الميدان جولاً وهو يقول:

نحن بنو الموت به غذينا

فخرج إليه عبد الله بن الزبير فطعنه الأشتر وأرداه وجلس علىٰ صدره ليقتله فصاح عبد الله اقتلوني ومالكاً واقتلوا مالكاً معي فقصد إليه من كلّ جانب فخلاّه وركب فرسه فلمّا رأوه راكباً تفرّقوا عنه.

وكانت عائشة تنادي بأرفع صوتها أيّها النّاس عليكم بالصّبر فإنّما يصبر الأحرار.

فأجابها كوفيّ.

---

(١) أي لم يبق للصلح مجال مثل يضرب.

يا أُمّ يا أُمّ عققت فاعلموا والأمّ تغذوا ولدها وترحم
أما ترىٰ كم من شجاع يكلم وتجتلي هامته والمعصم

وقال آخر

قلت لها وهي علىٰ مهوات إنّ لنا سواك أمّهات
في مسجد الرسول ثاويات

فقال الحجاج بن عمر الأنصاريّ:

يا معشر الأنصار قد جاء الأجل إنّي أرى الموت عياناً قد نزل
فبادروه نحو أصحاب الجمل ما كان في الأنصار جبن وفشل
فكل شيء ما خلا الله جلل

وقال خزيمة بن ثابت:

لم يغضبوا لله إلاّ للجمل والموت خير من مقام في خمل
والموت أحرىٰ من فرار وفشل والقول لا ينفع إلاّ بالعمل

وقال شريح بن هانىء:

لا عيش إلاّ ضرب أصحاب الجمل ما إن أنا بعد عليّ من بدل

وقال هانىء بن عروة المذحجي:

يا لك حرباً جثّها جمالها قائدة ينقصها ضلالها
هذا عليّ حوله أقيالها

وقال سعيد بن قيس الهمدانيّ:

قل للوصيّ اجتمعت قحطانها إن يك حربٌ أضرمت نيرانها

وقال عمّار:

إنّي لعمّار وشيخي ياسر صاح كلانا مؤمن مهاجر
طلحة فيها والزبير غادر والحقّ في كفّ عليّ ظاهر

وقال الأشتر:

هذا عليّ في الدّجىٰ مصباح نحن بذا في فضله فصاح

وقال عدي بن حاتم:

أنا عدي ونماني حاتم هذا عليّ بالكتاب عالم
لم يعصه في الناس إلاّ ظالم

وقال عمرو بن الحمق:

هذا عليّ قائد يرضىٰ به أخو رسول الله في أصحابه
من عوده النامي ومن نصابه

وقال رفاعة بن شدّاد البجلي:

إنّ الذي قطعوا الوسيلة ونازعوا علىٰ عليّ الفضيلة
في حربه كالنعجة الأكيلة

وشكّت السّهام الهودج حتّىٰ كأنّه جناح نسر أو شوك قنفذ.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام ما أراه يقاتلكم غير هذا الهودج اعقروا الجمل.

وقال لمحمّد بن أبي بكر: أُنظر إذا عرقب الجمل فأدرك أختك فوارها.

فأتاه عليّ عليه السلام ودقّ رمحه على الهودج وقال: يا عائشة أهكذا أمرك رسول الله صلى الله عليه وآله أن تفعلي؟ فقالت: يا أبا الحسن ظفرت فأحسن وملكت فأسجع.

فقال عليّ عليه السلام لمحمّد بن أبي بكر: شأنك وأختك فلا يدنو أحد منها سواك.

فقال لها محمّد: ما فعلت بنفسك؟ عصيت ربّك وهتكت سترك ثمّ أبحت حرمتك وتعرّضت للقتل فذهب بها إلىٰ دار عبد الله بن خلف الخزاعي(١) ودخل عليها عمّار بن ياسر ومعه الأشتر فقالت: من معك يا أبا اليقظان؟ فقال مالك الأشتر فقالت: أنت فعلت بعبد الله ما فعلت؟ فقال: نعم ولولا كوني شيخاً كبيراً وطاوياً لقتلته وأرحت المسلمين منه، قالت: أو ما سمعت قول النبيّ صلى الله عليه وآله إنّ المسلم لا يقتل إلاّ عن كفر بعد إيمان أو زنىً بعد إحصان أو قتل النفس الّتي حرّم الله قتلها؟ فقال: يا أُمّ المؤمنين علىٰ أحد الثلاثة قاتلناه ثمّ أنشد:

---

(١) المناقب: ٢/٣٣٩ ط النجف بتصرف.

أعائش لولا أنني كنت طاوياً ثلاثاً لألفيت ابن أختك هالكاً
غُشية يدعو والرّجال تجوزه بأضعف صوت اقتلوني ومالكا
فلم يعرفوه إذ دعاهم وعمّه خِدَبٌ عليه في العجاجة باركا[1]
فنجّاه مني أكله وشبابه وإنّي شيخ لم أكن متماسكاً[2]

فقال لها عمّار: يا أُمّة كيف رأيت ضرب بنيك دون دينهم بالسيف؟ فقالت: استبصرت يا عمّار من أنك غلبت؟ فقال: أنا أشدّ استبصاراً من ذلك أم والله لو ضربتمونا حتىٰ تبلغونا سعفات هجر لعلمنا أنّا على الحقّ وأنكم علىٰ الباطل.

فقالت له عائشة: هكذا يخيّل إليك اتق الله يا عمّار فإنّ سنّك قد كبرت ودقّ عظمك وفني أجلك وأذهبت دينك لابن أبي طالب!!

فقال عمّار: إنّي والله اخترت لنفسي في أصحاب رسول الله ﷺ فرأيت عليّاً أقرأهم لكتاب الله عزّ وجلّ وأعلمهم بتأويله وأشدّهم تعظيماً لحرمته وأعرفهم بالسنّة مع قرابته من رسول الله ﷺ وعظم عنائه وبلائه في الإسلام فسكتت[3].

(١) رجل خِدَبّ: بكسر الخاء وفتح الدال وتشديد الباء أي ضخم.
(٢) كشف الغمة: ١/ ٢٤٠.
(٣) أمالي المفيد: ١ ـ ١٤٢ ط بيروت.

عليّ عليه السلام يطوف على القتلى بعد المعركة

قال عليّ عليه السلام عند تطوافه على القتلى:

هذهِ قريش جدعت أنفي وشفيت نفسي فقد تقدّمت إليكم أحذّركم عضّ السيف وكنتم أحداثاً لا علم لكم بما ترون ولكنّه الحين وسوء المصرع وأعوذ بالله من سوء المصرع.

ثمّ مرّ على معبد بن المقداد فقال: رحم الله أبا هذا أما إنّه لو كان حيّاً لكان رأيه أحسن من رأي هذا.

فقال عمّار بن ياسر: الحمد لله الذي أوقعه وجعل خدّه الأسفل، إنّا والله يا أمير المؤمنين لا نبالي من عَندَ عن الحقّ من والد وولد.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: رحمك الله وجزاك عن الحقّ خيراً.

ومرّ عليه السلام بعبد الله بن ربيعة بن درّاج وهو في القتلى وقال: هذا البائس ما كان أخرجه؟ أدين أخرجه أم نصر لعثمان؟ والله ما كان رأي عثمان فيه ولا في أبيه بحسن.

ثمّ مرّ بمعبد بن زهير بن أبي أُميّة فقال: لو كانت الفتنة برأس الثريا لتناولها هذا الغلام والله ما كان فيها بذي نخيرة ولقد أخبرني من أدركه وإنّه ليولول فرقاً[1] من السيف.

ثمّ مرّ عليه السلام بمسلم بن قرظة فقال: البرُّ أخرج هذا!! والله لقد كلّمني أن أكلّم له عثمان في شيء كان يدّعيه قبله بمكّة فأعطاه عثمان وقال: لولا أنت ما أعطيته إنّ هذا ما علمت بئس أخو العشيرة ثمّ جاء المشوم للحين ينصر عثمان.

---

(١) فرقاً: خوفاً.

ثمَّ مرّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بعبد الله بن حكيم بن حزام فقال: هذا خالف أباه في الخروج وأبوه حين لم ينصرنا قد أحسن في بيعته لنا وإن كان قد كفّ وجلس حين شكّ في القتال ما ألوم اليوم من كفّ عنّا وعن غيرنا ولكن المليم الذي يقاتلنا.

ثمّ مرّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بعبد الله بن المغيرة بن الأخنس بن شريق فقال: أمّا هذا فقتل أبوه يوم قتل عثمان في الدّار فخرج مغضباً لقتل أبيه وهو غلام حدث جبن لقتله.

ثمَّ مرّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بعبد الله بن أبي عثمان بن الأخنس بن شريق فقال: أمّا هذا فكأنّي أنظر إليه وقد أخذت القوم السيوف هارباً يعدو من الصّف فنهنهت[١] عنه فلم يسمع من نهنهت حتّىٰ قتله وكان هذا ممّا خفي علىٰ فتيان قريش أغمار[٢] لا علم لهم بالحرب خدعوا واستنزلوا فلمّا وقفوا لُحجوا[٣] فقتلوا.

ثمَّ مشىٰ قليلاً فمرّ بكعب بن سور فقال: هذا الذي خرج علينا في عنقه المصحف يزعم أنّه ناصر أُمّه يدعو الناس إلىٰ ما فيه وهو لا يعلم ما فيه ثمَّ استفتح فخاب كلّ جبّار عنيد أما إنّه دعا الله أن يقتلني فقتله الله اجلسوا كعب بن سور فأُجلس فقال له أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ يا كعب لقد وجدت ما وعدني ربّي حقّاً فهل وجدت ما وعدك ربّك حقّاً؟ ثمّ قال: اضجعوا كعباً ومرّ عَلَيْهِ السَّلَامُ علىٰ طلحة بن عبيد الله فقال: هذا الناكث بيعتي والمنشيء الفتنة في الأُمّة والمجلب عليّ والدّاعي إلىٰ قتلي وقتل عترتي اجلسوا طلحة بن عبيد الله فأُجلس فقال له أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ يا طلحة قد وجدت ما وعدني ربّي حقّاً فهل وجدت ما وعدك ربّك حقّاً؟ ثمّ قال: اضجعوا طلحة وسار، فقال له بعض أصحابه يا أمير المؤمنين أتكلّم كعباً وطلحة بعد قتلهما؟ فقال: أم والله لقد سمعا كلامي كما سمع أهل القليب كلام رسول الله ﷺ يوم بدر[٤] وكان بجانبه عبد الرحمان بن عتاب بن أسيد[٥]، فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ لقد أصبح أبو محمّد بهذا المكان غريباً أما والله لقد كنت أكره أن تكون قريش قتلىٰ تحت بطون الكواكب أدركت وترىٰ[٦] من بني عبد مناف

---

(١) نهنهت عنه: أي كففت وزجرت.

(٢) الأغمار: جمع الغمر بالضم وبفتحتين وهو الذي لم يجرّب الأُمور.

(٣) لحج السيف وغيره بالكسر أي نشب في الغمد فلا يخرج.

(٤) الإرشاد: ١٣٥ ط النجف.

(٥) عبد الرحمان من التابعين وأبوه كان أمير مكّة في زمن الرسول.

(٦) الوتر: الجناية التي يجنيها الرجل علىٰ غيره من قتل أو نهب أو سبي.

وأفلتتني أعيان بني جمح لقد أتلعوا أعناقهم[1] إلى أمر لم يكونوا أهله فوقصوا دونه[2].

(١) أتلعوا أعناقهم: رفعوها.

(٢) نهج البلاغة: ٢١٧ من الخطب المختارة والوقص: كسر العنق.

في البصرة

بعث أمير المؤمنين عليه السلام محمّد بن أبي بكر وعمّار بن ياسر إلىٰ عائشة أن ترتحل وتلحق بيتها الذي تركت فيه رسول الله ﷺ فقالت: والله لا أريم[1] عن هذا البلد أبداً!! فرجعا إلىٰ أمير المؤمنين وأخبراه بقولها فغضب ثمَّ ردّهما إليها وبعث معهما الأشتر فقال: والله لتخرجنّ أو لتحملنّ احتمالاً.

ثمَّ قال أمير المؤمنين عليه السلام يا معشر عبد القيس اندبوا إلى الحرّة الخيرة من نسائكم فإنّ هذه المرأة من نسائكم فإنّها قد أبت أن تخرج لتحملوها احتمالاً فلمّا علمت بذلك قالت لهم: قولوا فليجهزّني فأتوا أمير المؤمنين عليه السلام فذكروا له ذلك فجهّزها وبعث معها بالنساء[2].

وقال عبد الله بن عبّاس فأتيتها وهي في قصر بني خلف في جانب البصرة قال: فطلبت الإذن عليها فلم تأذن فدخلت عليها من غير إذنها فإذا بيت قفار لم يعد لي فيه مجلس فإذا هي من وراء سترين قال: فضربت ببصري فإذا في جانب البيت رحل عليه طنفسة[3] قال: فمددت الطنفسة فجلست عليها فقالت من وراء الستر: يا بن عبّاس أخطأت السنّة دخلت بيتنا بغير إذننا وجلست علىٰ متاعنا بغير إذننا!! فقال لها ابن عبّاس رحمه الله نحن أولىٰ بالسنّة منك ونحن علّمناك السنّة وإنّما بيتك الذي خلّفك فيه رسول الله ﷺ فخرجت منه ظالمة لنفسك غاشّة لدينك عاتية علىٰ ربّك عاصية لرسول الله ﷺ فإذا رجعت إلىٰ بيتك لم ندخله إلاّ بإذنك ولم نجلس علىٰ متاعك إلاّ بأمرك إنّ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام بعث إليك يأمرك بالرحيل إلى المدينة وقلّة العرجة[4].

---

(١) لا أريم: أي لا أنتقل.

(٢) بحار الأنوار: ٣٢/ ٢٧٤.

(٣) الطنفسة: البساط والحصير من سعف عرضه ذراع.

(٤) العرجة: الإقامة.

فقالت: رحم الله أمير المؤمنين ذلك عمر بن الخطّاب. فقال ابن عبّاس: هذا والله أمير المؤمنين وإن تربدّت[١] فيه وجوه ورغمت فيه معاطس[٢] أما والله لهو أمير المؤمنين وأمسّ برسول الله ﷺ رحماً وأقرب قرابة وأقدم سبقاً وأكثر علماً وأعلىٰ مناراً وأكثر آثاراً من أبيك ومن عمر فقالت: أبيت ذلك فقال: أما والله إن كان إباؤك فيه لقصير المدّة عظيم التّبعة ظاهر الشؤم بيّن النكد وما كان إباؤك فيه إلاّ حلب شاة حتّىٰ صرت ما تأمرين وتنهين ولا ترفعين ولا تضعين وما كان مثلك إلاّ كمثل الحضرمي بن نجمان أخي بني أسد حيث يقول:

ما زال إهداء القصائد بيننا ... شتم الصديق وكثرة الألقاب
حتّىٰ تركتهم كأنّ قلوبهم ... في كلّ مجمعة طنين ذباب

قال: فأراقت دمعها وأبدت عويلها وتبدّا نشيجها ثمّ قالت: أخرج والله عنكم فما في الأرض بلد أبغض إليّ من بلد تكونون فيه!!

فقال ابن عبّاس رحمه الله: فلم؟ والله ماذا بلاءنا عندك ولا بصنيعنا إليك إنّا جعلناك للمؤمنين أمّاً وأنت بنت أُم رومان وجعلنا أباك صدّيقاً وهو ابن أبي قحافة حامل قصاع الودك[٣] لابن جذعان إلىٰ أضيافه؟! فقالت: يا بن عبّاس تمنون عليّ برسول الله ﷺ؟ فقال: ولم لا يمنّ عليك بمن لو كان منك قلامة منه مننتنا به!! ونحن لحمه ودمه ومنه وإليه وما أنت إلاّ حشيته[٤] من تسع حشايا خلفهنّ بعده لست بأبيضهنّ لوناً ولا بأحسنهنّ وجهاً ولا بأرشحهنّ عرقاً ولا بأنضرهنّ ورقاً ولا بأطراهنّ أصلاً فصرت تأمرين فتطاعين وتدعين فتحابين وما مثلك إلاّ كما قال أخو بني فهر.

مننت علىٰ قومي فأبدوا عداوة ... فقلت لهم كفّوا العداوة والشكرا
ففيه رضاً من مثلكم لصديقه ... واحج به أن تجمعوا البغي والكفرا[٥]

قال ابن عبّاس: ثمّ نهضت وأتيت أمير المؤمنين فأخبرته بمقالتها وما رددت

(١) تربّد وجه فلان: أي تغيّر من الغضب.
(٢) المعاطس: الأنوف.
(٣) الودك: السّمن.
(٤) الحشية: الفراش المحشو كنّىٰ عن النساء والتعبير عنهنّ بالفرش.
(٥) أحج به: أي هو ألزم لحجّتكم.

عليها فقال: أنا كنت أعلم بك حيث بعثتك[1].

ولمّا وصلت عائشة إلى المدينة راجعة من البصرة لم تزل تحرّض الناس على أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ وكتبت إلى معاوية وأهل الشام مع الأسود بن البختري تحرّضهم عليه عَلَيْهِ السَّلَامُ[2].

---

(١) رجال الكشي: ترجمة عبد الله بن عباس ص٥٥ ط النجف.

(٢) الاحتجاج: ٢/ ٤٦٢ ط النجف.

إعلان العفو العام

من كلام لعليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بالبصرة حين انتصر على أعداء الله عزّ وجلّ فقال بعد الحمد والثناء: أمّا بعد فإنّ الله ذو رحمة واسعة ومغفرة دائمة، وعفو جمّ وعقاب أليم قضىٰ أنّ رحمته ومغفرته وعفوه لأهل طاعته من خلقه وبرحمته اهتدى المهتدون وقضىٰ أنّ نقمته وسطواته وعقابه علىٰ أهل معصيته من خلقه وبعد الهدىٰ والبيّنات ما ضلّ الضّالون فما ظنّكم يا أهل البصرة وقد نكثتم بيعتي وظاهرتم عليّ عدوّي؟

فقام إليه رجل فقال: نظنّ خيراً ونراك قد ظهرت وقدرت فإن عاقبت فقد اجترمنا ذلك وإن عفوت فالعفو أحبّ إلى الله تعالىٰ.

فقال: قد عفوت عنكم فإيّاكم والفتنة فإنّكم أوّل الرّعية نكث البيعة وشقّ عصا هذه الأمّة.

ثمّ جلس للنّاس فبايعوه[1].

وجاء عبد الله ابن عبّاس إلىٰ أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال: إنّ لي إليك حاجة فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: ما أعرفني بالحاجة الّتي جئت فيها تطلب الأمان لابن الحكم؟ قال: نعم أريد أن تؤمّنه قال: آمنته[2].

وفي النهج: قالوا أخذ مروان بن الحكم أسيراً يوم الجمل فاستشفع بالحسن والحسين إلىٰ أمير المؤمنين فكلّماه فيه فخلّىٰ سبيله فقالا له: يبايعك يا أمير المؤمنين فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ أولم يبايعني بعد قتل عثمان؟ لا حاجة لي في بيعته إنّها كفّ

---

(١) الإرشاد: ص١٣٧.

(٢) الخرائج للراوندي: ص٨٣.

يهوديّة لو بايعني بيده لغدر بسَبّته[1] أما إنّ له إمرة كلعقة الكلب أنفه[2] وهو أبو الأكبش الأربعة وستلقىٰ الأُمّة منه ومن ولده يوماً أحمر[3].

وعن هاشم بن مساحق عن أبيه أنّه شهد يوم الجمل وأنّ الناس لمّا انهزموا اجتمع هو ونفر من قريش فيهم مروان فقال بعضهم لبعض، والله لقد ظلمنا هذا الرّجل ونكثنا بيعته علىٰ غير حدث كان منه ثم لقد ظهر علينا فما رأينا رجلاً قطّ كان أكرم سيرة ولا أحسن عفواً بعد رسول الله ﷺ منه فتعالوا فلندخل عليه ولنعتذر ممّا صنعنا قال: فدخل عليه فلمّا ذهب متكلّمنا يتكلّم قال: انصتوا أكفكم إنّما أنا رجل منكم فإن قلت حقّاً فصدّقوني وإن قلت غير ذلك فردّوه عليّ ثمّ قال:

أنشدكم بالله أتعلمون أنّ رسول الله ﷺ قبض وأنا أولى الناس برسول الله ﷺ وبالنّاس؟ قالوا: اللّهمّ نعم، قال: فبايعتم أبا بكر وعدلتم عني فبايعت أبا بكر كما بايعتموني وكرهت أن أشقّ عصا المسلمين وأن أُفرّق بين جماعتهم.

ثمّ إنّ أبا بكر جعلها لعمر من بعده وأنتم تعلمون أنّي أولى الناس برسول الله ﷺ وبالنّاس من بعده فبايعت عمر كما بايعتموه فوفيت له ببيعته حتىٰ لمّا قتل جعلني سادس ستّة فدخلت فيما أدخلني وكرهت أن أُفرّق جماعة المسلمين وأشقّ عصاهم فبايعتم عثمان فبايعته ثمّ طعنتم علىٰ عثمان فقتلتموه وأنا جالس في بيتي ثمّ أتيتموني غير داع لكم ولا مستكره لأحد منكم فبايعتموني كما بايعتم أبا بكر وعمر وعثمان فما جعلكم أحقّ أن تفوا لأبي بكر وعمر وعثمان ببيعتهم منكم ببيعتي؟

قالوا: يا أمير المؤمنين كن كما قال العبد الصّالح «لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين».

فقال عليه السلام كذلك أقول: يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين[4].

---

(١) السبة: بالفتح الإست.

(٢) يريد قصر مدّة إمارته وكانت تسعة أشهر وقيل ستة أشهر وقيل أربعة أشهر وعشرة أيام.

(٣) نهج البلاغة: في المختار (٧١) والأكبش الأربعة بَني عبد الملك: الوليد وسليمان ويزيد وهشام.

(٤) أمالي الطوسي: ص٥١٨ ط بيروت نقلنا هذا الحديث علىٰ ما فيه من وقفات للتأمل حول بيعة عليّ عليه السلام للخلفاء الذين سبقوه علىٰ ما فيها من مخالفة كثير من النصوص الصحيحة إلاّ إنّنا رأينا الاستفادة من عفوه وروحه الطيبة اتجاه أولئك الناكثين ولهذا نبّهنا.

رسالته عليه السلام إلىٰ أهل الكوفة

بعد معركة الجمل

ورد كتاب أمير المؤمنين عليه السلام مع ابن سلمة إلىٰ أهل الكوفة فكبّر الناس تكبيرة سمعها عامّة الناس واجتمعوا لها في المسجد ونودي الصلاة جمعاً فلم يتخلّف أحد وقرأ الكتاب فكان فيه: بسم الله الرحمن الرّحيم من عبد الله أمير المؤمنين إلىٰ قرظة بن كعب ومن قبله من المسلمين سلام عليكم فإنّي أحمد إليكم الله الذي لا إله إلاّ هو.

أمّا بعد فإنّا لقينا القوم الناكثين لبيعتنا والمفارقين لجماعتنا الباغين علينا في أُمّتنا فحججناهم فحاكمناهم إلى الله فأدالنا عليهم فقتل طلحة والزبير وقد تقدّمت إليهما بالمعذرة وأقبلت إليهما بالنصيحة واستشهدت عليهما صلحاء الأُمّة فما أطاعا المرشدين ولا أجابا الناصحين.

ولاذ أهل البغي بعائشة فقتل حولها من أهل البصرة عالم جسيم وضرب الله وجه بقيّتهم فأدبروا كما كانت ناقة الحجر بأشأم عليهم منها علىٰ أهل ذلك المصر مع ما جاءت به من الحوب الكبير في معصيتها ربّها ونبيّها واغترارها في تفريق المسلمين وسفك دماء المؤمنين بلا بيّنة ولا معذرة ولا حجّة ظاهرة.

فلمّا هزمهم الله أمرت أن لا يتبع مدبر ولا يجهز علىٰ جريح ولا يكشف عورة ولا يهتك ستر ولا يدخل دار إلاّ بإذن وآمنت النّاس.

وقد استشهد منّا رجال صالحون ضاعف الله حسناتهم ورفع درجاتهم وأثابهم ثواب الصّادقين الصّابرين.

وجزاكم الله من أهل مصر عن أهل بيت نبيّكم أحسن جزاء العاملين بطاعته

والشاكرين لنعمته فقد سمعتم وأطعتم وأجبتم إذا دعيتم فنعم الإخوان والأعوان على الحق أنتم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته[1].

(١) بحار الأنوار: ٣٢/ ٢٥٢/ ١٩٨.

٢ ـ القاسطون

القاسطون في صفّين:

هذه فصول المعركة الثانية بعد استخلاف عليّ عليه السلام والّتي مثّلت قوتين متصارعتين قوة الإسلام والدفاع عنه والتضحية دونه، واللاّدينية المتلفعة بالثوب الإسلامي المرقّع.

في هذه المعركة التي تعتبر أقوى المعارك الّتي خاضها عليّ عليه السلام على التأويل تلوح أمامك أعلام للردّة عن الإسلام، فمعاوية هو القائد لهذا الفوج المرتدّ القاسط، وابن النابغة المخطط لمسيرته الغاوية ورعاع الناس المغفلين شاكة في السلاح، والنسّاك الأغبياء قد أحاطوا بمنبر الشام المعلّق عليه قميص عثمان المخضّب بالدماء يذرفون دموع التماسيح عليه.

كما ترىٰ في الطرف المقابل رايات رسول الله صلى الله عليه وآله يقودها الفهم والإدراك والوعي والبصيرة.

وقد استعرضت هذه الفصول بدون أن أجد حاجة إلىٰ تحليلها فالحقّ واضح والباطل كذلك. وهدفي في عرضها بهذا الشكل والأسلوب لإيماني بالقرّاء الكرام أنّهم قد تجاوزوا تلك المراحل ولم يبق علينا إلاّ أن نوفّر لهم النصوص نقيّة الثوب واضحة المقاصد والله من وراء القصد.

والحمد لله ربّ العالمين

من البصرة إلى الكوفة

دخل أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ الكوفة بعد رجوعه من البصرة ومعه أشراف من أهل البصرة وغيرهم فاستقبلهم أهل الكوفة فيهم قرّاؤهم وأشرافهم فدعوا له وقالوا: يا أمير المؤمنين أين تنزل أتنزل القصر؟ قال: لا، ولكن أنزل الرحبة فنزلها وأقبل حتىٰ دخل المسجد الأعظم فصلّىٰ فيه ركعتين ثمّ صعد المنبر فحمد الله وأثنىٰ عليه وصلّىٰ علىٰ رسوله ثمّ قال:

أمّا بعد يا أهل الكوفة فإنّ لكم في الإسلام فضلاً ما لم تبدّلوا أو تغيّروا. دعوتكم إلى الحقّ فأجبتم وبدأتم بالمنكر فغيّرتم ألا إنّ أفضلكم فيما بينكم وبين الله فأمّا في الأحكام والقَسْم فأنتم أُسوة ممن أجابكم ودخل فيما دخلتم فيه.

ألا إنّ أخوف ما أخاف عليكم اتّباع الهوىٰ وطول الأمل، فأمّا اتّباع الهوىٰ فيصدّ عن الحق وأمّا طول الأمل فينسي الآخرة.

ألا إنّ الدّنيا قد ترحّلت مدبرة وإنّ الآخرة ترحّلت مقبلة ولكلّ واحدة منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة!!! اليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل.

الحمد لله الذي نصر وليّه وخذل عدوّه وأعزّ الصّادق المحقّ وأذلّ الناكث المبطل عليكم بتقوى الله وطاعة من أطاع الله من أهل بيت نبيّكم الذين هم أولىٰ بطاعتكم فيما أطاعوا الله فيه من المنتحلين المدّعين القالين لنا يتفضّلون بفضلنا ويجاحدوننا أمرنا وينازعوننا حقّنا ويباعدوننا عنه فقد ذاقوا وبال ما اجترحوا فسوف يلقَوْن غيّاً ألا إنّه قد قعد عن نصرتي منكم رجال وأنا عليهم عاتبٌ زارٍ فاهجروهم وأسمِعوهم ما يكرهون حتى يعتبوا[1] ليعرف بذلك حزب الله عند الفرقة[2].

---

(١) الأعتاب: إعطاء العتبىٰ وهي الرضا.

(٢) صفين لابن مزاحم: ص٤ ط٢ تحقيق عبد السلام هارون منشورات مكتبة المرعشي ١٤٠٤ هـ ـ ق.

فقام إليه مالك بن حبيب اليربوعي ـ وكان صاحب شرطته ـ فقال:

والله إنّي لأرى الهجر وإسماع المكروه لهم قليلاً ـ والله لئن أمرتنا لنقتلنّهم فقال عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: سبحان الله يا مالك جزت المدىٰ وعدوت الحدّ وأغرقت في النزع فقال: يا أمير المؤمنين لبعض الغَشْم أبلغ في أُمور تنوبك من مهادنة الأعادي فقال عليّ: ليس هكذا قضى الله يا مالك قتل النفس بالنفس فما بال الغَشْم. وقال: «ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليّه سلطاناً فلا يسرف في القتل إنّه كان منصوراً» والإسراف في القتل أن تقتل غير قاتلك فقد نهى الله عنه وذلك هو الغشم فقام إليه أبو بردة بن عوف الأزدي ـ وكان ممّن تخلّف عنه ـ فقال: يا أمير المؤمنين أرأيت القتلىٰ حول عائشة والزبير وطلحة بم قتلوا؟ قال: قتلوا شيعتي وعمّالي وقتلوا أخا ربيعة العبدي رحمة الله عليه في عصابة من المسلمين قالوا: لا ننكث كما نكثتم ولا نغدر كما غدرتم فوثبوا عليهم فقتلوهم فسألتهم أن يدفعوا إليّ قتلة إخواني أقتلهم بهم ثمّ كتاب الله حكم بيني وبينكم فأبوا عليّ فقاتلوني وفي أعناقهم بيعتي ودماء قريب من ألف رجل من شيعتي فقتلتهم بهم أفي شك أنت من ذلك؟ قال: قد كنت في شك فأمّا الآن فقد عرفت واستبان لي خطأ القوم وإنّك المهديّ المصيب ثمّ إنّ عليّاً عَلَيْهِ السَّلَامُ تهيّأ لينزل وقام رجال ليتكلموا فلمّا رأوه نزل جلسوا وسكتوا ودخل سليمان بن صُرَد الخزاعي فعاتبه عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وعذله وقال له: «ارتبت وتربصت وراوغت وقد كنت من أوثق الناس في نفسي وأسرعهم ـ فيما أظنّ ـ إلىٰ نصرتي فما قعد بك عن أهل بيت نبيّك وما زهّدك في نصرهم؟ فقال يا أمير المؤمنين لا تردنّ الأُمور على أعقابها، ولا تؤنّبني بما مضىٰ منها واستبق مودتي تخلص لك نصيحتي وقد بقيت أُمور تعرف فيها وليّك من عدوّك فسكت عنه وجلس سليمان قليلاً ثمّ نهض فخرج إلى الحسن بن عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو قاعد في المسجد فقال: ألا أعجِّبك من أمير المؤمنين وما لقيت منه من التبكيت والتوبيخ؟ فقال له الحسن إنّما يُعاتب من ترجىٰ مودّتُه ونصيحته. فقال: إنّه بقيت أُمور سيستوسق[1] فيها القنا وينتضىٰ فيها السيوف ويحتاج فيها إلىٰ أشباهي فلا تستغشّوا[2] عتبي ولا تتهموا نصيحتي. فقال له الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ: رحمك الله ما أنت عندنا بالظّنين.

---

(١) الاستيساق: الاجتماع. والقنا: الرماح.

(٢) استغشه واغتشه: ظنّ به الغش.

وعن محمّد بن مخنف قال: دخلت مع أبي على عليّ عليه السلام حين قدم من البصرة وهو عام بلغت الحلم فإذا بين يديه رجال يؤنّبهم ويقول لهم ما بطّأ بكم عنّي وأنتم أشراف قومكم؟ والله لئن كان من ضعف النيّة وتقصير البصيرة إنكم لبور[1] والله لئن كان من شكّ في فضلي ومظاهرة عليَّ إنكم لعدوّ. قالوا: حاش لله يا أمير المؤمنين نحن سلمك وحرب عدوّك ثمّ اعتذر القوم فمنهم من ذكر عذره ومنهم من اعتلّ بمرض ومنهم من ذكر غيبة فنظرت إليهم فإذا عبد الله بن المعتم العبسي، وإذا حنظلة بن الربيع التميمي ـ وكلاهما كانت له صحبة ـ وإذا أبو بردة بن عوف الأزديّ وإذا غريب بن شرحبيل الهمداني.

ونظر عليّ إلى أبي فقال لكن مخنف بن سليم وقومه لم يتخلّفوا ولم يكن مثلهم مثل القوم الذين قال الله تعالى: **﴿وإنّ منكم لمن ليبطّئن فإن أصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله عليّ إذ لم أكن معكم شهيداً ولئن أصابكم فضل من الله ليقولنّ كأن لم تكن بينكم وبينه مودة يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً﴾**[2].

(١) البور: الهالك.

(٢) سورة النساء، الآيتان: ٧٢ و٧٣ راجع صفين: ص٤.

توزيع المسؤوليات والمهامّ الإدارية

بعث يزيد بن قيس الأرحبيّ على المدائن وجُوخا كلّها.

ومخنف بن سليم علىٰ إصفهان وهمدان.

وقرظة بن كعب علىٰ البِهْقُبَاذات[1].

وقدامة بن مظعون علىٰ كسكر.

وعديّ بن الحارث علىٰ مدينة بَهرُسَير وآستانها[2].

وأبا حسّان البكري علىٰ آستان العالي[3].

وسعد بن مسعود الثقفي علىٰ آستان الزوابي[4].

ورِبعيّ بن كاس علىٰ سِجستان.

وخُليد إلىٰ خراسان فسار خليد حتّىٰ إذا دنا من نيسابور بلغه أنّ أهل خراسان قد كفروا ونزعوا يدهم من الطّاعة وقدم عليهم عمّال كسرىٰ من كابل فقاتل أهل نيسابور فهزمهم وحصر أهلها وبعث إلىٰ عليّ عليه السلام بالفتح والسّبي، ثمّ صمد لبنات كسرىٰ فنزلن علىٰ أمان فبعث بهنّ إلىٰ علي عليه السلام فلمّا قدمن عليه قال: أزوّجكنّ؟ قلن: لا إلاّ أن تزوّجنا ابنيك فإنّا لا نرىٰ لنا كفوأ غيرهما فقال عليه السلام اذهبا حيث شئتما.

فقام نرسا فقال: مر لي بهنّ فإنّها منك كرامة وبيني وبينهنّ قرابة ففعل

---

(١) ثلاث كور ببغداد منسوبة إلىٰ قباذ بن فيروز والد آنو شيروان.

(٢) بهرسير: من نواحي سواد بغداد.

(٣) الأستان العالي: كورة في غربي بغداد من السواد تشتمل على أربعة طساسيج: وهي الأنبار وبادرويا وقطربل ومسكن.

(٤) في العراق أربعة أنهر نهران فوق بغداد ونهران تحتها.

فأنزلهنّ نرسا معه وجعل يطعمهنّ ويسقيهنّ في الذهب والفضّة ويكسوهنّ كسوة الملوك ويبسط لهنّ الدّيباج.

وبعث الأشتر علىٰ الموصل ونَصِيبِين ودَارَا وسِنْجار وهِيت وعانات وما غلب عليه من تلك الأرضين من أرض الجزيرة.

وبعث معاوية بن أبي سفيان الضحّاك بن قيس على ما في سلطانه من أرض الجزيرة وكان في يديه حرّانُ والرَّقَّة والرُّها وقَرقِيسيا وكان من كان بالكوفة وبالبصرة من العثمانية قد هربوا فنزلوا الجزيرة في سلطان معاوية.

فخرج الأشتر وهو يريد الضحّاك بحرّان فلمّا بلغ ذلك الضحّاك بعث إلىٰ أهل الرّقة فأمدّوه وكان جلّ أهلها عثمانية فجاءوا وعليهم سِمَاك بن مَخرمة وأقبل الضحّاك يستقبل الأشتر فالتقىٰ الضحّاك وسماك بمرج مَرينا بين حرّان والرَّقَّة فرحل الأشتر حتّىٰ نزل عليهم فاقتتلوا قتالاً شديداً حتّىٰ كان عند المساء فرجع الضحّاك بمن معه فسار ليلته كلّها حتّى أصبح بحرّان فدخلها وأصبح الأشتر فرأىٰ ما صنعوا فتبعهم حتىٰ نزل عليهم بحرّان فحصرهم وأتى الخبر معاوية فبعث إليهم عبدَ الرّحمان بن خالد في خيل يغيثهم.

فلمّا بلغ ذلك الأشتر كتّب كتائبه وعبأ جنوده وخيله ثمّ ناداهم الأشتر: ألا إنّ الحيّ عزيز ألا إنّ الذّمار منيع ألا تنزلون أيها الثعالب الروّاغة؟ احتجرتم احتجار الضِّباب فنادوا يا عباد الله أقيموا قليلاً علمتم والله أن قد أتيتم.

ثم مضىٰ الأشتر حتّىٰ مرّ علىٰ أهل الرّقة فتحرّزوا منه ثمّ مضىٰ حتّىٰ مرّ علىٰ أهل قرقيسيا فتحرّزوا منه وبلغ عبد الرّحمان بن خالد انصراف الأشتر فانصرف[1].

وأمّر عليه السلام نرسا علىٰ أهل السّواد برضا منهم وطلب فجلس نرسا عند أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: يا نرسا أخبرني عن ملوك فارس كم كانوا؟ قال: كانت سيرتهم ملوكهم في هذهِ المملكة الآخرة اثنين وثلاثين ملكاً قال: فكيف كانت سيرتهم!! قال: ما زالت سيرتهم في عظم أمرهم واحدة حتّىٰ ملكنا كسرىٰ بن هرمز فاستأثر بالمال والأعمال وخالف أوّلينا وأخرب الذي للنّاس وعمّر الذي له واستخفّ بالنّاس وأوغر نفوس فارس حتّىٰ ثاروا عليه فقتلوه فأرملت نساؤه ويتم أولاده.

---

(١) كتاب صفين: ص١١.

فقال: يا نرسا إنّ الله عزّ وجلّ خلق الخلق بالحقّ ولا يرضىٰ من أحد إلاّ بالحقّ وفي سلطان الله تذكرة ممّا حوّل الله وإنّها لا تقوم مملكة إلاّ بتدبير ولا بدّ من إمرة ولا يزال أمرنا متماسكاً ما لم يشتم آخرنا أوّلنا فإذا خالف آخرنا أوّلنا وأفسدوا هلكوا وأهلكوا[1].

(١) كتاب صفين: ص١٤.

مساجلات من أجل أخذ البيعة والولاء

كتب أمير المؤمنين عليه السلام إلى جرير بن عبد الله البجلي - وكان عاملاً لعثمان علىٰ ثغر همدان - مع زَحْر بن قيس الجعفي:

أمّا بعد فإنّ الله لا يغيّر ما بقوم حتّىٰ يغيّروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مردّ له وما لهم من دونه من وال.

وإنّي أخبرك عمّن سرنا إليه من جموع طلحة والزبير عند نكثهم بيعتهم وما صنعوا بعاملي عثمان بن حنيف أنّي هبطت من المدينة بالمهاجرين والأنصار حتّىٰ إذا كنت بالعُذَيب بعثت إلىٰ أهل الكوفة بالحسن بن عليّ وعبد الله بن العباس وعمّار بن ياسر وقيس بن سعد بن عبادة فاستنفروهم فأجابوا فسرت بهم حتّىٰ نزلت بظهر البصرة فأعذرت في الدّعاء وأقلت العثرة وناشدتهم عقد بيعتهم فأبوا إلاّ قتالي فاستعنت بالله عليهم فقتل من قتل وولّوا مدبرين إلىٰ مصرهم فسألوني ما كنت دعوتهم إليه قبل اللّقاء فقبلت العافية ورفعت عنهم السّيف واستعملت عليهم عبد الله بن عبّاس وسرت إلى الكوفة وقد بعثت إليكم زَحْر بن قيس فاسأل عمّا بدا لك.

فلمّا قرأ جرير الكتاب قام فقال: يا أيها النّاس هذا كتاب أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وهو المأمون على الدّين والدّنيا وقد كان من أمره وأمر عدوّه ما نحمد الله عليه وقد بايعه السّابقون الأوّلون من المهاجرين والأنصار والتّابعين بإحسان ولو جعل هذا الأمر شورىٰ بين المسلمين كان أحقّهم بها.

إلاّ أن البقاء في الجماعة والفناء في الفرقة وعليّ حاملكم على الحقّ ما استعمتم فإن ملتم أقام ميلكم.

فقال الناس: سمعاً وطاعة رضينا رضينا فأجاب جرير وكتب جواب كتابه بالطّاعة. ثمّ قام زحر بن قيس خطيباً فكان ممّا حفظ من كلامه أن قال: الحمد لله

الذي اختار الحمد لنفسه وتولاّه دون خلقه لا شريك له في الحمد ولا نظير له في المجد ولا إله إلاّ الله وحده لا شريك له القائم الدّائم إله السّماء والأرض وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحقّ الواضح والكتاب الناطق داعياً إلى الخير وقائداً إلى الهدىٰ ثمّ قال:

إنّ علياً كتب إليكم كتاباً لا يقال بعده إلاّ رجيع من القول ولكن لا بدّ من ردّ الكلام إنّ الناس بايعوا علياً بالمدينة من غير محاباة له ببيعتهم لعلمه بكتاب الله وسنن الحقّ وإنّ طلحة والزبير نقضا بيعته علىٰ غير حدث وألّبا عليه الناس ثمّ لم يرضيا حتّىٰ نصبا له الحرب وأخرجا أُمّ المؤمنين فلقيهما فأعذر في الدعاء وأحسن في البقية وحمل الناس علىٰ ما يعرفون هذا عيان ما غاب عنكم وإن سألتم الزيادة فزدناكم ولا قوّة إلاّ بالله[1].

فأقبل جرير سائراً من ثغر همدان حتّىٰ ورد علىٰ عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بالكوفة فبايعه ودخل فيما دخل فيه الناس من طاعة عليّ واللّزوم لأمره.

وكتب عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى الأشعث بن قيس مع زياد بن مرحب الهمدانيّ والأشعث علىٰ آذربيجان عامل لعثمان ـ وقد كان عمرو بن عثمان تزوّج ابنة الأشعث بن قيس قبل ذلك ـ وكان ما يلي:

أمّا بعد فلولا هنّات كنّ فيك كنت المقدّم في هذا الأمر قبل النّاس ولعلّ أمرك يحمل بعضه بعضاً إن اتقيت الله.

ثمّ إنّه كان من بيعة النّاس إيّاي ما قد بلغك وكان طلحة والزبير ممّن بايعاني ثمّ نقضا بيعتي علىٰ غير حدث وأخرجا أُمّ المؤمنين وصارا إلى البصرة فسرت إليهما فالتقينا فدعوتهم إلىٰ أن يرجعوا فيما خرجوا منه فأبوا فأبلغت في الدّعاء وأحسنت في البقية.

وإنّ عملك ليس لك بطعمة ولكنّه أمانة وفي يديك مال من مال الله وأنت من خزّان الله عليه حتّىٰ تسلّمه إليّ ولعليّ أن لا أكون شرّ ولاتك لك إن استقمت ولا قوّة إلاّ بالله.

فلمّا قرأ الكتاب قام زياد بن مرحب فحمد الله وأثنىٰ عليه ثمّ قال: أيّها

---

(١) كتاب صفين: ص١٥.

الناس إنّه من يكفه القليل لم يكفه الكثير إنّ أمر عثمان لا ينفع فيه العيان ولا يشفي منه الخبر غير أنّ من سمع به ليس كمن عاينه إنّ النّاس بايعوا عليّاً راضين به وإنّ طلحة والزبير نقضا بيعته علىٰ غير حدث ثمّ آذنا بحرب فأخرجا أمّ المؤمنين فسار إليهما فلم يقاتلهم وفي نفسه منهم حاجة فأورثه الله الأرض وجعل له عاقبة المؤمنين.

ثمَّ قام الأشعث فحمد الله وأثنىٰ عليه ثمَّ قال: أيّها النّاس إنّ أمير المؤمنين عثمان ولاّني آذربيجان فهلك وهي في يدي وقد بايع الناس عليّاً وطاعتنا له كطاعة من كان قبله وقد كان من أمره وأمر طلحة والزبير ما قد بلغكم وعليّ المأمون علىٰ ما قد غاب عنّا وعنكم من ذلك الأمر.

فلمّا أتىٰ منزله دعا أصحابه وقال: إنّ كتاب عليّ قد أوحشني وهو آخذ بمال آذربيجان وأنا لاحق بمعاوية، فقال القوم: الموت خير لك من ذلك أتدع مصرعك وجماعة قومك وتكون ذنباً لأهل الشام؟

فَاسْتَحيىٰ الأشعث فسار حتّىٰ قدم علىٰ عليّ عليه السلام[1].

وأمر عليه السلام الأحنف بن قيس أن يكتب إلىٰ قومه ـ بني سعد ـ كتاباً يحثّهم علىٰ الخروج والمسير إليه، وكتب معاوية بن صعصعة وهو ابن أخي الأشعث إليهم أبياتاً في ذلك فلمّا انتهىٰ كتاب الأشعث وشعر معاوية إلىٰ بني سعد ساروا بجماعتهم حتّىٰ نزلوا الكوفة فعزت بالكوفة وكثرت ثمّ قدمت عليهم ربيعة[2].

---

(١) كتاب صفين: ص٣٠.

(٢) كتاب صفين: ص٢٧.

رسول عليّ عليه السلام إلىٰ معاوية

أراد عليّ عليه السلام أن يبعث رسولاً إلىٰ معاوية فقال له جرير: ابعثني إليه فأدعوه علىٰ أن يسلّم لك هذا الأمر ويكون أميراً من أمرائك وأدعو أهل الشام إلىٰ طاعتك وجلّهم قومي وأهل بلادي وقد رجوت أن لا يعصوني.

فقال له الأشتر: لا تبعثه ودعه ولا تصدّقه فوالله إنّي لأظنّ هواه هواهم ونيّته نيّتهم فقال له عليّ عليه السلام: دعه حتّىٰ ننظر ما يرجع به إلينا.

فبعثه عليّ عليه السلام وقال له حين أراد أن يبعثه: إنّ حولي من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله من أهل الدين والرأي من قد رأيت وقد اخترتك عليهم لقول رسول الله صلى الله عليه وآله فيك: «من خير ذي يمن»(١) ائت معاوية بكتابي فإن دخل فيما دخل فيه المسلمون وإلاّ فانبذ إليه وأعلمه أنّي لا أرضىٰ به أميراً وأنّ العامّة لا ترضىٰ به خليفة.

فانطلق جرير حتّىٰ أتى الشام ونزل بمعاوية فدخل عليه فحمد الله وأثنىٰ عليه ثمّ قال:

أمّا بعد يا معاوية فإنّه قد اجتمع لابن عمّك أهل الحرمين وأهل المصرين(٢) وأهل الحجاز وأهل اليمن وأهل مصر وأهل العروض وعمان وأهل البحرين واليمامة فلم يبق إلاّ أهل هذهِ الحصون الّتي أنت فيها ولو سال عليها سيل من أوديته غرّقها وقد أتيتك أدعوك إلىٰ ما يرشدك ويهديك إلىٰ مبايعة هذا الرّجل.

ودفع إليه كتاب عليّ عليه السلام وفيه:

بسم الله الرّحمن الرّحيم أمّا بعد فإنّ بيعتي لزمتك بالمدينة وأنت بالشام لأنّه بايعني الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان علىٰ ما بويعوا عليه فلم يكن للشاهد أن

---

(١) أي من خير اليمن.

(٢) الحرمان: مكّة والمدينة، والمصران: البصرة والكوفة.

يختار ولا للغايب أن يردّ وإنّما الشورىٰ للمهاجرين والأنصار إذا اجتمعوا علىٰ رجل فسمّوه إماماً كان ذلك للّه رضاً فإن خرج من أمرهم خارج بطعن أو رغبة ردّوه إلىٰ ما خرج منه فإن أبىٰ قاتلوه علىٰ اتّباعه غير سبيل المؤمنين وولاّه الله ما تولّىٰ ويصله جهنّم وساءت مصيراً.

وإن طلحة والزبير بايعاني ثمّ نقضا بيعتي فكان نقضهما كردّتهما فجاهدتهما علىٰ ذلك حتّىٰ جاء الحقّ وظهر أمر الله وهم كارهون فادخل فيما دخل فيه المسلمون فإنّ أحبّ الأُمور إليّ فيك العافية إلاّ أن تتعرّض للبلاء فإن تعرّضت له قاتلتك واستعنت بالله عليك.

وقد أكثرت في قتلة عثمان فأدخل فيما دخل فيه الناس وحاكم القوم إليّ أحملك وإيّاهم علىٰ كتاب الله فأمّا تلك الّتي تريدها فهي خدعة الصبيّ عن اللّبن.

ولعمري لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدنّي أبرأ قريش من دم عثمان واعلم أنّك من الطلقاء الذين لا تحلّ لهم الخلافة ولا تعرض فيهم الشورىٰ.

وقد أرسلت إليك وإلىٰ من قبلك جرير بن عبد الله وهو من أهل الإيمان والهجرة فبايع ولا قوّة إلا بالله.

فلمّا قرأ الكتاب قام جرير فحمد الله وأثنىٰ عليه ثمّ قال: أيّها الناس إنّ أمر عثمان قد أعيا من شهده فما ظنّكم بمن غاب عنه وإنّ النّاس بايعوا عليّاً غير واتر ولا موتور وكان طلحة والزبير ممّن بايعه ثمّ نكثا بيعته علىٰ غير حدث، ألا وإنّ هذا الدّين لا يحتمل الفتن ألا وإنّ العرب لا تحتمل السّيف وقد كانت بالبصرة أمس ملحمة إن يشفع البلاء بمثلها فلا بقاء للنّاس وقد بايعت العامّة عليّاً ولو ملكنا والله أُمورنا لم نختر لها غيره ومن خالف هذا استعتب فادخل يا معاوية فيما دخل فيه الناس.

فإن قلت: استعملني عثمان ثمّ لم يعزلني فإنّ هذا أمر لو جاز لم يقم لله دين وكان لكلّ امرىء ما في يده ولكنّ الله لم يجعل للآخر من الولاة حقّ الأوّل وجعل تلك أُموراً موطّاة وحقوقاً ينسخ بعضها بعضاً.

فقال معاوية: أُنظر وتَنْظُر واستطلع رأي أهل الشام[١].

(١) كتاب صفين لنصر بن مزاحم: ص٢٧.

واستحثه جرير بالبيعة فقال: يا جرير إنها ليس بخلسة وإنّه أمر له ما بعده فأبلعني ريقي حتّىٰ أنظر[1].

(١) كتاب صفين: ص٣٣.

تشاور ومطارحات نظر

ودعا معاوية ثقاته وشاورهم في الأمر فقال له عتبة بن أبي سفيان: استعن علىٰ هذا الأمر بعمرو بن العاص وأثمن له بدينه فإنّه من قد عرفت وقد اعتزل أمر عثمان في حياته وهو لأمرك أشدّ اعتزالاً إلاّ أن يرىٰ فرصة.

فكتب معاوية إلىٰ عمرو:

أمّا بعد فإنّه قد كان من أمر عليّ وطلحة والزبير ما قد بلغك وقد سقط إلينا مروان بن الحكم في رافضة أهل البصرة وقدم علينا جرير بن عبد الله في بيعة عليّ وقد حبستُ نفسي عليك حتّىٰ تأتيني أقبل أذاكرك أمراً.

فلمّا قرىء الكتاب علىٰ عمرو استشار ابنيه عبد الله ومحمّداً، فقال: ما تريان؟

فقال عبد الله: أرىٰ أنّ نبيّ الله قبض وهو عنك راض والخليفتان من بعده وقتل عثمان وأنت عنه غائب فقرّ في منزلك فلست مجعولاً خليفة ولا تريد أن تكون حاشية لمعاوية علىٰ دنياً قليلة أوشك أن تهلك فتشقي فيها.

وقال محمّد: أرىٰ أنّك شيخ قريش وصاحب أمرها ولن يصوم هذا الأمر وأنت فيه خامل يتصاغر أمرك فالحق بجماعة أهل الشام فكن يداً من أيديها واطلب بدم عثمان فإنّك قد استسلمت فيه إلىٰ بني أُميّة.

فقال عمرو: أمّا أنت يا عبد الله فأمرتني بما هو خير لي في ديني وأمّا أنت يا محمّد فأمرتني بما هو خير لي في دنياي وأنا ناظر فيه.

فلمّا جنّه اللّيل رفع صوته ينشد أبياتاً في ذلك يرذدها فقال عبد الله ترحّل الشيخ. فدعىٰ عمرو غلاماً له يقال له: وردان وكان داهياً مارداً فقال ارحل يا وردان ثمّ قال: حط يا وردان، فقال له وردان: خلطت يا أبا عبد الله أما إنّك إن

شئت أنبأتك بما في نفسك؟ قال: هات ويحك قال: أعتركت الدنيا والآخرة علىٰ قلبك، فقلت: عليّ معه الآخرة في غير دنيا، وفي الآخرة عوض من الدنيا ومعاوية معه الدنيا بغير آخرة وليس في الدّنيا عوض من الآخرة فأنت واقف بينهما!

قال عمرو: فإنّك والله ما أخطأت فما ترىٰ يا وردان؟ قال: أرىٰ أن تقيم في بيتك فإن ظهر أهل الدين عشت في عفو دينهم وإن ظهر أهل الدنيا لم يستغنوا عنك!! قال: الآن لما شهدت العرب مسيري إلىٰ معاوية.

فارتحل وسار حتّىٰ قدم علىٰ معاوية وعرف ذلك معاوية فباعده وكايد كلّ واحد منهما صاحبه!!! فلمّا دخل عليه قال: أبا عبد الله طرقتنا في ليلتنا هذهِ ثلاثة أخبار ليس فيها ورد ولا صدر.

قال عمرو: وما ذاك؟ قال: ذاك إنّ محمّد بن أبي حذيفة قد كسر سجن مصر فخرج هو وأصحابه وهو من آفات هذا الدّين.

ومنها: إنّ قيصر زحف بجماعة الرّوم إليّ ليغلب على الشام.

ومنها: إنّ عليّاً نزل الكوفة متهيّأً للمسير إلينا.

قال عمرو: ليس كلّ ما ذكرت عظيماً.

أمّا أمر ابن أبي حذيفة فما يعظمك من رجل خرج في أشباهه أن تخرج إليه الخيل حتّىٰ تقتله أو تأتيك به وإن فاتك لا يضرّك.

وأمّا قيصر فاهدِ له من وصفاء الروم ووصائفها[١] وآنية الذّهب والفضّة وسله الموادعة فإنّه إليها سريع.

وأمّا عليّ فلا والله يا معاوية لا تسوّي العرب بينك وبينه في شيء من الأشياء وأنّ له في الحرب لحظّاً ما هو لأحد من قريش وأنّه لصاحب ما هو فيه إلاّ أن تظلمه[٢].

وبناءاً علىٰ اقتراحات عمرو بعث معاوية مالك بن هبيرة في طلب ابن أبي حذيفة فأدركه فقتله وبعث إلىٰ قيصر بالهدايا فوادعه.

---

(١) الوصفاء: جمع وصيف الغلام دون المراهق، والمؤنث وصيفة وجمعها وصائف.

(٢) كتاب صفين: ص٣٣.

فبقي أمر عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال معاوية لعمرو: ما ترىٰ في عليّ؟ قال: أرىٰ فيه خيراً أتاك في هذه البيعة خير أهل العراق ومن عند خير الناس في أنفس الناس ودعوتك أهل الشام في ردّ هذه البيعة خطر شديد ورأس أهل الشام شرحبيل بن السمط الكنديّ وهو عدوّ لجرير فأرسل إليه ووطّيء له ثقاتك فليُفشوا في الناس أنّ عليّاً قتل عثمان وليكونوا أهل الرضا عند شرحبيل فإنّها كلمة جامعة لك أهل الشام علىٰ ما تحبّ ومن تعلّق بقلبه شيء لم يخرجه شيء أبداً.

فدعا معاوية يزيد بن لبيد وبسر بن أرطأة وعمرو بن سفيان ومخارق بن الحرث الزبيدي وحمزة بن مالك وحابس بن سعيد الطّائي ثمّ كتب إلىٰ شرحبيل أنّ جرير بن عبد الله قدم علينا من قبل عليّ بأمر فظيع فأقدم.

فاستشار شرحبيل أهل اليمن من أهل حمص فاختلفوا عليه فقام إليه عبد الرّحمان بن غنم وهو صاحب معاذ وختنه وكان أفقه أهل الشّام فنهاه عن المسير إلىٰ معاوية ووعظه ونهاه أيضاً عياض اليمانيّ وكان ناسكاً.

فأبىٰ شرحبيل إلاّ أن يسير إلىٰ معاوية.

فلمّا تقدّم عليه تلقّاه النّاس فأعظموه ودخل علىٰ معاوية فقال له معاوية: يا شرحبيل إنّ جرير بن عبد الله يدعونا إلى بيعة عليّ وعليّ خير الناس لولا أنّه قتل عثمان وحبست نفسي عليك وإنّما أنا رجل من أهل الشام أرضىٰ ما رضوا وأكره ما كرهوا.

فقال شرحبيل: اخرج فانظر فخرج فلقيه هؤلاء النفر الموطّؤن له كلّهم يخبره بأنّ عليّاً قتل عثمان فرجع مغضباً إلىٰ معاوية فقال: يا معاوية أبى الناس إلاّ أنّ عليّاً قتل عثمان والله لئن بايعت له فنخرجنّك من الشام أو لنقتلنّك!

قال معاوية: ما كنت لأخالف عليكم ما أنا إلاّ رجل من أهل الشّام.

وخرج شرحبيل فأتىٰ حصين بن نمير فقال: ابعث إلىٰ جرير فبعث إليه حصين أن زرنا فإنّ عندنا شرحبيل بن السّمط فاجتمعا عنده.

فتكلّم شرحبيل فقال: يا جرير أتيتنا بأمر ملفّق لتلقينا في لهوات الأسد وأردت أن تخلط الشام بالعراق وأطريت عليّاً وهو قاتل عثمان والله سائلك عمّا قلت يوم القيامة.

فردّ عليه جرير وقال: يا شرحبيل أما قولك إنّي جئت بأمر ملفّق فكيف يكون

أمراً ملفقاً وقد اجتمع عليه المهاجرون والأنصار وقوتل علىٰ ردّه طلحة والزبير.

وأمّا قولك: إنّي ألقيتك في لهوات الأسد ففي لهواتها ألقيت نفسك.

وأمّا خلط العراق بالشام فخلطها علىٰ حقّ خير من فرقتها علىٰ باطل.

وأمّا قولك إنّ علياً قتل عثمان فوالله ما في يديك من ذلك إلاّ القذف بالغيب من مكان بعيد ولكنك ملت إلى الدنيا وشيء كان في نفسك عليّ زمن سعد بن أبي وقّاص[1] فبعث معاوية شرحبيل إلىٰ مدائن الشام يدعوهم إلىٰ الطلب بدم عثمان فبدأ بأهل حمص فأجابوه إلاّ نسّاك من أهل حمص فإنّهم قاموا إليه فقالوا: بيوتنا قبورنا ومساجدنا وأنت أعلم بما ترىٰ، حتّىٰ استفرغ مدائن الشام كلّها وقبلوا ما أتاهم به[2].

وكان معاوية قد أتىٰ جريراً قبل ذلك في منزله فقال: يا جرير أنّي رأيت رأياً قال: هاته، قال: اكتب إلىٰ صاحبك يجعل لي الشام ومصر جباية فإذا حضرته الوفاة لم يجعل لأحد بعده بيعة في عنقي وأسلم له هذا الأمر واكتب إليه بالخلافة!!! فقال جرير: اكتب بما أردت واكتب معك فكتب معاوية بذلك إلىٰ عليّ.

فكتب عليّ إلى جرير:

أمّا بعد فإنّما أراد معاوية أن لا يكون لي في عنقه بيعة وأن يختار من أمره ما أحبّ وأراد أن يريّثك حتّىٰ يذوق أهل الشام وإنّ المغيرة بن شعبة قد كان أشار عليّ أن أستعمل معاوية علىٰ الشام وأنا بالمدينة فأبيت ذلك عليه[3].

ولم يكن الله ليراني أتّخذ المضلّين عضداً فإن بايعك الرجل وإلاّ فأقبل[4].

(١) كتاب صفين: ص٤٤ بتصرف.

(٢) كتاب صفين: ص٥٠ بتصرّف.

(٣) جاء المغيرة إلىٰ أمير المؤمنين عليه السلام فقال له يا أمير المؤمنين إنّ معاوية من قد عرفت وقد ولاّه الشام من كان قبلك فولّه أنت كيما تتسّق عرى الأمور ثمّ أعزله إن بدا لك. فقال له أمير المؤمنين عليه السلام أتضمن لي عمري يا مغيرة فيما بين توليته إلىٰ خلعه؟ قال: لا قال: لا يسألني الله عزّ وجلّ عن توليته علىٰ رجلين من المسلمين ليلة سوداء أبداً وما كنت متّخذ المضلّين عضداً لكن ابعث إليه وادعوه إلىٰ ما في يدي من الحقّ فإن أجاب فرجل من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم وإن أبىٰ حاكمته إلى الله راجع أمالي الطوسي: ١/ ٨٥ فيه تتّمة.

(٤) راجع كتاب صفين: ص٥٢.

وكتب إليه ثانية:

فإذا أتاك كتابي فاحمل معاوية على الفصل ثمّ خيّره وخذه بالجواب بين حرب مخزية أو سلم مخطية فإن اختار الحرب فانبذ له وإن اختار السّلم فخذه ببيعته[١].

فلمّا بايع معاوية أهل الشام قال لجرير الحق بصاحبك وكتب إليه بالحرب[٢].

(١) كتاب صفين: ص٥٥.

(٢) كتاب صفين: ص٥٦ بتصرف.

خيار الحرب

من كلام له عَلَيْهِ السَّلَامُ وقد أشار إليه أصحابه بالاستعداد للحرب بعد إرساله جرير إلى معاوية: إنّ استعدادي لحرب أهل الشام وجرير عندهم إغلاق للشام وصرف لأهله عن خير إن أرادوه ولكن قد وقّت لجرير وقتاً لا يقيم بعده إلاّ مخدوعاً أو عاصياً والرأي عندي مع الأناة فأرودوا ولا أكره لكم الاستعداد لحرب أهل الشام.

ولقد ضربت أنف هذا الأمر وعينه وقلّبت ظهره وبطنه فلم أر لي إلاّ القتال أو الكفر بما أُنزل على محمد ﷺ.

إنّه قد كان على الأُمّة والٍ أحدث أحداثاً وأوجد الناس مقالاً فقالوا ثمّ نقموا فغيّروا[1].

وتكلّم معه عَلَيْهِ السَّلَامُ ناس أن يستأني بالأمر ولا يعجل القتال فقال:

أمّا بعد فإنّ الله وارث العباد والبلاد وربّ السموات السبع والأرضين السبع وإليه ترجعون يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممّن يشاء ويعزّ من يشاء ويذلّ من يشاء أمّا الدّبرة[2] فإنّها على الضالين العاصين ظفروا أو ظفر بهم[3].

وإليك نماذجاً من كلامه عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو يستنفر النّاس ويبيّن لهم مبررات حربه مع القاسطين فيما تقرأه في الصفحات التالية.

---

(١) نهج البلاغة: ٤٣ من المختار من كلامه عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(٢) الدبرة: الخسارة.

(٣) راجع شرح نهج البلاغة: ٣/ ١٧١.

عليّ عليه السلام يتحرّك لقتال القاسطين

لمّا عزم أمير المؤمنين عليه السلام على المسير إلى الشّام قال:

اللّهمّ إنّي أعوذ بك من وعثاء[1] السفر وكآبة المنقلب[2] وسوء المنظر[3] في النفس والأهل والمال.

اللّهمّ أنت الصاحب في السفر، وأنت الخليفة في الأهل ولا يجمعهما غيرك لأنّ المستخلف لا يكون مستصحباً والمستصحب لا يكون مستخلفاً[4].

ثمّ قال:

اتقوا الله عباد الله وأطيعوا إمامكم فإنّ الرّعية الصّالحة تنجو بالإمام العادل ألا وإنّ الرّعية الفاجرة تهلك بالإمام الفاجر وقد أصبح معاوية غاصباً لما في يديه من حقّي ناكثاً لبيعتي طاعناً في دين الله عزّ وجلّ.

فاتقوا الله عباد الله وجاهدوا في سبيله قبل أن ينالكم سخطه بعصيانكم له[5].

وقال عليه السلام لمن كان معه من المهاجرين والأنصار: أمّا بعد فإنّكم ميامين الرأي مراجيح الحلم، مقاويل بالحقّ، مباركو الفعل والأمر، وقد أردنا المسير إلىٰ عدوّنا وعدوّكم فأشيروا علينا برأيكم[6].

---

(١) الوعثاء: المشقّة.

(٢) الكآبة: الحزن والمنقلب: المصير.

(٣) هو أن يرىٰ في نفسه وأهله وماله ما يكره.

(٤) نهج البلاغة: ٤٦ من المختار من كلامه عليه السلام.

(٥) راجع الإرشاد: ١٣٩ ط النجف الخطبة طويلة أخذنا منها هذه الأسطر مخافة التطويل.

(٦) كتاب صفين: ص٩٢.

رأي المهاجرين والأنصار

مدرسة عليّ عليه السلام هي التي تتحدّث عن الإسلام الذي أراده الله تعالىٰ وهي ترجمان حركة النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وحركة النبوات التي قبله وقد أراد الله تعالىٰ لأناس نوّر الله قلوبهم بالإيمان أن ينتمو إلىٰ هذهِ المدرسة العظيمة وينهلوا من مناهلها العذبة ويأخذوا دروساً في الجهاد والصبر ومعرفة الحياة وتطويع الدنيا لرسالة الله تعالىٰ بروح صادقة وإقبال رائد.

ولعلنا ونحن أخذنا علىٰ عاتقنا أن لا نطيل في القول ولا نسهب حيث منهجة الكتاب لا تسمح بذلك إلاّ أنّ التأثر النفسي والتعلق الرّوحي الذي تشدّه كلمات هؤلاء الروّاد الأحرار في مدرسة عليّ عليه السلام يجعلان المسلم يطوف معهم ويفهم أنّ التاريخ لا يصنعه إلاّ أمثال هؤلاء وأنّ المواقف لا يثبتها في حركة الحياة إلاّ المجاهدون والصّابرون والعارفون وهم أولئك الذين لازموا عليّاً في حركته في سلمه وحربه في كل شأن من شؤون حياته فأرخصوا النفوس وطلقوا الدنيا من أجله، وما بلغه هؤلاء من التفقه في الدين ووعيهم في مسيرة الحياة ظلّ علماً للهداية ونبراساً تهتدي به الأجيال.

فها هو عمرو بن الحمق يتحدّث إلىٰ عليّ عليه السلام وهو يومئذ عازم على المسير لحرب معاوية فيقول له:

والله يا أمير المؤمنين إنّي ما أجبتك ولا بايعتك علىٰ قرابة بيني وبينك ولا إرادة مال تؤتينيه ولا إرادة سلطان ترفع به ذكري ولكنّي أجبتك بخصال خمس: أنك ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأوّل من آمن به، وزوج سيّد نساء الأُمّة فاطمة بنت محمّد ووصيّه وأبو الذريّة الّتي بقيت فينا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأسبق الناس إلىٰ الإسلام وأعظم المهاجرين سهماً في الجهاد فلو أنّي كلّفت نقل الجبال الرواسي ونزح البحور الطّوامي حتّىٰ يأتي عليّ يومي في أمر أقوّي به وليّك وأهين به عدوّك

ما رأيت أنّي قد أدّيت فيه كلّ الذي يحق عليّ من حقّك.

فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: اللّهمّ نوّر قلبه بالتقىٰ واهده إلىٰ صراطك المستقيم ليت أنّ في جندي مائة مثلك!! فقال: حجر: إذاً والله يا أمير المؤمنين صحّ جندك وقلّ فيهم من يغشّك[1].

وقام عمّار بن ياسر فذكر الله بما هو أهله وحمده وقال:

يا أمير المؤمنين، إن استطعت ألاّ تقيم يوماً واحداً فافعل أشخص بنا قبل استعار نار الفجرة، واجتماع رأيهم على الصدود والفرقة وادعهم إلىٰ رشدهم وحضّهم فإن قبلوا سعدوا وإن أبوا إلاّ حربنا فوالله إن سفك دمائهم والجدّ في جهادهم لقربة عند الله وهو كرامة منه[2].

وقام قيس بن عبادة فحمد الله وأثنىٰ عليه ثمّ قال:

يا أمير المؤمنين انكمش بنا إلىٰ عدوّنا ولا تعرّد[3] فوالله لجهادهم أحبّ إليّ من جهاد الترك والروم لإدهانهم[4] في دين الله، واستذلالهم أولياء الله من أصحاب محمّد ﷺ من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان إن غضبوا علىٰ رجل حبسوه أو ضربوه أو حرموه أو سيّروه وفيئنا لهم في أنفسهم حلال ونحن لهم فيما يزعمون قطين[5].

فقال أشياخ الأنصار، منهم خزيمة بن ثابت، وأبو أيّوب الأنصاري وغيرهما لِمَ تقدّمت أشياخ قومك وبدأتهم يا قيس بالكلام؟ فقال: أما إنّي عارف بفضلكم معظّم لشأنكم ولكنّي وجدت في نفسي الضّغن الذي جاش في صدوركم حين ذُكرت الأحزاب فقال بعضهم لبعض ليقم رجل منكم فليجب أمير المؤمنين عن جماعتكم فقالوا: قم يا سهل بن حنيف فقام سهل فحمد الله وأثنىٰ عليه ثمّ قال:

يا أمير المؤمنين نحن سلم لمن سالمت وحرب لمن حاربت ورأينا رأيك

---

(١) انظر كتاب صفين: ص٩٢.

(٢) جذلة: فرحة.

(٣) كتاب صفين: ص٩٢.

(٤) الانكماش: الإسراع. والتعريد: الأحجام.

(٥) الإدهان: الغش والمصانعة.

(٦) القطين: الخدم والأتباع والرقيق.

ونحن كفّ يمينك وقد رأينا أن تقوم بهذا الأمر في أهل الكوفة فتأمرهم بالشخوص وتخبرهم بما صنع الله لهم في ذلك من الفضل فإنّهم هم أهل البلد وهم الناس فإن استقاموا لك استقام الذي تريد وتطلب وأمّا نحن فليس عليك منّا خلاف متىٰ دعوتنا أجبناك ومتىٰ أمرتنا أطعناك.

فعندها قال عليّ عليه السلام سيروا إلىٰ أعداء الله سيروا إلىٰ أعداء السنن والقرآن سيروا إلى بقيّة الأحزاب قتلة المهاجرين والأنصار.

فقام رجل من بني فزارة يقال له أربد فقال: أتريد أن تسيّرنا إلىٰ إخواننا من أهل الشام فنقتلهم لك كما سرت بنا إلىٰ إخواننا من أهل البصرة فقتلناهم كلاّها اللّهِ إذاً لا تفعل ذلك فقام الأشتر فقال من لهذا أيها الناس؟ وهرب الفزاريّ واشتدّ الناس أثره فلحق بمكان من السوق تباع فيه البراذين فوطئوه بأرجلهم وضربوه بأيديهم ونعال سيوفهم حتّىٰ قتل فأتىٰ عليّ عليه السلام فقيل يا أمير المؤمنين قتل الرجل قال: ومن قتله؟

قالوا: قتله همدان وفيهم شوبة من الناس فقال: قتيل عُميّة لا يدرىٰ من قتله ديته من بيت مال المسلمين.

وقام الأشتر فحمد الله وأثنىٰ عليه فقال: يا أمير المؤمنين لا يهدّنّك ما رأيت ولا يؤيسنّك من نصرنا ما سمعت من مقالة هذا الشقي الخائن جميع من ترىٰ من الناس شيعتك وليسوا يرغبون بأنفسهم عن نفسك ولا يحبّون بقاء بعدك فإن شئت فسر بنا إلىٰ عدوك والله ما ينجو من الموت من خافه ولا يعطى البقاء من أحبّه وما يعيش بالآمال إلاّ شقي وإنّا لعلىٰ بيّنة من ربّنا إنّ نفساً لن تموت حتّىٰ يأتي أجلها فكيف لا نقاتل قوماً كما وصف أمير المؤمنين وقد وثب عصابة منهم علىٰ طائفة من المسلمين بالأمس فأسخطوا الله وأظلمت بأعمالهم الأرض وباعوا خَلاقهم[1] بعرض من الدّنيا يسير.

فقال عليّ عليه السلام: الطريق مشترك والناس في الحقّ سواء ومن اجتهد رأيه في نصيحة العامّة فله ما نوىٰ وقد قضىٰ ما عليه[2].

ودخل عبد الله بن المعْتَم العبسي، وحنظلة بن الرّبيع التميمي في رجال كثير

---

(١) الخلاق: الحظُّ والنصيب من الخير.

(٢) كتاب صفين: ص٩٢.

من غطفان وبني تميم على أمير المؤمنين، فقال له التميمي: «يا أمير المؤمنين إنّا قد مشينا إليك بنصيحة فاقبلها منّا ورأينا لك رأياً فلا تردّه علينا فإنّا نظرنا لك ولمن معك أقم وكاتب هذا الرجل ولا تعجل إلىٰ قتال أهل الشام فإنّي والله ما أدري ولا تدري لمن تكون إذا التقيتم الغلبة وعلىٰ من تكون الدّبرة.

وقام ابن المعتّم فتكلّم وتكلّم القوم الذين دخلوا معهما بمثل ما تكلّم به فحمد عليّ الله وأثنىٰ عليه وقال:

أمّا بعد فإنّ الله وارث العباد والبلاد وربّ السموات السبع والأرضين السبع وإليه ترجعون يؤتي الملك من يشاء وينزعه ممّن يشاء، ويعزّ من يشاء ويذلّ من يشاء أمّا الدّبرة فإنّها علىٰ الضالّين العاصين ظفروا أو ظفر بهم وأيم الله إنّي لأسمع كلام قوم ما أراهم يريدون أن يعرفوا معروفاً ولا ينكروا منكراً».

فقام إليه معقل بن قيس اليربوعي ثمّ الرّياحي فقال:

يا أمير المؤمنين إنّ هؤلاء والله ما أتوك بنصح ولا دخلوا عليك إلاّ بغشّ فاحذرهم فإنّهم أدنى العدوّ.

فقال له مالك بن حبيب: يا أمير المؤمنين، إنّه بلغني أنّ حنظلة هذا يكاتب معاوية فادفعه إلينا نحبسه حتّىٰ تنقضي غزاتك ثمّ تنصرف.

وقام إلىٰ عليّ عليه السلام عيّاش بن ربيعة وقائد بن بكير العبسيان، فقالا: يا أمير المؤمنين، إنّ صاحبنا عبد الله بن المعتّم قد بلغنا أنّه يكاتب معاوية فاحبسه أو أمكنّا منه نحبسه حتّىٰ تنقضي غزاتك وتنصرف فأخذا يقولان هذا جزاء من نظر لكم وأشار عليكم بالرأي فيما بينكم وبين عدوّكم فقال لهما عليّ: «الله بيني وبينكم وإليه أكلكم وبه أستظهر عليكم اذهبوا حيث شئتم».

ثمّ بعث عليّ عليه السلام إلىٰ حنظلة بن الربيع المعروف بحنظلة الكاتب ـ وهو من الصحابة ـ فقال: يا حنظلة أعليّ أم لي؟ قال: لا عليك ولا لك. قال: فما تريد؟ قال: أشخص إلىٰ الرُّها[1]. فإنّه فرج من الفروج أصمد له حتّىٰ ينقضي هذا الأمر[2].

---

(١) الرُّها: بضم أوله والمد والقصر: مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام.

(٢) راجع كتاب صفين: ص٩٢.

ثمّ قام عديّ بن حاتم الطّائي بين يدي عليّ عليه السلام فحمد الله بما هو أهله وأثنىٰ عليه ثمّ قال: يا أمير المؤمنين ما قلت إلاّ بعلم ولا دعوت إلاّ إلىٰ حقّ ولا أمرت إلاّ برشد فإن رأيت أن تستأني هؤلاء القوم وتستديهم حتّىٰ تأتيهم كتبك ويقدم عليهم رسلك فعلت فإن يقبلوا يصيبوا ويرشدوا والعافية أوسع لنا ولهم وإن يتمادوا في الشّقاق ولا ينزعوا عن الغيّ فسر إليهم وقد قدّمنا إليهم العذر ودعوناهم إلىٰ ما في أيدينا من الحقّ فوالله لَهمْ من الله أبعد وعلى الله أهون من قوم قاتلناهم بناحية البصرة أمس لما أجهد لهم الحقّ فتركوه براكاء[1] القتال حتّىٰ بلغنا منهم ما نحبّ وبلغ الله منهم رضاه فيما يرىٰ.

فقام زيد بن حصين الطّائي - وكان من أصحاب البرانس[2] المجتهدين - فقال: الحمد لله حتّىٰ يرضىٰ ولا إله إلا الله ربّنا ومحمّد رسول الله نبيّنا أمّا بعد فوالله لئن كنّا في شكّ من قتال من خالفنا لا يصلح لنا النيّة في قتالهم حتّىٰ نستديمهم ونستأنيهم ما الأعمال إلاّ في تباب ولا السّعي إلاّ في ضلال والله يقول: **﴿وأما بنعمة ربّك فحدّث﴾** إنّا والله ما ارتبنا طرفة عين فيمن يبتغون دمه فكيف بأتباعه القاسيةِ قلوبهم القليل في الإسلام حظّهم أعوان الظلمة ومسدّدي أساس الجور والعدوان ليسوا من المهاجرين ولا الأنصار ولا التابعين بإحسان.

ودخل يزيد بن قيس الأرحبيّ علىٰ عليّ عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين نحن علىٰ جهاز وعدّة وأكثر الناس أهل قوّة ومن ليس بمضعَف وليس به علّة فمر مناديك فليناد بالنّاس يخرجوا إلىٰ معسكرهم بالنّخيلة فإنّ أخا الحرب ليس بالسؤوم ولا النؤوم ولا من إذا أمكنه الفرص أجّلها واستشار فيها ولا من يؤخر الحرب في اليوم إلىٰ غد وبعد غد.

فقال زياد بن النضر: لقد نصح لك يا أمير المؤمنين يزيد بن قيس، وقال ما يعرف فتوكّل علىٰ الله وثِق به وأشخص بنا إلىٰ هذا العدوّ راشداً معاناً فإن يرد الله بهم خيراً لا يدعوك رغبة عنك إلىٰ من ليس مثلك في السابقة مع النبيّ صلى الله عليه وآله والقدم في الإسلام والقرابة من محمّد صلى الله عليه وآله وإلاّ يُنيبوا ويقبلوا ويأبوا إلاّ حربنا نجد حربهم علينا هيّنا ورجونا أن يصرعهم الله مصارع إخوانهم بالأمس.

---

(١) البراكاء: بضمّ الرّاء وفتحها الابتراك في الحرب وهو أن يجثو القوم على أركبهم والمناوخة: مفاعلة من النوخ وهو البروك.

(٢) البرانس: بالضم قلنسوة طويلة أوكلّ ثوب رأسه منه.

ثمّ قام عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي فقال: يا أمير المؤمنين إنّ القوم لو كانوا الله يريدون أو لله يعملون ما خالفونا ولكن القوم إنّما يقاتلون فراراً من الأسوة وحبّاً للأثرة وضنّاً بسلطانهم وكرهاً لفراق دنياهم التي في أيديهم وعلىٰ إحن في أنفسهم وعداوة يجدونها في صدورهم لوقائع أوقعتها يا أمير المؤمنين بهم قديمة قتلت فيها آباءهم وإخوانهم[1].

(١) كتاب صفين: ص٩٨.

الحسنان عليهما السلام يستنفران الناس

خطب الإمام الحسن المجتبىٰ عليه أفضل الصلاة والسّلام في أهل الكوفة يحرّضهم علىٰ جهاد عدوّ الله معاوية والذين معه فقال:

الحمد لله لا إله غيره وحده لا شريك له، ثمّ إنّ ممّا عظّم الله عليكم من حقّه وأسبغ عليكم من نعمه ما لا يحصىٰ ذكره ولا يؤدّىٰ شكره ولا يبلغه قول ولا صفة ونحن إنّما غضبنا لله ولكم فإنّه منّ علينا بما هو أهله أن نشكر فيه آلاءه وبلاءه ونعماءه قول يصعد إلى الله فيه الرّضا وتنتشر فيه عارفة الصّدق يصدّق الله فيه قولنا ونستوجب فيه المزيد من ربّنا قولاً يزيد ولا يبيد فإنه لم يجتمع قوم قطّ علىٰ أمر واحد إلاّ اشتدّ أمرهم واستحكمت عقدتهم.

فاحتشدوا في قتال عدوّكم معاوية وجنوده فإنّه قد صغر ولا تخاذلوا فإنّ الخذلان يقطع نياط القلوب وإنّ الإقدام علىٰ الأسنّة نجدة وعصمة لأنّه لم يمتنع قوم قطّ إلاّ دفع الله عنهم العلّة وكفاهم جوائح الذّلة وهداهم إلىٰ معالم الملّة.

ثمّ أنشد:

والصلح تأخذ منه ما رضيت به — والحرب يكفيك من أنفاسها جرع

ثمّ قام الحسين عليه السلام فحمد الله وأثنىٰ عليه بما هو أهله وقال:

يا أهل الكوفة أنتم الأحبّة الكرماء والشعار دون الدّثار فجدّوا في إحياء ما دثر بينكم وتسهيل ما توعّر عليكم.

ألا إنّ الحرب شرّها ذريع وطعمها فظيع وهي جرع مستحساة فمن أخذ لها أهبتها واستعدّ لها عدّتها ولم يألم كلومها عند حولها فذاك صاحبها ومن عاجلها

قبل أوان فرصتها واستبصار سعيه فيها فتراك ممّن لا ينفع قومه وأن يهلك نفسه نسأل الله بقوّته أن يدعمكم بإلفته[1]، ثمّ نزل.

(١) راجع شرح نهج البلاغة: ١/٦٢٨.

موقف أهل البصرة

كتب أمير المؤمنين عليه السلام إلىٰ واليه في البصرة عبد الله بن عبّاس وهو:

أمّا بعد فاشخص إليّ بمن قبلك من المسلمين والمؤمنين وذكّرهم بلائي عندهم وعفوي عنهم واستبقائي لهم ورغّبهم في الجهاد وأعلمهم الذي لهم في ذلك من الفضل والسّلام. فلمّا وصل كتابه عليه السلام إلى ابن عبّاس قام في النّاس فقرأ عليهم الكتاب وحمد الله وأثنىٰ عليه وقال:

يا أيّها النّاس استعدّوا للشخوص إلىٰ إمامكم وانفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فإنكم تقاتلون المحلّين القاسطين الذين لا يقرأون القرآن ولا يعرفون حكم الكتاب ولا يدينون دين الحقّ مع أمير المؤمنين وابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر والصّادع بالحقّ والقيّم بالهدىٰ والحاكم بحكم الكتاب الذي لا يرتشي في الحكم ولا يداهن الفجّار ولا تأخذه في الله لومة لائم.

فقام إليه الأحنف بن قيس فقال: نعم والله لنجيبنّك ولنخرجنّ معك على العسر واليسر والرّضا والكره نحتسب في ذلك الخير ونأمل به من الله العظيم من الأجر.

وقام إليه خالد بن المعمّر السّدوسي فقال: سمعنا وأطعنا فمتى استنفرتنا نفرنا ومتىٰ دعوتنا أجبنا.

وقام إليه عمرو بن مرحوم العبدي فقال: وفّق الله أمير المؤمنين وجمع له أمر المسلمين ولعن المحلّين القاسطين الذين لا يقرؤن القرآن نحن والله عليهم حنقون ولهم في الله مفارقون فمتىٰ أردتنا صحبك خيلنا ورجلنا إنشاء الله.

فأجاب الناس إلى المسير ونشطوا وخفّوا واستعمل ابن عبّاس على البصرة أبا الأسود الدؤلي وخرج حتّىٰ قدم علىٰ عليّ عليه السلام بالنخيلة[1].

(١) كتاب صفين: ص١٠٠.

عليّ عليه السلام يرسل الدفعة الأولىٰ من المحاربين

قبل أن يذهب أمير المؤمنين إلىٰ النّخيلة دعا زياد بن النَّضر وشُريح بن هانىء وكانا على مذحج والأشعريين ـ قال: يا زياد اتّق الله في كلّ مُمسىً ومُصْبَح وخف علىٰ نفسك الدنيا الغرور ولا تأمنها علىٰ حال من البلاء واعلم أنّك إن لم تَزَع نفسك عن كثير مّمّا يُحَبّ مخافة مكروهة سمت بك الأهواء إلىٰ كثير من الضرّ فكن لنفسك مانعاً وازعاً من البغي والظلم والعدوان فإنّي قد ولّيتك هذا الجند فلا تستطيلنّ عليهم وإنّ خيركم عند الله أتقاكم وتعلّم من عالمهم وعَلِّم جاهلهم واحلم عن سفيههم فإنّك إنّما تدرك الخير بالحلم وكفّ الأذىٰ والجهل.

فقال زياد: أوصيت يا أمير المؤمنين حافظاً لوصيّتك مؤدَّباً بأدبك يرى الرّشد في نفاذ أمرك والغَيّ في تضييع عهدك.

فأمرهما أن يأخذا في طريق واحد ولا يختلفا وبعثهما في اثني عشر ألفاً علىٰ مقدّمته شريح بن هانىء علىٰ طائفة من الجند، وزياد علىٰ جماعة فأخذ شريح يعتزل بمن معه من أصحابه علىٰ حِدَة ولا يقرب زياد بن النّضر فكتب زياد إلىٰ عليّ عليه السلام مع غلام له أو مولىً يقال له شوذب:

لعبد الله عليّ أمير المؤمنين من زياد بن النّضر، سلام عليك فإنّي أحمد إليك الله الذي لا إله إلاّ هو أمّا بعد فإنّكَ ولّيتني أمر الناس وإنّ شريحاً لا يرىٰ لي عليه طاعة ولا حقّاً وذلك من فعله لي استخفاف بأمرك وترك لعهدك والسلام.

وكتب شريح بن هانىء:

سلام عليك فإنّي أحمد إليك الله الذي لا إله إلاّ هو أمّا بعد فإنّ زياد بن النّضر حين أشركته في أمرك وولّيته جنداً من جنودك تنكّر واستكبر ومال به العجب والخيلاء والزهو إلىٰ ما لا يرضاه الربّ تبارك وتعالىٰ من القول والفصل فإن رأىٰ أمير المؤمنين أن يعزله عنّا ويبعث مكانه من يحبّ فليفعل فإنّا له كارهون والسلام.

فكتب إليهما عليّ عليه السلام :

من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلىٰ زياد بن النّضر وشريح بن هانيء سلام عليكما فإنّي أحمد إليكما الله الذي لا إله إلاّ هو أمّا بعد فإنّي قد ولّيت مقدّمتي زياد بن النّضر وأمّرته عليها وشريح علىٰ طائفة منها أمير فإن أنتما جمعكما بأس فزياد بن النّضر على الناس وإن افترقتما فكلّ واحد منكما أمير الطائفة الّتي ولّيناه أمرها واعلما أنّ مقدمة القوم عيونهم وعيون المقدّمة طلائعهم فإذا أنتما خرجتما من بلادكما فلا تسأما من توجيه الطلائع ومن نفض الشّعاب والشجر والخَمَر[1] في كلّ جانب كي لا يغترّكما عدوّ أو يكون لكما كمين ولا تسيّرن الكتائب والقبائل من لدن الصّباح إلىٰ المساء إلاّ علىٰ تعبية فإن دهمكم داهم أو غشيكم مكروه كنتم قد تقدمتم في التعبية وإذا نزلتم بعدوّ أو نزل بكم فليكن معسكركم في قُبُل الأشراف[2] أو سفاح الجبال أو أثناء الأنهار كي ما يكون ذلك لكم ردءاً وتكون مقاتلتكم من وجه واحد أو اثنين واجعلوا رقباءكم في صياصي الجبال وبأعالي الأشراف ومناكب الهضاب[3] يرون لكم لئلاّ يأتيكم عدوّ من مكان مخافةٍ أو أمن وإيّاكم والتفرّق فإذا نزلتم فانزلوا جميعاً وإذا رحلتم فارحلوا جميعاً وإذا غشيكم ليل فنزلتم فحفوا عسكركم بالرّماح والأترسة ورماتكم يلون تِرَسَتَكُمْ ورماحكم وما أقمتم فكذلك فافعلوا كي لا تصاب لكم غفلة ولا تلغىٰ منكم غِرّة فما قوم حَفُّوا عسكرهم برماحهم وترستهم من ليل أو نهار إلاّ كانوا كأنّهم في حصون واحرسا عسكركما بأنفسكما وإيّاكما أن تذوقا نوماً حتّىٰ تصبحا إلاّ غراراً أو مضمضة[4] ثمّ ليكن ذلك شأنكما ودأبكما حتّىٰ تنتهيا إلىٰ عدوّكما، وليكن عندي كلّ يوم خبركما ورسول من قبلكما فإنّي ولا شيء إلاّ ما شاء الله حثيث السير في آثاركما. عليكما في حربكما بالتؤدة وإيّاكم والعجلة إلاّ أن تمكنكم فرصة بعد الإعذار والحجة وإيّاكما أن تقاتلا حتّىٰ أقدم عليكما إلاّ أن تُبدَآ أو يأتيكما أمري إن شاء الله ـ والسلام[5].

---

(١) النفيضة: الجماعة يبعثون في الأرض متجسسين لينظروا هل فيها عدو أو خوف، والشعاب: جمع شعبة وهو ما انشعب من التلعة والوادي أي عدل عنه وأخذ في طريق غير طريقه. والخَمَرَ بالتحريك: ما واراك من الشجر والجبال ونحوها.

(٢) الأشراف: الأماكن العالية.

(٣) المنكب من الأرض: الموضع المرتفع.

(٤) لما جعل للنوم ذوقاً أمرهم أن لا ينالوا منه إلاّ بألسنتهم ولا يسيغوه فشبهه بالمضمضة بالماء وإلقائه من الفم من غير ابتلاع.

(٥) كتاب صفين: ص١٢١.

وهكذا فقد أُبتلي عليّ عليه السلام من أوّل يوم باختلاف في صفّه وعدم اتفاق ذلك أنّ النعرات القبلية قد حكمت علىٰ كثير من عقول الناس ولم ينفك منها إلاّ القليل الذين هدى الله ونحن إذ لا نشكك في نواياهم وفي إخلاصهم لأمير المؤمنين عليه السلام كذلك لا نغفل ما حدث من تضييع الفرصة في اتحاد الكلمة وتذويب الذات من أجل الهدف الكبير الذي ناشدهم به عليّ في كتبه ورسائله وخطبه، وكأنه عليه السلام في وادٍ وهم في وادٍ آخر ولا حول له ولا قوّة في عملية تغيير الأمّة التي اجتمعت كلمتها علىٰ الغباء في الموقف.

---

(١) كتاب صفين: ص١١١.

(٢) غمص الناس: أي احتقرهم ولم يرهم شيئاً وسفه الحقّ أي جهله أو عدّه سفهاً.

عليّ عليه السلام في النُّخيلة

كان عليّ عليه السلام قد كتب كتاباً إلىٰ عمرو بن العاص وفيه:

أمّا بعد فإنّ الدنيا مشغلة عن غيرها وصاحبها مقهور فيها لم يصب منها شيئاً قطّ إلاّ فتحت له حرصاً وأدخلت عليه مؤنة تزيده رغبة فيها ولن يستغني صاحبها بما نال عمّا لم يبلغه ومن وراء ذلك فراق ما جمع والسعيد من وعظ بغيره فلا تحبط أجرك أبا عبد الله ولا تجارين معاوية في باطله فإنّ معاوية غمص الناس وسفه الحقّ.

فجاءه جواب عمرو بن العاص وهو في النخيلة.

من عمرو بن العاص إلىٰ عليّ بن أبي طالب أمّا بعد فإنّ الذي فيه صلاحنا وألفة ذات بيننا أن تنيب إلى الحقّ وأن تجيب إلىٰ ما تدعون إليه من شورىٰ فصبر الرجل منّا نفسه على الحقّ وعذره الناس بالمحاجزة والسلام[1].

وروي عن ابن نباتة قال: قال عليّ عليه السلام ما يقول الناس في هذا القبر بالنخيلة؟ ـ وبالنخيلة قبر عظيم يدفن اليهود موتاهم حوله ـ فقال الحسن بن عليّ عليه السلام يقولون هذا قبر هود لمّا عصاه قومه جاء فمات ها هنا، فقال: كذبوا لأنا أعلم به منهم هذا قبر يهودا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم بكر يعقوب.

ثمّ قال: أها هنا أحد من مهرة؟ فأُتي بشيخ فقال أين منزلك؟ قال: علىٰ شاطىء البحر، قال: أين أنت من الجبل الأحمر؟ قال: أنا قريب منه.

قال: فما يقول قومك فيه؟ قال: يقولون: إنّ فيه قبر ساحر، قال: كذبوا ذلك قبر هود النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وهذا قبر يهودا بن يعقوب بكره.

---

(١) كتاب صفين: ص١١١.

وحين علم معاوية نزول عليّ عليه السلام النخيلة ألبس منبر دمشق قميص عثمان مختضباً بالدم وحول المنبر سبعون ألف شيخ يبكون حوله فخطبهم وحثّهم على القتال فأعطوه الطّاعة وانقادوا له وجمع إليه أطرافه واستعدّ للقاء عليّ عليه السلام(١).

وفي النخيلة حيث تجمّعت العساكر علىٰ أهبة الاستعداد لحرب معاوية ويغطّي سماءهم الأهازيج والأراجيز والهمم تتراقص كالعرائس وعليّ عليه السلام يطوف علىٰ مقاتليه مشجعاً ومرشداً يتابع الأفواه فيسجّل التصريحات الّتي تنبىء عن قوّة حيناً وعن ضعف أخرىٰ أو عن عدم دراية ثالثة. قال زياد بن النضر الحارثي لعبد الله بن بُديل بن ورقاء: إنّ يومنا ويومهم ليوم عصيب، ما يصبر عليه إلاّ كلّ مشيّع القلب صادق النيّة رابط الجأش وأيم الله ما أظن ذلك اليوم يُبقي منا ومنهم إلاّ الرذّال. قال عبد الله بن بديل: والله أظنُّ ذلك. فقال عليّ عليه السلام: ليكن هذا الكلام مخزوناً في صدوركما، لا تظهراه ولا يسمعه منكما سامع إنّ الله كتب القتل علىٰ قوم والموت علىٰ آخرين وكلٌّ آتيه منيّته كما كتب الله له فطوبىٰ للمجاهدين في سبيل الله والمقتولين في طاعته.

فلمّا سمع هاشم بن عتبة مقالتهم قام فحمد الله وأثنىٰ عليه ثمّ قال: سر بنا يا أمير المؤمنين إلىٰ هؤلاء القوم القاسية قلوبهم الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم وعملوا في عباد الله بغير رضا الله فأحلّوا حرامه وحرّموا حلاله واستولاهم الشيطان ووعدهم الأباطيل ومنّاهم الأمانيّ حتّىٰ أزاغهم عن الهوىٰ وقصد بهم قصد الرّدىٰ وحبّب إليهم الدّنيا فهم يقاتلون علىٰ دنياهم رغبة فيها كرغبتنا في الآخرة إنجاز موعود ربّنا وأنت يا أمير المؤمنين أقرب الناس من رسول الله صلى الله عليه وآله رحماً وأفضل الناس سابقة وقدماً وهم يا أمير المؤمنين منك مثل الذي علمنا ولكن كتب عليهم الشّقاء ومالت بهم الأهواء وكانوا ظالمين فأيدينا مبسوطة لك بالسّمع والطاعة وقلوبنا منشرحة لك ببذل النصيحة، وأنفسنا تنصرك جذلة علىٰ من خالفك وتولّى الأمر دونك والله ما أحبّ أنّ لي ما في الأرض ممّا أقلّت وما تحت السماء وممّا أظلّت وإنّي واليت عدواً لك أو عاديت وليّاً لك.

فقال عليّ: اللّهمّ ارزقه الشهادة في سبيلك والمرافقة لنبيّك صلى الله عليه وآله(٢).

---

(١) كتاب صفين: ص١٢٦ بتصرف.
(٢) كتاب صفين: ص١١٢.

ولما أراد أمير المؤمنين عليه السلام الشخوص من النخيلة قام في الناس لخمس مضين من شوال فقال أمّا بعد ذلكم فإنّي قد بعثت مقدُماتي وأمرتهم بلزوم هذا الملطاط[1] حتّىٰ يأتيهم أمري فقد أردت أن أقطع هذه النطفة إلىٰ شرذمة منكم موطنين بأكناف دجلة فأنهضهم معكم إلىٰ أعداء الله إن شاء الله وقد أمّرت علىٰ المصر عقبة بن عمرو الأنصاريّ ولم آلكم ولا نفسي فإيّاكم والتخلّف والتربّص فإنّي قد خلّفت مالك بن حبيب اليربوعي وأمرته ألا يترك متخلّفاً إلاّ ألحقه بكم عاجلاً إن شاء الله.

فقام إليه معقل بن قيس الرياحي فقال: يا أمير المؤمنين والله لا يتخلّف عنك إلاّ ظنين ولا يتربّص بك إلاّ منافق فأمر مالك بن حبيب أن يضرب أعناق المتخلّفين قال عليّ عليه السلام: قد أمرته بأمري وليس مقصّراً في أمري إنشاء الله[2].

وقال مالك بن حبيب يا أمير المؤمنين أتخرج بالمسلمين فيصيبوا أجر الجهاد والقتال وتخلّفني في حشر الرجال؟ فقال له عليّ عليه السلام: إنّهم لن يصيبوا من الأجر شيئاً إلاّ كنت شريكهم فيه وأنت ها هنا أعظم غناءاً منك عنهم لو كنت معهم فقال: سمعاً وطاعة يا أمير المؤمنين[3].

(١) الملطاط: السمت الذي أمرهم بلزومه رهو شاطيء الفرات.

(٢) كتاب صفين: ص١٣٢.

(٣) كتاب صفين: ص١٣٣.

المسير إلىٰ الشّام حتّىٰ بدء المعركة

ثمَّ خرج أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ من النخيلة التي كان معسكراً فيها إلىٰ دير أبي موسىٰ وهو من الكوفة علىٰ فرسخين، ثمَّ خرج حتّىٰ نزل علىٰ شاطىء نرس[1] بين مسجد حمَام أبي بردة وحمّام عمر فصلّىٰ بالنّاس المغرب، ثمَّ أقام حتّىٰ صلّى الغداة ثمَّ شخص حتّىٰ بلغ إلىٰ بيعة إلىٰ جانبها نخل طوال فلمّا رآها قال: «والنخل باسقات لها طلع نضيد فنزلها ومكث بها قدر الغداء.

ثمَّ خرج منها حتّىٰ وصل بابل وكان يقول إن ببابل أرضاً قد خسف بها فحرّك دابته فلمّا جاز جسر الصَراة[2] نزل فصلّى بالنّاس العصر وفيها وقعت ردّة الشمس له عَلَيْهِ السَّلَامُ .

ثمَّ خرج حتّىٰ أتىٰ دَير كعب ثمَّ خرج منها فبات بساباط فأتاه دهاقينها يعرضون عليه النُزُل والطعام فقال: لا ليس ذلك لنا عليكم فلمّا أصبح هو بمُظلِم ساباط قال «أتبنون بكلّ ريع آية تعبثون» وبعدها توجه نحو كربلاء فلمّا نزلها فصلّىٰ بها وبعد أن سلّم رفع من تربتها فشمّها ثمَّ قال: واهاً لك يا تربة ليحشرنّ معك قوم يدخلون الجنّة بغير حساب.

ويروىٰ حين أتىٰ كربلاء قيل له هذهِ كربلاء فقال نعم ذات كرب وبلاء ثمَّ أومىء بيده إلىٰ مكان آخر فقال ها هنا موضع رحالهم ومناخ ركابهم ثمَّ أومىء بيده إلىٰ مكان آخر ثمَّ قال: ها هنا مراق دمائهم.

ثمَّ مضىٰ إلىٰ مدينة بهرسير وإذا رجل من أصحابه عَلَيْهِ السَّلَامُ يقال له جرير بن

---

(١) نرس: بفتح النون في أوّله: نهر حفره نرسي بن بهرام بنواحي الكوفة مأخوذ من الفرات.

(٢) الصَراة: بالفتح نهر يأخذ من نهر عيسىٰ من بلدة يقال لها المحول بينها وبين بغداد فرسخ وهو من أنهار نهر الفرات.

سهم ينظر إلىٰ آثار كسرىٰ ويتمثّل بقول الأسود بن يعفر:

جرت الرياح علىٰ محلّ ديارهم فكأنما كانوا علىٰ ميعاد

فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: ألا قلت: «كم تركوا من جنّات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوماً آخرين فما بكت عليهم السّماء والأرض وما كانوا منظرين»[1].

إنّ هؤلاء كانوا وارثين فأصبحوا موروثين إنّ هؤلاء لم يشكروا النعمة فسلبوا دنياهم بالمعصية إيّاكم وكفر النعم لا تحلّ بكم النقم.

ثمّ قال: انزلوا بهذهِ النجوة[2].

وجاء عَلَيْهِ السَّلَامُ حتّىٰ مرّ بالأنبار فاستقبله أهلها ونزلوا عن خيولهم ثمّ جاءوا يشتدّون معه وبين يديه ومعهم براذين[3] قد أوقفوها في طريقه.

فقال: ما هذه الدوابّ الّتي معكم وما أردتم بهذا الذي صنعتم؟ قالوا: أمّا هذا الذي صنعنا فهو خلق منّا نعظّم به الأُمراء وأمّا هذه البراذين فهديّة لك وقد صنعنا للمسلمين طعاماً وهيّأنا لدوابّكم علفاً كثيراً.

فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: أمّا هذا الذي زعمتم أنّه فيكم خلق تعظّمون به الأُمراء فوالله ما ينفع ذلك الأُمراء وأنكم لتشقّون به علىٰ أنفسكم وأبدانكم فلا تعودوا له وأمّا دوابّكم هذه فإن أحببتم أن آخذها منكم وأحسبها لكم من خراجكم أخذناها منكم.

وأمّا طعامكم الذي صنعتم لنا فإنّا نكره أن نأكل من أموالكم إلاّ بثمن، قالوا: يا أمير المؤمنين نحن نقوّمه ثمّ نقبل ثمنه، قال: إذاً لا تقوّمونه قيمته نحن نكتفي بما هو دونه، قالوا: يا أمير المؤمنين فإنّ لنا من العرب موالي ومعارف أتمنعنا أن نهدي لهم أو تمنعهم إن تقبلوا منّا؟ فقال: كلّ العرب لكم موال وليس لأحد من المسلمين أن يقبل هديتكم وإن غصبكم أحد فأعلمونا، قالوا: يا أمير المؤمنين إنّا نحبّ أن تقبل هديتنا وكرامتنا قال: ويحكم فنحن أغنىٰ منكم.

فتركهم وسار حتّىٰ نزل بأرض الجزيرة فاستقبله بنو تغلب والنمر بن قاسط

---

(١) سورة الدخان، الآيات: ٢٤ ـ ٢٩.

(٢) النّجوة: المكان المرتفع، والفجوة: ما اتسع من الأرض.

(٣) جمع البرذون يقع على الذكر والأُنثى يقال بالفارسيّة يابو.

بجزور فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ ليزيد بن قيس الأرحبيّ: يا يزيد، قال: لبّيك يا أمير المؤمنين قال: هؤلاء قومك من طعامهم فاطعم ومن شرابهم فاشرب قال: نعم.

ثمّ سار حتّىٰ أتىٰ الرَّقَّة وجلّ أهلها عثمانية فرّوا من الكوفة إلىٰ معاوية فأغلقوا أبوابها دونه فتحصّنوا وكان رئيسهم سِماك بن مَخْرمَة الأسدي بالرّقة في طاعة معاوية وكان قد فارق عليّاً في نحو من مائة رجل من بني أسد ثمّ كاتب معاوية وأقام بالرّقة حتّىٰ لحق بهم منهم سبعمائة رجل.

وروي أن عليّاً عَلَيْهِ السَّلَامُ لمّا نزل الرَّقَّة نزل علىٰ موضع يقال له: البَليخ علىٰ جانب الفرات فنزل راهب هناك من صومعته فقال لعليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ إنّ عندنا كتاباً توارثناه عن آبائنا كتبه أصحاب عيسىٰ بن مريم أعرضه عليك؟ قال: نعم فقرأ الرّاهب الكتاب:

بسم الله الرّحمن الرّحيم الذي قضىٰ فيما قضىٰ وسطر فيما سطر أنّه باعث في الأُمّيين رسولاً منهم يعلّمهم الكتاب والحكمة ويدلّهم علىٰ سبيل الله لا فظّ ولا غليظ ولا صخّاب في الأسواق ولا يجزي بالسّيئة السّيئة بل يعفو ويصفح أمّته الحمّادون الذين يحمدون الله علىٰ كلّ نشر وفي كلّ صعود وهبوط تذلّ ألسنتهم بالتكبير والتهليل والتسبيح وينصره الله علىٰ من ناواه، فإذا توفّاه الله اختلفت أُمّته من بعده ثمّ اجتمعت فلبثت ما شاء الله ثمّ اختلفت فيمرّ رجل من أُمّته بشاطىء هذا الفرات يأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر ويقضي بالحقّ ولا يرتشي بالحكم الدنيا أهون عليه من الرّماد في يوم عصفت به الريح، والموت أهون عليه من شرب الماء على الظمآن، يخاف الله في السرّ وينصح له في العلانية ولا يخاف في الله لومة لائم، فمن أدرك ذلك النبيّ ﷺ من أهل هذه البلاد فآمن به كان ثوابه رضوانه والجنّة، ومن أدرك ذلك العبد الصالح فلينصره فإنّ القتل معه شهادة.

ثمّ قال: أنا مصاحبك فلا أُفارقك حتّىٰ يصيبني ما أصابك.

فبكىٰ عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ثمّ قال: الحمد لله الذي لم أكن عنده منسيّاً الحمد لله الذي ذكرني عنده في كتب الأبرار.

فمضىٰ الرّاهب معه فكان فيما ذكروا يتغدّىٰ مع أمير المؤمنين ويتعشّىٰ حتّىٰ أُصيب يوم صفّين فلمّا خرج الناس يدفنون قتلاهم قال عَلَيْهِ السَّلَامُ اطلبوه فلمّا وجده صلّى عليه ودفنه وقال هذا منّا أهل البيت واستغفروا له مراراً.

ووافىٰ علياً عليه السلام بالرّقة معقل بن قيس الرياحي في ثلاثة آلاف فارس[1]. ولمّا اكتملت الجيوش رأىٰ عليّ عليه السلام أن يعبر الفرات متوجهاً نحو عدوّه فقال لأهل الرّقة: جسّروا لي جسراً أعبر عليه من هذا المكان إلى الشام فأبوا وقد كانوا ضمّوا السفن إليهم فنهض من عندهم ليعبر علىٰ جسر منبج وخلّف عليهم الأشتر فناداهم فقال: يا أهل هذا الحصن: إنّي أقسم بالله إن مضىٰ أمير المؤمنين ولم تجسروا له عند مدينتكم حتّىٰ يعبر منها لأجردنّ فيكم السيف فلأقتلنّ مقاتلتكم ولأخربنّ أرضكم ولآخذن أموالكم فلقي بعضهم بعضاً فقالوا: إنّ الأشتر يفي بما يحلف عليه وإنّما خلفه عليّ عندنا ليأتينا بشرّ فبعثوا إليه إنّا ناصبون لك جسراً فأقبلوا.

فأرسل الأشتر إلىٰ عليّ عليه السلام فجاء ونصبوا له الجسر فعبروا الأثقال والرجال وأمر الأشتر فوقف في ثلاثة آلاف فارس حتّىٰ لم يبق من الناس أحد إلاّ عبر ثمّ عبر آخر الناس ولمّا قطع عليّ عليه السلام الفرات دعا زياد بن النضر وشريح بن هانىء فسرّحهما أمامه نحو معاوية في اثني عشر ألفاً فلمّا انتهيا إلىٰ معاوية لقيهما أبو الأعور السلمي في جنود من الشام وهو علىٰ مقدمة فدعواه إلى الدخول في طاعة أمير المؤمنين عليه السلام فأبىٰ فبعثوا إلىٰ عليّ عليه السلام إنّا قد لقينا أبا الأعور السّلمي بسور الرّوم في جند من أهل الشام فدعوناه وأصحابه إلى الدخول في طاعتك فأبىٰ علينا فمرنا بأمرك.

فأرسل عليّ عليه السلام إلى الأشتر فقال: يا مالك إنّ زياداً وشريحاً أرسلا إليّ يعلماني أنّهما لقيا أبا الأعور السّلمي في جند من أهل الشام بسور الروم فنبّأني الرسول أنّه تركهم متواقفين فالنّجا إلىٰ أصحابك النجا فإذا أتيتهم فأنت عليهم وإيّاك أن تبدأ القوم بقتال إلاّ أن يبدؤك حتّىٰ تلقاهم وتسمع منهم.

ولا يجرمنّك شنآنهم علىٰ قتالهم قبل دعائهم والإعذار إليهم مرّة بعد مرّة. واجعل علىٰ ميمنتك زياداً وعلىٰ ميسرتك شريحاً وقف من أصحابك وسطاً ولا تدن منهم دنوّ من يريد أن ينشب الحرب ولا تباعد منهم تباعد من يهاب البأس حتّىٰ أقدم إليك فإنّي حثيث السير إليك إنشاء الله.

وكتب إلىٰ زياد وشريح ـ وكان الرسول الحارث بن جمهان الجعفي: أمّا بعد

---

(١) راجع كتاب صفين لنصر: ص١٤٧ فيه تفصيل أخذنا منه ما يناسب خطّة عملنا في هذا الكتاب.

فإنّي قد أمّرت عليكما مالكاً فاستمعا له وأطيعا أمره فإنّه من لا يخاف رهقه ولا سقاطه[1] ولا بطؤه عمّا الإسراع إليه أحزم ولا إسراعه إلىٰ ما البطؤ عنه أمثل وقد أمرته بمثل الذي أمرتكما أن لا يبدأ القوم بقتال حتّىٰ يلقاهم ويدعوهم ويعذر إليهم.

فخرج الأشتر حتّىٰ قدم على القوم فاتّبع ما أمره به عليّ عليه السلام وكفّ عن القتال ولم يزالوا متواقفين حتّىٰ إذا كان عند المساء حمل عليهم أبو الأعور فثبتوا له واضطربوا ساعة ثمّ إنّ أهل الشام انصرفوا.

ثمّ خرج إليهم هاشم بن عتبة في خيل ورجال حسن عدّتها وعددها فخرج إليهم أبو الأعور فاقتتلوا يومهم ذلك تحمل الخيل على الخيل والرجال على الرجال وصبر بعضهم لبعض ثمّ انصرفوا.

وبكّر عليهم الأشتر فقتل من أهل الشام عبد الله بن المنذر التنوخي قتله ظبيان بن عمارة التميمي وما هو يومئذ إلاّ فتى حديث السّن وإن كان الشامي لفارس أهل الشام وأخذ الأشتر يقول: ويحكم أروني أبا الأعور.

ثمّ إن أبا الأعور دعا الناس فرجعوا نحوه فوقف علىٰ تلّ من وراء المكان الذي كان فيه أوّل مرّة وجاء الأشتر حتّىٰ صفّ أصحابه في المكان الذي كان فيه أبو الأعور أوّل مرّة فقال الأشتر لسنان بن مالك النخعي: انطلق إلىٰ أبي الأعور فادعه إلىٰ المبارزة، فقال: إلىٰ مبارزتي أو مبارزتك؟ فقال الأشتر: أولو أمرتك بمبارزته فعلت؟ قال: نعم والذي لا إله إلاّ هو تعالىٰ لو أمرتني أن أعترض صفّهم بسيفي فعلته حتّىٰ أضربه بالسيف فقال: يا ابن أخي أطال الله بقاءك قد والله ازددت فيك رغبة لا ما أمرتك بمبارزته إنّما أمرتك أن تدعوه لمبارزتي فإنّه لا يبارز إن كان ذلك من شأنه إلاّ ذوي الأسنان والكفاءة والشرف وأنت بحمد الله من أهل الكفاءة والشرف ولكنّك حديث السنّ وليس يبارز الأحداث فاذهب فادعه إلىٰ مبارزتي.

فأتاهم فقال: أنا رسول فأمّنوني فأمّنوه فجاء حتّىٰ انتهىٰ إلىٰ أبي الأعور فقال له: إنّ الأشتر يدعوك إلى المبارزة قال: فسكت عنّي طويلاً ثمّ قال: إنّ خفّة الأشتر وسوء رأيه هو الذي دعاه إلىٰ إجلاء عمّال عثمان وافترائه عليه يَعجّ محاسنه ويجهل حقّه ويظهر عداوته ومن خفّة الأشتر أنّه سار إلىٰ عثمان في داره وقراره

(١) الرهق: خفّة العقل والسقاط: العثرة والزلة.

فقتله فيمن قتله وأصبح مبتغى[1] بدمه لا حاجة لي في مبارزته! فقلت: إنّك قد تكلمت فاسمع حتّىٰ أجيبك فقال: لا حاجة لي في جوابك ولا الإستماع منك اذهب عنّي وصاح بي أصحابه فانصرفت عنه ولو سمع لأسمعته عذر صاحبي وحجّته فرجعت إلى الأشتر فأخبرته أنّه قد أبى المبارزة فقال: لنفسه نظر.

قال: فتواقفنا حتّىٰ حجز بيننا وبينهم اللّيل وبتنا متحارسين فلمّا أن أصبحنا نظرنا فإذا هم انصرفوا[2].

(۱) مبتغى: مطلوب.

(۲) البحار: ۳۲. ٤۳۰ بتقديم وتأخير وتصرّف.

الخطاب الأخير إلىٰ معاوية

قالت طائفة من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام له: يا أمير المؤمنين أكتب إلىٰ معاوية ومن قبله من قومك فإنّ الحجّة لا تزداد عليهم بذلك إلاّ عظماً فكتب عليه السلام إليهم: من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلىٰ معاوية ومن قبله من قريش سلام عليكم فإنّي أحمد الله الذي لا إله إلاّ هو.

أمّا بعد فإنّ لله عباداً آمنوا بالتنزيل وعرفوا التأويل وفقهوا في الدّين وبيّن الله فضلهم في القرآن الحكيم وأنتم في ذلك الزمان أعداء الرسول صلى الله عليه وآله مكذّبون بالكتاب مجمعون علىٰ حرب المسلمين من ثقفتم منهم حبستموه أو عذّبتموه وقتلتموه حتّىٰ أراد الله تعالىٰ إعزاز دينه وإظهار أمره فدخلت العرب في الدّين أفواجاً وأسلمت هذه الأُمّة طوعاً وكرهاً فكنتم فيمن دخل هذا الدّين إمّا رغبة وإمّا رهبة علىٰ حين فاز أهل السَّبق بسبقهم وفاز المهاجرون والأنصار بفضلهم ولا ينبغي لمن ليست لهم مثل سوابقهم في الدّين ولا فضائلهم في الإسلام أن ينازعهم الأمر الذي هم أهله وأولىٰ به فيجور ويظلم ولا ينبغي لمن كان له عقل أن يجهل قدره ولا يعدو طوره ويشقي نفسه بالتماس ما ليس بأهله فإنّ أولى الناس بأمر هذه الأُمّة قديماً وحديثاً أقربها من الرّسول وأعلمها بالكتاب وأفقهها في الدّين أوّلهم إسلاماً وأفضلهم جهاداً وأشدّهم بما تحمله الرّعية من أمر الله اضطلاعاً فاتّقوا الله الذي إليه ترجعون «ولا تلبسوا الحقّ بالباطل وتكتموا الحقّ وأنتم تعلمون».

واعلموا أنّ خيار عباد الله الذين يعملون بما يعلمون وأنّ شرارهم الجهّال الذين ينازعون بالجهل أهل العلم فإنّ للعالم بعلمه فضلاً وإنّ الجاهل لا يزداد بمنازعته العالم إلاّ جهلاً.

ألا وإنّي أدعوكم إلىٰ كتاب الله وسنة نبيّه صلى الله عليه وآله وحقن دماء هذهِ الأُمّة فإن قبلتم أصبتم رشدكم واهتديتم لحظّكم وإن أبيتم إلاّ الفرقة وشقّ عصا هذهِ الأُمّة لن

تزدادوا من الله إلاّ بعداً ولن يزداد الرّب عليكم إلاّ سخطاً والسّلام.

فكتب إليه معاوية جواب هذا الخطاب سطراً واحداً

ليس بيني وبين قيس عتاب　　غيرَ طعن الكُلَى وضرب الرّقاب

فقال عليّ عليه السلام لمّا أتاه هذا الجواب: «إنّك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين»[1].

---

(1) كتاب صفين: ٣/ ١٥٠.

نزول صفّين

وكان نزوله عليه السلام بصفّين لليالي بقين من ذي الحجة سنة ست وثلاثين فطلب وصفاً لعسكره، وأمر الناس أن يضعوا أثقالهم وهم أكثر من مائة ألف ووزع الناس على مراكز القتال وأخذ أهل الشام كذلك مواضعهم ومصافّهم ثمّ قال عليه السلام أيّها الناس إنّ هذا موقف من نطف فيه نطف[1] يوم القيامة ومن فلج فيه فلج يوم القيامة.

ثمّ قال عليه السلام لمّا رأىٰ نزول معاوية بصفّين:

لقد أتانا كاشراً عن نابه   يهمّط الناس علىٰ اعتزابه[2]
فليأتنا الدهر بما أتىٰ به

فكتب إليه معاوية: عافانا الله وإيّاك ما أحسن العدل والإنصاف من عمل وأقبح الطيش ثمّ النفش[3] في الرجل وكتب بعده:

اربط حمارك لا يُنزَع سَويَّته   إذاً يردُّ وقيدُ العَير مكروب[4]
ليست ترى السيّدُ زيداً في نفوسهم   كما تراه بنو كُوزٍ ومرهوب[5]
إن تسألوا الحقَّ يُعطى الحقَّ سائلُه   والدّرع مُحْقَبةٌ والسَّيفُ مقروب[6]
أو تأنفون فإنّا معشر أُنفٌ   لا نَطعَمُ الضَّيمَ إنّ السّمَّ مشروب

---

(١) أي أن فسدت حاله اليوم في هذا الجهاد فسدت حاله غداً عند الله.
(٢) ص٥٢.
(٣) النفش: كثرة الكلام.
(٤) السوية: كساء كالبرذعة وقيد مكروب: أي ضيق.
(٥) زيد هو زيد بن حُصَين بن ضرار المعروف بزيد الخيل وهو فارسهم.
(٦) الدرع محقبة: أي بحالها والسيف في قرابه.

وكتب إليه جواب كتابه أما بعد:

فإنّ للحرب عُراماً شرراً إنّ عليها قائداً عَشَنْزَراً[1]
ينصف من أجحر أو تنمّرا على نواحيها مِزَجّاً زَفَجراً[2]
إذا وَنِينَ ساعة تغشمرا[3]

وكتب بعده:

ألم تر قومي إذا دعاهم أخوهم أجابوا وإن يغضب على القوم يغضبوا
هم حفظوا غيبي كما كنت حافظاً لقومي أخرىٰ مثلها إذ تغيّبوا
بنو الحرب لم تقعد بهم أمّهاتهم آباؤهم آباء صدق فأنجبوا

فتراجع الناس كلّ من الفريقين إلىٰ معسكره وذهب شباب من الناس إلى الماء ليستقوا فمنعهم أهل الشام وقد كانوا نزلوا منزلاً اختاروه مستوياً بساطاً واحداً وقد صفّ أبو الأعور عليها الخيل والرجّالة ـ أي الشريعة ـ وقدّم المرامية ومعهم أصحاب الرّماح والدَّرَق وعلىٰ رؤوسهم البَيْض، ففزع الناس إلىٰ أمير المؤمنين عليه السلام فأخبروه بذلك فدعا صعصعة بن صوحان فقال ائتِ معاوية فقل له: إنّا سرنا إليك مسيرنا هذا وأنا أكره قتالكم قبل الإعذار إليكم وإنك قدّمت خيلك فقاتلتنا قبل أن نقاتلك وبدأتنا بالحرب ونحن من رأينا الكفّ حتّىٰ ندعوك ونحتجّ عليك وهذه أُخرىٰ قد فعلتموها قد حلتم بين الناس وبين الماء فخلّ بينهم وبينه حتّىٰ ننظر فيما بيننا وبينكم وفيما قدمنا له وقدمتم له وإن كان أحب إليك أن ندع ما جئنا له وندع الناس يقتتلون علىٰ الماء حتّىٰ يكون الغالب هو الشارب فعلنا.

فلمّا مضىٰ صعصعة برسالته إلىٰ معاوية قال معاوية لأصحابه: ما ترون؟ فقال الوليد بن عقبة: امنعهم الماء كما منعوه ابن عفّان حصروه أربعين يوماً يمنعونه برد الماء ولين الطعام اقتلهم عطشاً قتلهم الله.

وقال عمرو بن العاص: خلّ بين القوم وبين الماء فإنّهم لن يعطشوا وأنت ريّان ولكن لغير الماء فانظر فيما بينك وبينهم فأعاد الوليد مقالته.

وقال عبد الله بن سعد بن أبي سرح وكان أخا عثمان من الرضاعة: امنعهم

(١) العرام: بالضم الشراسة والهوج، والعشنزر: الشديد القوي.
(٢) أجحر: ظلم الناس، وتنمّر: تنكّر، والمزجّ: بكسر الميم السريع النفوذ.
(٣) الغشمرة: إتيان الأمر بغير تثبّت.

الماء إلى اللّيل فإنّهم إن لم يقدروا عليه رجعوا وكان رجوعهم هزيمتهم امنعهم الماء منعهم الله يوم القيامة فقال صعصعة: إنّما يمنع الماء يوم القيامة الفجرة الكفرة شربة الخمر ضربك وضرب هذا الفاسق يعني الوليد فتواثبوا إليه يشتمونه ويتهدّدونه فقال معاوية كفّوا عن الرجل فإنّما هو رسول.

ولمّا رجع صعصعة إلىٰ عليّ عليه السلام وأخبره بذلك سوّىٰ معاوية صفوف جيشه وأرسل إلىٰ أبي الأعور امنعهم الماء(١).

فلمّا سمع الأشعث ذلك أتىٰ علياً من ليلته فقال يا أمير المؤمنين أيمنعنا القوم ماء الفرات وأنت فينا ومعنا السّيوف؟ خلِّ عنّا وعن القوم فوالله لا نرجع حتّىٰ نرِدَه أو نموت ومُرِ الأشتر فليعلُ بخيله فيقف حيث تأمره فقال: ذاك إليكم فرجع الأشعث فنادىٰ في الناس: من كان يريد الماء أو الموت فميعاده الصّبح فإنّي ناهض إلى الماء فأتاه من ليلته اثنا عشر ألف رجل وشدّ عليه سلاحه وهو يقول:

ميعادنا اليوم بياض الصُّبح ... هل يصلح الزاد بغير ملح
لا لا ولا أمر بغير نصح ... دِبّوا إلىٰ القوم بطعن سمح
مثل العزالي بطعان نفح ... لا صلح للقوم وأين صُلحي
حسبي من الإقحام قابُ رمحي

فلمّا أصبح دبّ في الناس وسيوفهم علىٰ عواتقهم وجعل يلقي رمحه ويقول: بأبي أنتم وأُمّي تقدّموا قاب رمحي هذا فلم يزل ذلك دأبه حتّىٰ خالط القومَ وحسر عن رأسه ونادىٰ: أنا الأشعث بن قيس خلّوا عن الماء. فنادىٰ أبو الأعور السُّلَميّ أما والله لا حتّىٰ تأخذنا وإيّاكم السيوف فقال: قد والله أظنّها دنت منّا، وكان الأشتر قد تعالىٰ بخيله حيث أمره عليّ فبعث إليه الأشعث أن أقحم الخيل فأقحمها حتّىٰ وضع سنابكها في الفرات وأخذت القومَ السيوف فولّوا مدبرين(٢).

فصار الماء في أيدي أهل العراق فقالوا: والله لا نسقيهم فأرسل إليهم عليّ عليه السلام خذوا من الماء حاجتكم وارجعوا إلىٰ عسكركم وخلّوا بينهم وبين الماء فإنّ الله قد نصركم ببغيهم وظلمهم(٣).

---

(١) راجع شرح ابن أبي الحديد: ٣/ ٣٢٥، ط مصر.
(٢) كتاب صفين: ٣/ ١٦٦.
(٣) انظر صفين: ٣/ ١٦٢.

هدنة مؤقتة

لمّا ملك عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ الماء بصفين سمح لأهل الشام بالمشاركة فيه والمساهمة استمالة لقلوبهم ومكث أيّاماً لا يرسل إلىٰ معاوية أحداً ولا يأتيه من معاوية أحد واستبطأ أهل العراق إذنه لهم في القتال وقالوا: يا أمير المؤمنين خلّفنا ذراريّنا ونساءنا بالكوفة ائذن لنا في قتال القوم فإنّ النّاس قد قالوا إنّك تكره الحرب كراهية للموت ومنهم من يظنّ أنّك في شكّ في قتال أهل الشام.

فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ : أمّا قولكم كلّ ذلك كراهية الموت فوالله ما أبالي دخلت إلى الموت أو خرج الموت إليّ، وأمّا قولكم: شكاً في أهل الشام فوالله ما دفعت الحرب يوماً إلاّ وأنا أطمع أن تلحق بي طائفة فتهتدي بي وتعشوا إلىٰ ضوئي وذلك أحبّ إليّ من أن أقتلها علىٰ ضلالها وإن كانت تبوء بآثامها[1].

فبعث أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ إلىٰ معاوية بشر بن عمرو وسعيد بن قيس وشبث بن ربعي فقال: ائتوا هذا الرجل فادعوه إلىٰ الطاعة والجماعة وإلىٰ اتباع أمر الله سبحانه.

فقال شبث يا أمير المؤمنين ألا نطمعه في سلطان تولّيه إيّاه ومنزلة يكون له بها أثرة عندك إن هو بايعك؟ قال: ائتوه الآن والقوه واحتجّوا عليه وانظروا ما رأيه في هذا.

فدخلوا عليه فابتدأ بشر بن عمرو بن محصن فحمد الله وأثنىٰ عليه وقال: أمّا بعد يا معاوية فإنّ الدنيا منك زائلة وإنّك راجع إلى الآخرة وإنّ الله مجازيك بعملك ومحاسبك بما قدّمت يداك وإنّني أناشدك الله أن تفرّق جماعة هذه الأُمّة وأن تسفك دماءها بينها.

---

(١) نهج البلاغة: ٥٤ من المختار من كلامه.

فقطع معاوية عليه الكلام فقال: فهلاّ أوصيت صاحبك؟ فقال: سبحان الله! إنّ صاحبي لا يوصىٰ، إنّ صاحبي ليس مثلك، صاحبي أحقّ الناس بهذا الأمر في الفضل والدّين والسّابقة في الإسلام والقرابة من الرسول.

قال معاوية: فتقول، ماذا؟

قال: أدعوك إلىٰ تقوىٰ ربّك وإجابة ابن عمّك إلىٰ ما يدعوك إليه من الحقّ فإنه أسلم لك في دينك وخير لك في عاقبة أمرك، قال: ولُطلّ دم عثمان؟ لا والرّحمن لا أفعل ذلك أبداً.

فذهب سعيد بن قيس ليتكلّم فبدره شبث بن ربعي فحمد الله وأثنىٰ عليه، ثمّ قال: يا معاوية قد فهمت ما رددت على ابن محصن إنّه لا يخفىٰ علينا ما تطلب إنّك لا تجد شيئاً تستغوي به الناس وتستميل به أهواءهم إلاّ أن قلت لهم: قتل إمامكم مظلوماً فهلمّوا نطلب بدمه فاستجاب لك سفلة طغام رُذال وقد علمنا أنّك أبطأت عنه بالنصر وأحببت له القتل لهذه المنزلة الّتي تطلب وربّ مبتغ أمراً وطالب له يحول الله دونه وربّما أُوتي المتمني أُمنيته وربّما لم يؤتها ووالله ما لَكَ في واحدة منهما خير والله إن أخطأت ما ترجو إنّك لشرّ العرب حالاً ولئن أصبت ما تتمنّاه لا تصيبه حتّىٰ تستحقّ صَلَى للنار فاتقّ الله يا معاوية ودع ما أنت عليه ولا تنازع الأمر أهله فحمد معاوية الله وأثنىٰ عليه وقال: أمّا بعد فإنّ أوّل ما عرفت به سفهك وخفّة حلمك قطعك علىٰ هذا الحبيب الشريف سيّد قومه منطقه ثمّ عتبت بعد فيما لا علم لك به ولقد كذبت ولويت أيّها الأعرابي الجلف الجافي في كلّ ما وصفت وذكرت انصرفوا من عندي فإنّه ليس بيني وبينكم إلاّ السيف.

فخرج القوم وشبث يقول: أعلينا تهوّل بالسيف؟ أما والله لنعجلنه إليك. فأتوا عليّاً عَلَيْهِ السَّلَامُ فأخبروه بالذي كان من قوله وذلك في شهر ربيع الآخر[1].

---

(١) كتاب صفين: ٣/ ١٨٨.

موقف قرّاء أهل العراق والشام

وخرج قرّاء أهل العراق وقرّاء أهل الشام فعسكروا في ناحية صفّين في ثلاثين ألفاً وعسكر عليّ عليه السلام على الماء، وعسكر معاوية فوقه على الماء أيضاً ومشت القرّاء بين عليّ عليه السلام ومعاوية منهم: عَبيْدة السّلماني، وعلقمة بن قيس النخعي، وعبد الله بن عتبة، وعمّار بن عبد القيس فدخلوا علىٰ معاوية، فقالوا: يا معاوية ما الذي تطلب؟

قال: أطلب بدم عثمان.

قالوا: ممّن تطلب بدم عثمان؟

قال: أطلبه من عليّ.

قالوا: أوعليّ قتله؟

قال: نعم هو قتله وآوىٰ قتلته.

فانصرفوا من عنده فدخلوا علىٰ عليّ عليه السلام وقالوا: إنّ معاوية زعم أنّك قتلت عثمان قال: اللّهمّ لكذب عليّ لم أقتله، فرجعوا إلىٰ معاوية فأخبروه فقال: إن لم يكن قتله بيده فقد أمر ومالأ.

فرجعوا إليه عليه السلام وقالوا: يزعم أنك إن لم تكن قتلت بيدك فقد أمرت ومالأت علىٰ قتل عثمان.

فقال: اللّهمّ لكذب فيما قال.

فرجعوا إلىٰ معاوية فقالوا: إنّ عليّاً يزعم أنه لم يفعل، فقال معاوية إن كان صادقاً فليقدنا من قتلة عثمان فإنّهم في عسكره وجنده وأصحابه وعضده فرجعوا إلىٰ عليّ عليه السلام فقالوا: إنّ معاوية يقول لك إن كنت صادقاً فادفع إلينا قتلة عثمان أو مكّنا منهم فقال لهم: إنّ القوم تأوّلوا عليه القرآن ووقعت الفرقة وقتلوه في

سلطانه وليس علىٰ ضربهم قود فخصم عليّ معاوية.

فقال لهم معاوية إن كان الأمر كما تزعمون فلم ابتزّ الأمر دوننا علىٰ غير مشورة منّا ولا ممّن ها هنا معنا؟ فقال عليّ عليه السلام: إنّ النّاس تبع المهاجرين والأنصار هم شهود للمسلمين في البلاد علىٰ ولاتهم وأُمراء دينهم فرضوا بي وبايعوني ولست أستحلّ أن أدع ضرب معاوية يحكم علىٰ هذه الأُمّة ويركبهم ويشقّ عصاهم.

فرجعوا إلىٰ معاوية فأخبروه بذلك فقال: ليس كما يقول فما بال من هو ها هنا من المهاجرين والأنصار لم يدخلوا في هذا الأمر؟

فانصرفوا إليه عليه السلام فأخبروه بقوله فقال: ويحكم هذا للبدريين دون الصحابة وليس في الأرض بدريّ إلاّ وقد بايعني وهو معي أو قد أقام ورضي فلا يغرنّكم معاوية من أنفسكم ودينكم[1].

فتراسلوا ثلاثة أشهر ربيعاً الآخر وجماديين فيفزعون الفزعة فيما بين ذلك فيزحف بعضهم إلىٰ بعض وتحجز القرّاء بينهم.

---

(١) البحار: ٤٤٩/٣٢ بتصرف.

مكيدة لمعاوية

حتىٰ إذا كان في رجب وخشي معاوية أن يبايع القرّاء عليّاً عليه السلام جدّ في المكر وكتب في سهم: من عبد الله الناصح إنّي أخبركم أنّ معاوية يريد أن يفجر عليكم الفرات فيغرقكم فخذوا حذركم ثمَّ رمى السّهم في عسكر عليّ عليه السلام فوقع السّهم في يد رجل فقرأه ثمَّ أقرأ صاحبه فلمّا قرأه من أقبل وأدبر قالوا: هذا أخ لنا ناصح كتب إليكم يخبركم بما أراد معاوية فلم يزل السّهم يقرأ ويرتفع حتّىٰ رفع إلىٰ عليّ عليه السلام وبعث معاوية فأتىٰ رجال من العملة إلىٰ عاقول[1] من النهر بأيديهم المرور والزّبل[2] يحفرون فيها بحيال عسكر عليّ عليه السلام فقال عليه السلام: ويحكم إنّ الذي يعالج معاوية لا يستقيم له ولا يقوىٰ عليه إنّما يريد أن يزيلكم عن مكانكم فانتهوا عن ذلك ودعوه.

فقالوا له: هم والله يحفرون والله لنرتحلنّ وإن شئت فأقم فارتحلوا وصعدوا بعسكرهم مليّاً وارتحل عليّ عليه السلام في أخريات الناس وهو يقول:

وَلـو أنّـي أُطـعـتُ عَـصَـبْـتُ قـومـي ... إلـىٰ ركـن الـيـمـامـة أو شَـمـامِ[3]
ولـكـنّـي إذا أبـرمـتُ أمـراً ... مُـنِـيـت بُـخُـلـفِ آراءِ الـطَّـغـامِ

فارتحل معاوية حتّىٰ نزل بمعسكر عليّ عليه السلام الذي كان فيه.

فدعا عليّ عليه السلام الأشتر، فقال: ألم تغلبني علىٰ رأيي أنت والأشعث؟ فدونكما فقال الأشعث: أنا أكفيك يا أمير المؤمنين سأداوي ما أفسدتُ اليوم من ذلك فجمع كندة فقال لهم: يا معشر كندة لا تفضحوني اليوم ولا تخزوني فإنّما أنا

---

(١) عاقول النهر: ما أعوج منه.

(٢) المرور: جمع مرّ بالفتح وهو المسحاة، والزبل: جمع زبيل وهو الجراب والقفّة.

(٣) شمام: جبل لبني الباهلة.

أُقارع بكم أهل الشام فخرجوا معه رَجْلاً يمشون وبيده رمح له يلقيه علىٰ الأرض ويقول: امشوا قيس رمحي هذا فيمشون فلم يزل يقيس الأرض برمحه ويمشون معه حتّىٰ أتىٰ معاوية وسط بني سليم واقفاً على الماء وقد جاءه أداني عسكره فاقتتلوا قتالاً شديداً على الماء ساعة وانتهىٰ أوائل أهل العراق فنزلوا وأقبل الأشتر في جند من أهل العراق فحمل علىٰ معاوية والأشعث يحارب في ناحية أُخرىٰ فانحاز معاوية في بني سليم فردّوا وجوه إبله قدر ثلاث فراسخ ثمّ نزل ووضع أهل الشام أثقالهم والأشعث يهدر ويقول: أرضيتك يا أمير المؤمنين؟ وقال الأشتر: يا أمير المؤمنين قد غلب الله لك علىٰ الماء[1] فقال عليّ عليه السلام لأصحابه: أيها الناس إنّ الخطب أعظم من منع الماء[2] واستمرّ القتال إلىٰ أن مضىٰ ذو الحجّة حيث تداعى الناس أن يكفّ بعضهم عن بعض إلىٰ أن ينقضي المحرّم لعلّ الله أن يجري صلحاً واجتماعاً فكفّ الناس بعضهم عن بعض[3].

---

(١) البحار: ٣٢، ٤٥١.

(٢) كتاب صفين: ٣/١٩٣.

(٣) انظر صفين: ٣/١٩٦.

توقف القتال في المحرم الحرام

لمّا توادع الطرفان في المحرّم اختلف الرسل فيما بين عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ومعاوية رجاء الصلح فأرسل عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ إلىٰ معاوية عديّ بن حاتم وشبث بن ربعي، ويزيد بن قيس، وزياد بن حفصة فلمّا دخلوا عليه حمد الله تعالىٰ عدي بن حاتم وأثنىٰ عليه وقال:

أمّا بعد فقد أتيناك لندعوك إلىٰ أمر يجمع الله به كلمتنا وأُمّتنا ويحقن دماء المسلمين ندعوك إلىٰ أفضل الناس سابقة وأحسنهم في الإسلام آثاراً وقد اجتمع له الناس وقد أرشدهم الله بالذي رأوا وأتوا فلم يبق أحد غيرك وغير من معك فانته يا معاوية من قبل أن يصيبك الله وأصحابكم بمثل يوم الجمل.

فقال له معاوية: كأنّك إنّما جئت متهدّداً ولم تأت مصلحاً هيهات يا عدي إنّي لابن حرب ما يقعقع لي بالشنان[1] أما والله إنّك من المجلبين علىٰ عثمان وإنّك لمن قتلته وإنّي لأرجو أن تكون ممن يقتله الله.

فقال له شبث بن ربعي وزياد بن خصفة وتنازعا كلاماً واحداً: أتيناك فيما يصلحنا وإيّاك فأقبلت تضرب لنا الأمثال دع ما لا ينفع من القول والفعل وأجبنا فيما لا يعمّنا وإيّاك نفعه.

وتكلّم يزيد بن قيس فقال: إنّا لم نأتك إلاّ لنبلّغك الذي بعثنا به إليك ولتؤدّي عنك ما سمعنا منك ولم ندع أن ننصح لك وأن نذكر ما ظنّنا أنّ فيه عليك حجّة أو أنّه راجع بك إلى الأمّة والجماعة إنّ صاحبنا من قد عرفت وعرف المسلمون فضله ولا أظنّه يخفىٰ عليك إنّ أهل الدّين والفضل لا يعدلونك بعليّ ولا يساوون بينك وبينه فاتّق الله يا معاوية ولا تخالف عليّاً فإنّا والله ما رأينا رجلاً قطّ أعلم بالتقوىٰ ولا أزهد في الدّنيا ولا أجمع لخصال الخير كلّها منه.

---

(١) الشِنان: جمع الشّن بفتح أوله: القربة الخلق كانوا يحركونها للإبل إذا أرادوا الإسراع في السير.

فحمد الله معاوية وأثنىٰ عليه وقال: أمّا بعد فإنّكم دعوتم إلى الجماعة والطّاعة فأمّا التي دعوتم إليها فنعمّا هي وأما الطّاعة لصاحبكم فإنّه لا نرضىٰ به إنّ صاحبكم قتل خليفتنا وفرّق جماعتنا وآوىٰ ثأرنا وقتلتنا وصاحبكم يزعم أنّه لم يقتله فنحن لا نردّ ذلك عليه أرأيتم قتلة صاحبنا ألستم تعلمون أنّهم أصحاب صاحبكم فليدفعهم إلينا فلنقتلنهم به ونحن نجيبكم إلى الطّاعة والجماعة.

فقال له شبث: أيسرّك يا معاوية إن أمكنت من عمّار بن ياسر فقتلته؟

قال: وما يمنعني من ذلك والله لو أمكنني صاحبكم من ابن سميّة ما أقتله بعثمان ولكن كنت أقتله بنائل مولىٰ عثمان!!! فقال شبث: وإله السّماء ما عدلت معدلاً ولا والذي لا إله إلاّ هو لا تصل إلىٰ قتل ابن ياسر حتّىٰ تندر الهام عن كواهل الرجال وتضيق الأرض الفضاء عليها برحبها فقال معاوية: إذا كان ذلك كانت عليك أضيق ثمّ رجع القوم عن معاوية فبعث إلىٰ زياد بن خَصَفَة من بينهم فأُدخل عليه فحمد معاوية الله وأثنىٰ عليه ثمّ قال: أمّا بعد يا أخا ربيعة فإنّ عليّاً قطع أرحامنا وقتل إمامنا وآوىٰ قتلة صاحبنا وإنّي أسألك النصرة عليك بأسرتك وعشيرتك ولك عليّ عهد الله وميثاقه إذا ظهرت أن أُولّيك أيّ المصرين أحببت قال زياد فلمّا قضىٰ معاوية كلامه حمدت الله وأثنيت عليه ثمّ قلت: أمّا بعد فإنّي لعلىٰ بيّنة من ربّي وبما أنعم الله عليّ فلن أكون ظهيراً للمجرمين ثمّ قمت فقال معاوية لعمرو بن العاص وكان إلىٰ جانبه: ما لهم عضبهم[1] الله ما قلبهم إلاّ قلب رجل واحد[2].

وخرج أبو أُمامة الباهلي وأبو الدرداء فدخلا علىٰ معاوية فقالا: يا معاوية علامَ تقاتل هذا الرجل؟ فوالله لهو أقدم منك سلماً وأحقّ منك بهذا الأمر وأقرب من رسول الله ﷺ فعلامَ تقاتله؟ قال: أقاتله علىٰ دم عثمان فإنّه آوىٰ قتلته فقولوا له: فليقدنا من قتلته وأنا أوّل من بايعه من أهل الشام فانطلقوا إلىٰ عليّ عليه السلام فأخبروه فقال: إنّما يطلب الذين ترون فخرج عشرون ألفاً وأكثر متسربلين في الحديد لا يرىٰ منهم إلاّ الحدق، فقالوا: كلّنا قتله فإن شاءوا فليروموا ذلك منّا.

فرجع أبو أُمامة وأبو الدرداء فلم يشهدا شيئاً من القتال[3].

---

(١) العضب: القطع.

(٢) كتاب صفين: ٣/ ١٩٩ بتصرف.

(٣) البحار: ٣٢، ٤٥١.

رسل معاوية إلىٰ عليّ عليه السلام

وبعث معاوية حبيبَ بن مسلمة الفهري إلىٰ عليّ عليه السلام وبعث معه شرحبيل بن السمط ومعن بن يزيد فدخلوا عليه عليه السلام فتكلّم حبيب وحمد الله وأثنىٰ عليه وقال: أمّا بعد فإنّ عثمان بن عفّان كان خليفةً مهديّاً يعمل بكتاب الله وينيب إلىٰ أمر الله فاستثقلتم واستبطأتم وفاته فعدوتم عليه فقتلتموه فادفع إلينا قتلة عثمان لنقتلهم به فإن قلت: إنّك لم تقتله فاعتزل أمر الناس فيكون أمرهم شورىٰ بينهم يولّي الناس أمرهم من أجمع عليه رأيهم.

فقال له عليّ عليه السلام: ومن أنت لا أُمّ لك والولاية والعزل والدخول في هذا الأمر اسكت فإنّك لست هناك ولا بأهل لذاك فقام حبيب بن مسلمة، وقال: والله لتريَنّي حيث تكره فقال له عليّ عليه السلام: ما أنت ولو أجلبت بخيلك ورجلك اذهب فصوّب وصعّد ما بدا لك فلا أبقى الله عليك إن أبقيت.

فقال شرحبيل بن السّمط: إن كلّمتك فلعمري ما كلامي لك إلاّ نحو كلام صاحبي فهل عندك جواب غير الذي أجبته؟ قال: نعم. قال: فقله، فحمد الله عليّ عليه السلام وأثنىٰ عليه ثمّ قال:

أمّا بعد فإنّ الله سبحانه بعث محمّداً صلى الله عليه وآله فأنقذ به من الضلالة ونَعَشَ به من الهلكة وجمع به بعد الفرقة ثمّ قبضه الله إليه وقد أدّىٰ ما عليه فاستخلف الناس أبا بكر ثمّ استخلف أبو بكر عمراً فأحسنا السيرة وعدلا في الأُمّة وقد وجدنا عليهما أن تولّيا الأمر دوننا ونحن آل الرسول وأحقّ بالأمر فغفرنا ذلك لهما.

ثمّ ولي أمر الناس عثمان فعمل بأشياء عابها الناس عليه فسار إليه ناس فقتلوه ثمّ أتاني الناس وأنا معتزل أمرهم فقالوا لي: بايع فأبيت عليهم فقالوا لي: بايع فإنّ الأُمّة لن ترضىٰ إلاّ بك وإنّا نخاف إن لم تفعل أن يفترق الناس فبايعتهم فلم يَرُعني إلاّ شقاق رجلين قد بايعاني وخلاف معاوية إيّاي الذي لم يجعل الله له سابقة في

الدّين ولا سلف صدق في الإسلام طليق ابن طليق وحزب من الأحزاب لم يزل لله ولرسوله عدوّاً هو وأبوه حتّىٰ دخلا في الإسلام كارهين مكرهين فيا عجباً لكم ولانقيادكم له وتدعون آل نبيّكم الذي لا ينبغي لكم شقاقهم ولا خلافهم ولا أن تعدلوا بهم أحداً من الناس إنّي أدعوكم إلىٰ كتاب الله عزّ وجلّ وسنّة نبيّكم ﷺ وإماتة الباطل وإحياء معالم الدين أقول قولي هذا وأستغفر الله لنا ولكلّ مؤمن ومؤمنة ومسلم ومسلمة.

فقال له شرحبيل ومعن بن يزيد: أتشهد أنّ عثمان قتل مظلوماً؟ فقال لهما: إنّي لا أقول ذلك. قالا: فمن لا يشهد أنّ عثمان قتل مظلوماً فنحن براء منه ثمّ قاما فانصرفا.

فقال عليّ عليه السلام: **﴿إنّك لا تسمع الموتىٰ ولا تسمع الصمّ الدعاء إذا ولّوا مدبرين وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم إن تسمع إلاّ من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون﴾**[1].

ثمّ أقبل علىٰ أصحابه فقال: لا يكن هؤلاء في ضلالتهم بأولىٰ بالجدّ منكم في حقّكم وطاعة إمامكم ثمّ مكث الناس متوادعين إلىٰ انسلاخ المحرّم[2].

(١) سورة النحل، الآيتين: ٨٠ ـ ٨١.

(٢) البحار: ٣٢، ٤٥٥ وصفين: ٣/ ٢٠٠.

النداء للقتال

فلمّا انسلخ شهر المحرّم واستقبل الناس صفراً من سنة سبع وثلاثين بعث عليّ عليه السلام نفراً من أصحابه حتىٰ إذا كانوا من عسكر معاوية حيث يسمعونهم الصوت قام يزيد بن الحارث فنادىٰ عند غروب الشمس يا أهل الشام إنّ أمير المؤمنين علياً عليه السلام وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يقولون لكم: إنّا والله لم نكفّ عنكم شكّاً في أمركم ولا بقياً عليكم وإنّما كففنا عنكم لخروج المحرّم وقد انسلخ وإنّا قد نابذنا إليكم علىٰ سواء فإنّ الله لا يحبّ الخائنين.

فسار الناس إلىٰ رؤسائهم وخرج معاوية، وعمرو بن العاص يكتّبان الكتائب ويعبّئان العساكر وأوقدوا النيران وجاءوا بالشموع وبات عليّ عليه السلام ليلته تلك كلّها يعبّىء الناس ويكتّب الكتائب ويدور في الناس ويحرّضهم.

فخرجوا أوّل صفر وهو يوم الأربعاء فاقتتلوا قتالاً شديداً جلّ النهار ثمّ تراجعوا وقد انتصف بعضهم من بعض ثمّ خرج في اليوم الثاني هاشم بن عتبة في خيل ورجال حسن عددها وعدّتها فخرج إليه من أهل الشام أبو الأعور السلَمي فاقتتلوا يومهم ذلك تحمل الخيل على الخيل والرجال على الرجال ثمّ انصرفوا وقد صبر القوم بعضهم لبعض.

وخرج في اليوم الثالث عمّار بن ياسر، وخرج إليه عمرو بن العاص فاقتتل الناس كأشدّ قتال وجعل عمّار يقول: يا أهل الإسلام أتريدون أن تنظروا إلىٰ من عادى الله ورسوله وجاهدهما وبغىٰ علىٰ المسلمين وظاهر المشركين فلمّا أراد الله أن يظهر دينه وينصر رسوله أتىٰ إلىٰ النبي صلى الله عليه وآله فأسلم وهو والله فيما يرىٰ راهب غير راغب ثمّ قبض الله رسوله وإنّا والله لنعرفه بعداوة المسلم ومودة المجرم ألا وإنّه معاوية فاقتلوه والعنوه فإنّه ممّن يطفي نور الله ويظاهر أعداء الله.

وكان مع عمّار زياد بن النضر على الخيل فأمره أن يحمل في الخيل فحمل

فصبروا له وشدّ عمّار في الرّجالة فأزال عمرو بن العاص عن موقفه ورجع الناس يومهم ذلك[1].

ولمّا كان اليوم الخامس خرج عبد الله بن العبّاس فخرج إليه الوليد بن عقبة وأكثر من سبّ بني عبد المطّلب فأرسل إليه ابن عبّاس أبرز إليّ فأبىٰ أن يفعل وقاتل ابن عبّاس ذلك اليوم قتالاً شديداً ثمّ انصرفوا وكلّ غير غالب.

وخرج ذلك اليوم شمر بن أبرهة بن الصباح الحميري فلحق بعليّ عليه السلام في ناس من قرّاء أهل الشام ففتّ ذلك في عضد معاوية وعمرو بن العاص.

وقال عمرو: يا معاوية إنّك تريد أن تقاتل بأهل الشام رجلاً له من محمّد صلى الله عليه وآله قرابة قريبة ورحم ماسّة وقدم في الإسلام ليس لأحد مثله قد سار إليك بأصحاب محمّد المعدودين وفرسانهم وأشرافهم ومهما نسيت فلا تنس أنك علىٰ باطل وعلياً علىٰ الحقّ فبادر الأمر قبل اضطرابه عليك فقام معاوية في أهل الشام خطيباً وحثّهم علىٰ القتال.

فخطب عليّ عليه السلام أصحابه قال أبو سنان الأسلميّ كأنّي أنظر إليه متكئاً علىٰ قوسه وقد جمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وهم يلونه كأنّه أحبّ أن يعلم الناس أنّ الصّحابة متوافرون معه فقال:

أيّها الناس اسمعوا مقالتي وعوا كلامي فإنّ الخيلاء من التجبر وإنّ النخوة من التكبر وإنّ الشيطان عدوّ حاضر يعدكم الباطل.

ألا إنّ المسلم أخو المسلم فلا تنابذوا ولا تجادلوا.

ألا إنّ شرايع الدين واحدة، وسبله قاصدة، من أخذ بها لحق ومن فارقها محق ومن تركها مرق.

ليس المسلم بالخائن إذا ائتمن ولا بالمخلف إذا وعد ولا بالكاذب إذا نطق.

نحن أهل بيت الرحمة وقولنا الصدق وفعلنا القصد ومنّا خاتم النبيّين وفينا قادة الإسلام وفينا حملة الكتاب ألا إنّا ندعوكم إلى الله وإلىٰ رسوله وإلىٰ جهاد عدوّه والشدّة في أمره وابتغاء مرضاته وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحجّ البيت وصيام شهر رمضان وتوفير الفيء علىٰ أهله.

ألا وإنّ من أعجب العجائب أنّ معاوية بن أبي سفيان الأموي وعمرو بن

---

(١) البحار: ٣٢، ٤٥٨.

العاص السهميّ أصبحا يحرضان على طلب الذين بزعمهما ولقد علمتم أني لم أخالف رسول الله ﷺ قطّ ولم أعصِهِ في أمرٍ قطّ أقيه بنفسي في المواطن الّتي تنكص فيها الأبطال وترعد فيها الفرائص نجدة أكرمني الله سبحانه بها وله الحمد.

ولقد قبض رسول الله ﷺ وإنّ رأسه لفي حجري ولقد وليت غسله بيدي وحدي تقلّبه الملائكة المقرّبون معي وأيم الله ما اختلفت أمّة قطّ بعد نبيّها إلاّ ظهر أهل باطلها على أهل حقّها إلاّ ما شاء الله[1].

ولمّا كان يوم السابع من صفر خرج عليّ عليه السلام غداة إلى أعداء الله ورفع يديه إلى السّماء فقال:

اللّهمّ ربّ هذا السّقف المحفوظ المكفوف الذي جعلته مَغِيظاً لِلّيل والنّهار وجعلت فيه مجرىً للشمس والقمر ومنازلَ الكواكب والنجوم وجعلت سكّانه سبطاً من الملائكة لا يسأمون العبادة وربّ هذه الأرض الّتي جعلتها قراراً للأنام والهوامّ والأنعام وما لا يُحصىٰ ممّا يُرىٰ وممّا لا يُرىٰ من خلقك العظيم، وربّ الفلك الّتي تجري في البحر بما ينفع الناس وربّ السّحاب المسخّر بين السّماء والأرض وربّ البحر المسجور والمحيط بالعالمين وربّ الجبال الرّواسي الّتي جعلتها للأرض أوتاداً وللخلق متاعاً إن أظهرتنا على عدوّنا فجنّبنا البغي وسدّدنا للحقّ وإن أظهرتهم علينا فارزقنا الشهادة واعصم بقيّة أصحابي من الفتنة.

فلمّا رأىٰ أصحاب معاوية عليّاً قد أقبل تقدّموا إليه بزحوفهم[2] فقام عليه السلام وخطب جماعته.

معاشر المسلمين استشعروا الخشية[3]، وتجلببوا السكينة[4]، وعضوا على النواجذ[5] فإنّه أنبىٰ[6] للسيوف عن الهام[7] وأكملوا اللأمة[8] وقلقلوا السّيوف[9]

---

(١) البحار: ٣٢، ٤٦٤.

(٢) البحار: ٣٢، ٤٦١.

(٣) استشعار الخشية: أن يجعلوا الخوف من الله عزّ وجلّ ملازماً لهم كالشعار وهو من اللباس ما يلي شعر الجسد.

(٤) تجلببوا السكينة: أي تغطّوا بالوقار والتأنّي في السير والحركة.

(٥) النواجذ: أقاصي الأضراس.

(٦) أنبىٰ ونبا السيف عن الضريبة: إذا لم يعمل فيها.

(٧) الهام: جمع هامة وهي رأس كلّ شيء.

(٨) اللأمة: الدرع.

(٩) أي حرّكوها.

في أغمادها قبل سلّها والحظوا الشزر[1]، ونافحوا بالظبى[2]، وصلوا السيوف بالخطى[3]، واعلموا أنّكم بعين الله مع ابن عمّ رسول الله ﷺ فعاودوا الكرّ واستحيوا من الفرّ فإنّه عار في الأعقاب ونار يوم الحساب وطيبوا عن أنفسكم نفساً وامشوا إلىٰ الموت مشياً سُجحاً[4] وعليكم بهذا السواد الأعظم والرّواق المطّنب[5] فاضربوا ثَبَجه[6] فإن الشيطان كامن في كسره قد قدّم للوثبة[7] يداً وأخّر للنكوص رجلاً فصمداً صمداً حتّىٰ ينجلي لكم عمود الحقّ وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم[8].

وإنّ أوّل فارسين التقيا في هذا اليوم حجر بن عدي من أصحاب عليّ عليه السلام وابن عمّ حجر من أصحاب معاوية كلاهما من كندة فأطعنا برمحيهما وخرج خزيمة الأسدي من عسكر معاوية فضرب حجر بن عدي ضربة برمحه فحمل أصحاب عليّ عليه السلام فقتلوا خزيمة ونجا ابن عمّ حجر فخرج رفاعة الحميري من صفّ العراق وقتل مرن ابن عدي ـ ابن عمّ حجر ـ.

ثمّ إنّ عليّاً عليه السلام دعا أصحابه إلىٰ أن يذهب واحد منهم بمصحف كان في يده إلىٰ أهل الشام فقال: من يذهب إليهم فيدعوهم إلىٰ ما في هذا المصحف فسكت الناس وأقبل فتىً اسمه سعيد فقال: أنا صاحبه وقال ثانياً ولم يجب إلاّ الفتىٰ فقبضه بيده ثمّ أتاهم فناشدهم ودعاهم إلىٰ ما فيه فقتلوه.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام لعبد الله بن بديل: احمل عليهم الآن فحمل عليهم بمن معه من أهل الميمنة وعليه يومئذ سيفان ودرعان فجعل يضرب بسيفه قدماً ويرتجز فلم يزل يحمل حتّىٰ انتهىٰ إلى معاوية والذين بايعوه على الموت فأمرهم أن يصمدوا لابن بديل وبعث إلىٰ حبيب بن مسلمة الفهري وهو في الميسرة أن يحمل عليه بجمع من أصحابه واختلط الناس واصطدم الصفّان ميمنة أهل العراق

---

(١) الحظوا الشزر: أي انظروا الطعن عن اليمين والشمال.

(٢) نافحوا الظبىٰ: أي ضاربوا ودامغوا، والظبىٰ: جمع ظبة بالضمّ وهي طرف السيف.

(٣) والمعنىٰ إذا قصرت السيوف عن الضريبة فتقدّموا تلحقوا ولا تعبروا حتّىٰ يلحقكم العدوّ.

(٤) السُجُح: بضمتين السهل.

(٥) القبة المشدودة بالأطناب وهي لمعاوية.

(٦) أي وسطه.

(٧) الوثبة: الطفرة.

(٨) أي لا ينقصكم الله جزاء أعمالكم. راجع نهج البلاغة: المختار من خطبة/ ٦٤.

وميسرة أهل الشام وأقبل ابن بديل يضرب الناس بسيفه مذماً حتّىٰ أزال معاوية عن موقفه وتراجع معاوية عن مكانه القهقرىٰ كثيراً وأشفق علىٰ نفسه وأرسل إلىٰ حبيب بن مسلمة مرّة ثانية وثالثة يستنجده ويستصرفه ويحمل حبيب حملة شديدة بميسرة معاوية علىٰ ميمنة العراق فكشفها حتّىٰ لم يبق مع ابن بديل إلاّ نحو مائة إنسان من القرّاء فاستند بعضهم إلىٰ بعض يحمون أنفسهم ولحج ابن بديل في الناس وصمّم علىٰ قتل معاوية وجعل يطلب موقفه حتّىٰ انتهى إليه فنادىٰ معاوية في الناس ويلكم الصخرة والحجارة إذا عجزتم عن السلاح أثخنوه فرضخه الناس بالحجارة حتّىٰ أثخنوه فسقط فأقبلوا عليه بسيوفهم فقتلوه.

وجاء معاوية وعبد الله بن عامر حتّىٰ وقفا عليه فألقىٰ عبد الله عمامته علىٰ وجهه وترحّم عليه وكان له أخاً وصديقاً من قبل فقال معاوية: اكشف عن وجهه فقال لا والله لا يمثّل به وفيّ روح فقال له معاوية: قد وهبناه لك فكشف عن وجهه فقال معاوية هذا كبير القوم وربّ الكعبة اللّهمّ ظفّرني بالأشتر النخعي والأشعث الكندي فاستعلا أهل الشام عند قتل ابن بديل على أهل العراق يومئذ وانكشف أهل العراق من قبل الميمنة وأجفلوا إجفالاً شديداً.

فأمر عليّ عليه السلام سهل بن حنيف فاستقدم ممّن كان معه ليريد الميمنة ويعضدها فاستقبلهم جموع أهل الشام في خيل عظيمة فحملت عليهم فألحقتهم بالميمنة وكانت ميمنة أهل العراق متصلة بموقف عليّ عليه السلام في القلب في أهل اليمن فلمّا انكشفوا انتهت الهزيمة إلى عليّ عليه السلام فانصرف يمشي نحو الميسرة فانكشفت عنه مضر من الميسرة فلم يبق مع عليّ عليه السلام من أهل العراق إلاّ ربيعة وحدها في الميسرة ومعه يومئذ بنوه أيضاً، وبصر به أحمر مولىٰ بني أُميّة وكان شجاعاً فقال: عليّ وربّ الكعبة قتلني الله إن لم أقتلك فأقبل نحوه فخرج إليه كيسان مولىٰ عليّ عليه السلام فاختلفا ضربتين فقتله أحمر وخالط علياً عليه السلام ليضربه بالسّيف فمدّ عليّ يده إلى جيب درعه فجذبه عن فرسه وحمله علىٰ عاتقه والله لكأني أنظر إلىٰ رجلي أحمر يختلفان علىٰ عنق عليّ ثمّ ضرب به الأرض فكسر منكبيه وعضديه، وشدّ أبناء عليّ حسين ومحمّد فضرباه بأسيافهما حتّىٰ برد ثمّ إنّ أهل الشام دنوا عنه يريدونه فقال له الحسن عليه السلام ما ضرّك لو أسرعت حتّىٰ تنتهي إلى الذين صبروا بعدك من أصحابك ـ تعني ربيعة ـ فقال عليه السلام يا بنيّ إنّ لأبيك يوماً لا يبطيء به عند السّعي ولا يقرّبه إليه الوقوف إنّ أباك لا يبالي وقع على الموت أو وقع الموت عليه.

وقد أعطىٰ عليّ عليه السلام رايته ربيعة الحُضَين بن المنذر الرقاشي وهو يومئذ غلام وكانت حمراء فأعجب علياً عليه السلام زحفه وثباته، فقال:

لمن رايةٌ حمراءُ يخفِقُ ظلُّها إذا قيل قدِّمْها حُضَين تَقَدَّما
ويدنُو بها في الصَّفِّ حتّىٰ يديرها حِمَامُ المنايا تقطرُ الموتَ والدَّما
جزى الله قوماً صابروا في لقائهم لدى البأس حُراماً أعزَّ وأكرما
وأحزمَ صبراً يوم تُدعىٰ إلىٰ الوغىٰ إذا كان أصواتُ الكماةِ تغمغُما
ربيعةَ أعني إنّهم أهلُ نجدةٍ وبأسٍ إذا لاقَوا خَميساً عرمَرَما
وقد صبرت عكٌّ ولخمٌ وحِميرٌ لمذحجَ حتّىٰ يفارِق دمٌ دَما
ونادت جذامٌ بالمذحِجَ وَيحكمُ جزىٰ الله شرّاً أيّنا كان أظلما
أما تتّقون اللّهَ في حُرُماتكم وما قرّب الرّحمن منها وعَظّما
أذقنا ابنَ حربٍ طعنَنا وضِرابَنا بأسيافنا حتّىٰ تولّىٰ وأحجما
وفرَّ ينادي الزبرقانَ وظالماً ونادىٰ كَلاعاً والكُريبَ وأنعَما
وعمراً وسفياناً وجهماً ومالكاً وحَوشَبَ والغاوي شُرَيحاً وأظلما
وكرز بن نبهان وعمرو بن جَخدرٍ وصبّاحاً القينيّ يدعو وأسلما

ويقول عمرو بن الزبير لقد سمعت الحُضَين بن المنذر يقول: أعطاني عليّ ذلك اليوم راية ربيعة ومضر وقال: بسم الله سر يا حضين واعلم أنه لا تخفق علىٰ رأسك براية مثلها أبداً هذهِ راية رسول الله صلى الله عليه وآله.

فجاء أبو عرفاء جبلة بن عطية الذهلي إلىٰ الحُضَين فقال: هل لك أن تعطيني الراية أحملها فيكون لك ذكرها ويكون لي أجرها؟ فقال الحضين وما غناي يا عمّ عن أجرها مع ذكرها فقال: إنّه لا غناء بك عن ذلك ولكن أعرها عمّك ساعة فما أسرع ما ترجع إليك قال حضين: فعلمت أنه قد استقتل وأنّه يريد أن يموت مجاهداً فقلت له: خذها فأخذها ثمّ قال لأصحابه إنّ عمل الجنّة كره كلّه وثقيل وإنّ عمل النّار خفّ كله وحبيب إنّ الجنّة لا يدخلها إلاّ الصّابرون الذين صبروا أنفسهم علىٰ فرائض الله وأمره وليس شيء ممّا افترض الله علىٰ العباد أشدّ من الجهاد هو أفضل الأعمال ثواباً عند الله فإذا رأيتموني قد شددت فشدّوا ويحكم أما تشتاقون إلى الجنّة أما تحبّون أن يغفر الله لكم فشدّوا وشدّوا معه وقاتلوا قتالاً شديداً فقتل أبو عرفاء وشدّت ربيعة بعدها شدّة عظيمة علىٰ صفوف أهل الشام.

فاضطرب الناس ذلك اليوم بالسيوف حتّىٰ قطعت وتكسّرت وصارت

كالمناجل وتطاعنوا بالرّماح حتّىٰ تناثرت أسنّتها ثمّ جثوا علىٰ الركب فتحاثوا بالتراب ثمّ تعانقوا وتكادموا بالأفواه ثمّ تراموا بالصخرة والحجارة ثمّ تحاجزوا فكان الرجل من أهل العراق يمرّ علىٰ أهل الشام فيقول: كيف أصير إلىٰ رايات بني فلان؟ فيقول ها هنا لا هداك الله ويمرّ الرجل من أهل الشام علىٰ أهل العراق فيقول: كيف أمضي إلىٰ رايات بني فلان؟ فيقولون: ها هنا لا حفظك الله.

ثمّ صاح عليه‌السلام بمالك الأشتر: يا مالك قال: لبّيك يا أمير المؤمنين قال: ائت هؤلاء القوم فقل لهم: أين فراركم عن الموت الذي لن تعجزوه إلىٰ الحياة الّتي لا تبقىٰ لكم؟ فمضى الأشتر فاستقبل الناس منهزمين فناداهم أنا مالك بن الحارث فلم يتلفت أحد منهم إليه فقال: أيّها الناس أنا الأشتر فأقبلت إليه طائفة وذهبت عنه طائفة فقال عضضتم بهن أبيكم وما أقبح ما قاتلتم اليوم أيّها الناس غضّوا الأبصار وعضّوا علىٰ النواجذ فاستقبلوا الناس بهامكم وشدّوا عليهم شدّة قوم موتورين بآبائهم وأبنائهم وأخوانهم حنقاً علىٰ عدوّهم قد وطّنوا علىٰ الموت أنفسهم كيلا يُسبَقوا بثأر إنْ هؤلاء القوم والله لن يقاتلوكم إلاّ عن دينكم ليطفئوا السنة ويحيوا البدعة ويدخلوكم في دين قد أخرجكم الله منه بحسن البصيرة فطيبوا عباد الله نفساً بدمائكم دون دينكم فإنّ الفرار فيه سلب العز والغلبة علىٰ الفيء وذلّ المحيا والممات وعار الدنيا والآخرة وسخط الله وأليم عقابه.

ثمّ قال: اخلصوا إليّ مذحجاً فاجتمعوا إليه فقال عضضتم بصمّ الجندل والله ما أرضيتم اليوم ربّكم ولا نصحتم له في عدوه وكيف ذلك وأنتم أبناء الحرب وأصحاب الغارات وفرسان الطراد وحتوف الأقران ومذحج الطعان الذين لم يكونوا يُسبَقون بثارهم ولم تطلّ دماؤهم ولم يعرفوا في موطن في المواطن بخسف وأنتم سادة مصركم وأعزّ حيّ في قومكم وما تفعلوا في هذا اليوم مأثور بعد اليوم فاتّقوا مأثور الحديث في غد واصدقوا عدوّكم اللّقاء فإنّ الله مع الصّابرين والذي نفسي بيده ما من هؤلاء - وأشار بيده إلىٰ أهل الشام - رجل في مثل جناح البعوضة من دين الله، الله ما أحسنتم اليوم القراع، اجلوا سواد وجهي يرجع في وجهي دمي وعليكم بهذا السواد الأعظم فإنّ الله لوقد فضّة تبعه من بجانبيه كما يتبع السيل مقدمه.

فقالوا: خذ بنا حيث أحببت فصمد بهم نحو عظمهم واستقبله ستام من همدان وهم نحو ثمان مائة مقاتل قد انهزموا آخر الناس وكانوا قد صبروا في ميمنة عليّ حتّىٰ قتل منهم مائة وثمانون رجلاً وأُصيب منهم أحد عشر رئيساً كلّما قتل

منهم رئيس أخذ الرّاية آخر فانصرفوا وهم يقولون ليت لنا عديداً من العرب يحالفوننا ثمَّ نستقدم نحن وهم فلا ننصرف حتّىٰ نقتل أو نظهر.

فقال لهم الأشتر إنّي أحالفكم وأعاقدكم علىٰ أن لا نرجع أبداً حتّىٰ نظفر أو نهلك فوقفوا معه علىٰ هذهِ النية والعزيمة وزحف نحو الميمنة وتاب إليه ناس تراجعوا من أهل الصبر والوفاء والحياء فأخذ لا يصمد لكتيبة إلاّ كشفها ولا بجمع إلاّ جازه وردّه[1] ولمّا رأىٰ عليّ عليه السلام ميمنته قد عادت إلىٰ موقفها ومصافّها وكشفت من بإزائها أقبل حتّىٰ انتهىٰ إليهم فقال: قد رأيت جولتكم وانحيازكم عن صفوفكم تحوزكم الجفاة الطغام أعراب أهل الشام وأنتم لهاميم العرب والسنام الأعظم وعمّار اللّيل بتلاوة القرآن وأهل دعوة الحقّ إذ ضلّ الخاطئون فلولا قتالكم بعد إدباركم وكرّكم بعد إعيازكم وجب عليكم ما وجب على المُوَلّي يوم الزحف وكنتم فيما أرىٰ من الهالكين.

ولقد هوّن عليّ بعض وجدي وشفىٰ بعض لاعج نفسي أن رأيتكم بأخرة خرتموهم كما حازوكم فأزلتموهم عن مصافّهم كما أزالوكم تحسّونهم بالسيف يركب أوّلهم آخرهم كالإبل المطرودة الهيم فالآن فاصبروا نزلت عليكم السكينة وثبتكم اليقين.

وليعلم المنهزم أنّه مسخط ربّه وموبق نفسه وفي الفرار موجدة الله عليه والذلّ لازم عليه ومفسدة العيش عليه وإنّ الفارّ لا يزيد الفرار في عمره ولا يرضي ربّه لموت الرجل محقّاً قبل إتيان هذهِ الخصال خير من الرّضا بالتلبيس بها والإصرار عليها[2]. فلمّا انقضىٰ هذا اليوم بما فيه أصبحوا في اليوم الثاني والفيلقان متقابلان فخرج رجل من أهل الشام فسأل المبارزة فخرج إليه رجل من أهل العراق فاقتتلا قتالاً شديداً ثمَّ إنّ العراقي اعتنقه فوقعا جميعاً وعاد الفرسان ثمَّ إنّ العراقي قهره فجلس علىٰ صدره وكشف المغفر عنه يريد أن يذبحه فإذا هو أخوه لأبيه فصاح به أصحاب عليّ عليه السلام ويحك أجهز عليه قال: إنّه أخي قالوا: فاتركه قال: لا والله حتّىٰ يأذن أمير المؤمنين فأخبر عليّ عليه السلام بذلك فأرسل إليه أن دعه فتركه وعاد إلىٰ صفّ معاوية.

---

(١) البحار: ٣٢، ٤٧٠.

(٢) البحار: ٤٧٢/٣٢.

وحمل أبو كعب الخثعمي رأس خثعم العراق علىٰ خثعم الشام واقتتلوا أشدّ قتال فجعل أبو كعب يقول لأصحابه: يا معشر خثعم خذّموا أي اضربوا الخذمة[1] وهي الخلخال، فحمل شمر بن عبد الله علىٰ أبي كعب فطعنه فقتله ثمَّ انصرف يبكي ويقول: رحمك الله أبا كعب لقد قتلتك في طاعة قوم أنت أمسّ إليّ رحماً وأحبّ إليّ منهم نفساً ولكنّي والله لا أدري ما أقول ولا أرى الشيطان إلاّ قد فتننا ولا أرىٰ قريشاً إلاّ قد لعبت بنا فوثب كعب بن أبي كعب إلىٰ راية أبيه فأخذها ففقئت عينه وصرع ثمَّ أخذها شريح بن مالك فقاتل القوم تحتها حتّىٰ صرع منهم حول رايتهم نحو ثمانين رجلاً وأصيب من خثعم الشام مثل ذلك ثمَّ ردّها شريح إلىٰ كعب بن أبي كعب.

وكانت راية بجيلة مع أهل العراق في أحمس مع أبي شدّاد فقالت له بجيلة خذ رايتنا قال: غيري خير لكم منّي، قالوا: لا نريد غيرك، قال: فوالله لئن أعطيتها لا أنتهي بكم دون صاحب الترس المذهب الذي هو قائم على رأس معاوية يستره من الشمس فقالوا اصنع ما شئت فأخذها ثمّ زحف بها وهم حوله يضربون الناس بأسيافهم حتّىٰ انتهىٰ إلىٰ صاحب الترس المذهب وهو في خيل عظيمة من أصحاب معاوية فاقتتل الناس هناك قتالاً شديداً، وشدّ أبو شدّاد بسيفه نحو صاحب الترس فتعرّض له رومي فضرب قدم أبي شدّاد فقطعها وضرب أبو شدّاد ذلك الرّومي فقتله فأشرعت إليه الأسنة فقتل.

فأخذ الراية عبد الله بن قلع الأحمسيّ وقاتل حتّىٰ قتل فأخذها أخوه عبد الرّحمن فقاتل حتّىٰ قتل ثمَّ أخذها عفيف بن أياس فلم يزل بيده حتّىٰ تحاجز الناس فحمل غطفان العراق علىٰ غطفان الشام وقتل منهما كثير وكذا أزد العراق علىٰ أزد الشام وكذا كلّ قبيلة علىٰ من بإزائهم. وحارب همدان وطي والنخع وقطعت رجل علقمة بن قيس النخعي وقتل أخوه ابن أبي قيس فكان علقمة يقول: ما أحبّ أنّ رجلي أصحّ ما كانت لما أرجوه بها من الثواب.

وقام أصحابه عليه السلام فقالوا: يا أمير المؤمنين انهض بنا إلىٰ عدوّنا وعدوّك إذا شئت فوالله ما نريد بك بدلاً بل نموت معك ونحيا معك.

وخطب عبد الله بن عبّاس وقال بعد الحمد والثناء والشهادة بالتوحيد

---

(١) خذموا الخذمة: أي اضربوا الخلخال أي اضربوهم في سوقهم.

والرسالة: وقد ساقنا قدر الله إلىٰ ما ترون حتّىٰ كان ممّا اضطرب من حبل هذهِ الأمّة وانتشر من أمرها أنّ معاوية بن أبي سفيان وجد من طغام الناس أعواناً علىٰ ابن عمّ رسول الله ﷺ وصهره وأوّل ذكر صلّىٰ معه بدري قد شهد مع رسول الله ﷺ كلّ مشاهده الّتي منها الفضل ومعاوية مشرك يعبد الأصنام والذي ملك الملك وحده وبان به وكان أهله لقد كان عليّ بن أبي طالب مع رسول الله ﷺ وهو يقول: «صدق الله ورسوله» ومعاوية يقول: «كذب الله ورسوله».

فعليكم بتقوىٰ الله والجدّ والحزم والصبر والله إنّكم لعلىٰ حقّ وإنّ القوم لعلىٰ باطل فلا يكونن أولىٰ بالجدّ علىٰ باطلهم منكم في حقكم وأنّا لنعلم أن سيعذّبهم الله بأيديكم أو بأيدي غيركم.

اللّهمّ أعِنّا ولا تخذلنا وانصرنا علىٰ عدوّنا ولا تخلّ عنّا وافتح بيننا وبين قومنا بالحقّ وأنت خير الفاتحين.

ثمّ قام عمّار بن ياسر رضوان الله عليه وقال:

انهضوا معي عباد الله إلىٰ قوم يزعمون أنّهم يطلبون بدم الظالم لنفسه الحاكم علىٰ عباد الله بغير ما في كتاب الله إنّما قتله الصّالحون المنكرون للعدوان الآمرون بالإحسان فقال هؤلاء الذين لا يبالون إذا سلمت لهم دنياهم لو درس هذا الدّين لم قتلتموه؟ فقلنا: لأحداثه فقالوا: إنّه لم يحدث شيئاً وذلك لأنّه مكّنهم من الدّنيا منهم يأكلونها ويرعونها ولا يبالون لو انهدّت عليهم الجبال والله ما أظنّهم يطلبون بدمه إنّهم ليعلمون أنّه لظالم ولكن القوم ذاقوا الدّنيا فاستحبّوها واستمرّؤها وعلموا أنّ صاحب الحقّ لزمهم لحال بينهم وبين ما يأكلون ويرعون فيه منها.

ولم يكن للقوم سابقة في الإسلام يستحقّون بها الطّاعة والولاية فخدعوا أتباعهم بأن قالوا: قتل إمامنا مظلوماً ليكونوا بذلك جبابرة وملوكاً تلك مكيدة قد بلغوا بها ما ترون ولولاها ما بايعهم من الناس رجلان.

اللّهمّ إن تنصرنا فطالما نصرت وإن تجعل لهم الأمر فادّخر لهم بما أحدثوا لعبادك العذاب الأليم.

ثمّ مضىٰ ومضىٰ معه أصحابه فدنا من عمرو بن العاص فقال: يا عمرو بعت دينك بمصر فتباً لك فطال ما بغيت الإسلام عِوَجاً.

ثمّ قال: اللّهمّ إنّك تعلم أنّي لو أعلم أن رضاك في أن أقذف بنفسي في هذا البحر لفعلت.

اللّهمّ إنّك تعلم أنّي لو أعلم أنّ رضاك في أن أضع ظُبة سيفي في بطني ثمّ أغني عليه حتّىٰ يخرج من ظهري لفعلت.

اللّهمّ أنّي أعلم ممّا أعلمتني أنّي لا أعمل عملاً اليوم هو أرضىٰ لك من جهاد هؤلاء القاسطين، ولو أعلم اليوم عملاً هو أرضىٰ لك منه لفعلته[1].

---

(١) راجع تاريخ الطبري: ٣٨/٥ ط بيروت وكتاب صفين: ٣١٩/٣.

رؤية عمّار بن ياسر

عن أسماء بن حكيم الفزاري قال: كنّا بصفّين مع عليّ تحت راية عمّار بن ياسر ارتفاع الضحىٰ وقد استظللنا ببرد أحمر إذ أقبل رجل فقال: أيّكم عمّار بن ياسر؟ فقال: أنا عمّار. قال: أبو اليقظان؟ قال: نعم، قال: إنّ لي إليك حاجة فانطق بها سرّاً أو علانية؟ قال: اختر لنفسك أيّهما شئت، قال: لا بل علانية قال: فانطق، قال: إنّي خرجت من أهلي مستبصراً في الحقّ الذي نحن عليه لا أشكّ في ضلالة هؤلاء القوم وإنّهم على الباطل فلم أزل علىٰ ذلك مستبصراً حتّىٰ ليلتي هذه فإنّي رأيت في مقامي هذا تقدّم منادينا فقام وأذّن وشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمّداً رسول الله ونادىٰ بالصّلاة والفلاح ونادىٰ مناديهم بمثل ذلك ثمّ أقيمت الصلاة فصلّينا صلاة واحدة وتلونا كتاباً واحداً ودعونا دعوة واحدة ورسولنا واحد فأدركني الشكّ في ليلتي هذه فبتّ بليلة لا يعلمها إلاّ الله حتّىٰ أصبحت فأتيت أمير المؤمنين فذكرت ذلك له فقال: هل لقيت عمّار بن ياسر؟ قلت: لا، قال: فالقه فانظر ما يقول لك فاتّبعه، فجئتك لذلك فقال عمّار: تعرف صاحب الراية السوداء المقابلة لي وأومىء إلىٰ راية عمرو بن العاص - قاتلتها مع رسول الله ﷺ ثلاث مرّات وهذه الرّابعة فما هي بخيرهنّ ولا أبرّهن بل هي شرّهن وأفجرهنّ أشهدت بدراً وأُحداً ويوم حنين أو شهدها أب لك فيخبرها لك؟ قال: لا. قال: فإنّ مراكزنا اليوم علىٰ مراكز رايات رسول الله ﷺ يوم بدر ويوم أُحد ويوم حنين وإنّ مراكز هؤلاء علىٰ مراكز رايات المشركين من الأحزاب فهل ترىٰ هذا العسكر ومن فيه؟ والله لوددت أنّ جميع من أقبل فيه مع معاوية ممّن يريد قتالنا مفارقاً للذي نحن عليه كانوا خلقاً واحداً قطعته وذبحته والله لدماؤهم جميعاً أحلّ من دم عصفور أترىٰ دم عصفور حراماً؟ قال: لا بل حلال، قال: فإنهم حلال كذلك أتراني بيّنت؟ قال: قد بيّنت قال: اختر أيّ ذلك أحببت.

فانصرف الرجل فدعاه عمّار ثمّ قال: سيضربونكم بأسيافهم حتّىٰ يرتاب

المبطلون منكم فيقولوا: لو لم يكونوا علىٰ حق ما أظهروا علينا والله ما هم من الحقّ علىٰ ما يقذي عين ذباب والله لو ضربونا بأسيافهم حتّىٰ يبلغونا سعفات هجر لعلمنا أنّا على الحقّ وأنّهم علىٰ الباطل وأيم الله لا يكون سَلْماً سالماً أبداً حتّىٰ يبوء أحد الفريقين علىٰ أنفسهم بأنّهم كانوا كافرين وحتّىٰ يشهدوا على الفريق الآخر بأنّهم على الحقّ وأنّ قتلاهم في الجنّة وموتاهم ولا ينصرم أيّام الدنيا حتّىٰ يشهدوا بأنّ موتاهم وقتلاهم في الجنّة وأنّ موتىٰ أعدائهم وقتلاهم في النّار وكان أحياؤهم على الباطل[1].

(١) صفين: ٣/ص٣٢١ ط مصر.

مقتل عمّار بن ياسر

وصفّت الخيول بعضها لبعض وزحف الناس وعلىٰ عمّار درع بيضاء وهو يقول: أيّها الناس الرّواح إلى الجنّة فاقتتل الناس قتالاً شديداً لم يسمع الناس بمثله وكثرت القتلىٰ حتّىٰ إن كان الرّجل ليشُدُّ طُنب فُسطاطه بيد الرجل أو برجله فقال الأشعث لقد رأيت أخبية فلسطين وأروقتهم وما منها خباء ولا رواق ولا بناء ولا فسطاط إلاّ مربوطاً بيد رجلٍ أو رجله وجعل أبو سماك الأسديّ يأخذ إِدواة من ماء وشفرة حديد فإذا رأىٰ رجلاً جريحاً وبه رمق أقعده فيقول: من أمير المؤمنين؟ فإن قال عليّ غسل عنه الدّم وسقاه من الماء وإن سكت وجأه بالسكين حتّىٰ يموت.

وقال الأحنف بن قيس والله إنّي لإلىٰ جانب عمّار بن ياسر بيني وبينه رجل من بني الشعيراء فتقدّمنا حتّىٰ إذا دنونا من هاشم بن عتبة قال له عمّار: احمل فداك أبي وأمّي ونظر عمّار إلىٰ رقّةٍ في الميمنة فقال له هاشم: رحمك الله يا عمّار إنّك رجل تأخذك خفّة في الحرب وإنّي أزحف باللّواء زحفاً وأرجو أن أنال بذلك حاجتي وإنّي إن خَففت لم آمن الهلكة وقد كان قال معاوية لعمرو ويحك إنّ اللّواء اليوم مع هاشم بن عتبة وقد كان من قبل يُرقل به إرقالاً وإنّه إن زحف به اليوم زحفاً إنّه لليوم الأطول لأهل الشام وإن زحف في عنق من أصحابه إنّي لأطمع أن تقتطع فلم يزل به عمّار حتّىٰ حمل فبصر به معاوية فوجّه إليه حماة أصحابه ومن يُزنّ بالبأس والنجدة منهم في ناحيته وكان في ذلك الجمع عبد الله بن عمرو بن العاص ومعه يومئذ سيفان قد تقلّد واحداً وهو يضرب بالآخر وأطافت به خيل عليّ فقال عمرو بالله يا رحمن ابني ابني ويقول معاوية صبراً صبراً فإنّه لا بأس عليه قال عمرو: ولو كان يزيد بن معاوية إذاً لصبرت ولم يزل حماة أهل الشام يذبّون عنه حتّىٰ نجا هارباً، علىٰ فرسه ومن معه وأُصيب هاشم في المعركة.

وفي هذا اليوم قتل عمّار بن ياسر وكان يخاطب القوم:

نحن ضربناكم على تنزيله فاليوم نضربكم على تأويله
ضرباً يزيل الهام عن مقيله ويذهب الخليل عن خليله
أو يرجع الحق إلى سبيله

ثمّ استسقىٰ وقد اشتدّ ظمؤه فأُعطي ضياح من لبن فقال حين شرب: الجنّة تحت الأسنّة، اليوم ألقى الأحبّة محمداً وحزبه[1].

رحم الله عمّار بن ياسر.

(١) كتاب صفين: ٣/٣٣٩.

مع هاشم المرقال والفتى الغسّاني

دعا المرقال الناس عند الماء: «ألا من كان يريد الله والدّار الآخرة فليقبل» فأقبل إليه ناس فشدّ في عصابة من أصحابه على أهل الشام مراراً فليس من وجه يحمل عليه إلاّ صبروا له وقوتل فيه قتالاً شديداً فقال لأصحابه: لا يهولنّكم ما ترون من صبرهم فوالله ما ترون منهم إلاّ حميّة العرب وصبرها تحت راياتها وعند مراكزها وأنهم لعلى الضلال وإنّكم لعلى الحقّ يا قوم اصبروا وصابروا واجتمعوا وامشوا بنا إلى عدوّنا على تؤدة رويداً ثمّ تآسوا وتصابروا واذكروا الله ولا يسلم رجل أخاه ولا تكثروا الالتفات واصمدوا صمدهم وجالدوهم محتسبين حتّى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين.

فمضى في عصابة من القرّاء فقاتل قتالاً شديداً هو وأصحابه وخرج عليهم فتىً شابّ يقول:

أنا ابن أرباب الملوك غسّان ... والدّائن اليوم بدين غسّان
أنبأنا أقوامنا بما كان ... أنّ عليّاً قتل ابن عفّان

ثمّ شدّ فلا ينثني يضرب بسيفه ثمّ جعل يلعن عليّاً ويشتمه ويسهب في ذمّه فقال له هاشم بن عتبة: إنّ هذا الكلام بعده الخصام وإنّ هذا القتال بعده الحساب فاتّق الله فإنّك راجع إلى ربّك فسائلك عن هذا الموقف وما أردت به، قال: فإنّي أقاتلكم لأنّ صاحبكم لا يصلي كما ذكر لي وأنّكم لا تصلون وأُقاتلكم أنّ صاحبكم قتل خليفتنا وأنتم وازرتموه على قتله فقال له هاشم: وما أنت وابن عفّان؟ إنّما قتله أصحاب محمّد وقرّاء الناس حين أحدث أحداثاً وخالف حكم الكتاب وأصحاب محمّد هم أصحاب الدّين وأولي النظر في أُمور المسلمين وما أظنّ أنّ أمر هذه الأُمّة ولا أمر هذا الدّين عناك طرفة عين قطّ.

قال الفتى: أجلْ أجلْ والله لا أكذب فإنّ الكذب يضرّ ولا ينفع ويشين ولا يزين.

فقال له هاشم: إنّ هذا الأمر لا علم لك به فخلّه وأهل العلم به.

قال: أظنّك والله قد نصحتني.

وقال له هاشم: وأما قولك إنّ صاحبنا لا يصلّي فهو أوّل من صلّىٰ مع رسول الله ﷺ وأفقهه في دين الله وأولاه برسول الله وأمّا من ترىٰ معه فكلّهم قارئي الكتاب لا ينامون اللّيل تهجّداً فلا يغررك عن دينك الأشقياء المغرورون.

قال الفتىٰ: يا عبد الله إنّي لأظنّك امرءاً صالحاً وأظنّني مخطئاً آثماً أخبرني هل تجد لي من توبة؟

قال: نعم تب إلىٰ الله يتب عليك، فإنّه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويحبّ التوابين ويحب المتطهّرين.

فذهب الفتىٰ بين الناس راجعاً، فقال له رجل من أهل الشام خدعك العراقي! قال: لا ولكن نصحني العراقي.

وقاتل هاشم هو وأصحابه قتالاً شديداً حتّىٰ أتت كتيبة لتنوخ فشدّوا على الناس فقاتلهم وهو يقول:

أعور يبغي أهله مَحَلاً لا بد أن يَفُلّ أو يُفلا
قد عالج الحياة حتّى ملاّ

حتّىٰ قتل تسعة نفر أو عشرة وحمل عليه الحارث بن المنذر التنوخيّ فطعنه فسقط وبعث إليه عليّ: أن قدّم لواءك فقال للرسول: انظر إلىٰ بطني فإذا هو قد انشقّ فأخذ الرّاية رجل من بكر بن وائل ورفع هاشم رأسه فإذا هو بعبيد الله بن عمر بن الخطّاب قتيلاً إلىٰ جانبه فحبا حتّىٰ دنا منه فعضّ علىٰ ثديه حتّىٰ نيّبت فيه أنيابه ثمّ مات هاشم وهو علىٰ صدر عبيد الله بن عمر. وضرب البكريّ فوقع فرفع رأسه فأبصر عبيد الله بن عمر قريباً منه فحبا إليه حتّىٰ عضّ علىٰ ثديه الآخر حتّىٰ نيّبت أنيابه فيه ومات أيضاً فوجدا جميعاً علىٰ صدر عبيد الله بن عمر هاشم والبكري قد ماتا جميعاً ولمّا قتل هاشم جزع الناس عليه جزعاً شديداً وأُصيب معه عصابة من أسلم من القرّاء فمرّ عليهم عليّ وهم قتلىٰ حول أصحابه الذين قتلوا معه فقال:

جزى الله خيراً عصبةً أسلميّةً صباحَ الوجوه صُرّعوا حول هاشم
يزيد وعبد الله بشر ومعبد وسفيان وابنا هاشم ذي المكارم

وعـــروة لا يـــبـــعـــد ثـــنـــاه وذكـــره إذا اختُـرِطَـت يـومـاً خِـفـاف الـصّـوارم

ثمَّ قال عبد الله بن هاشم وأخذ الرّاية فحمد الله وأثنىٰ عليه ثمَّ قال: يا أيّها الناس إنَّ هاشماً كان عبداً من عباد الله الذين قدّر أرزاقهم وكتب آثارهم وأحصىٰ أعمالهم وقضىٰ آجالهم فدعاه ربّه الذي لا يعصىٰ فأجابه وسلّم الأمر لله وجاهد في طاعة ابن عم رسول الله ﷺ وأول من آمن به وأفقههم في دين الله المخالف لأعداء الله المستحلّين ما حرّم الله الذين عملوا في البلاد بالجور والفساد واستحوذ عليهم الشيطان فزيّن لهم الاثم والعدوان فحق عليكم جهاد من خالف سنّة رسول الله ﷺ وعطّل حدود الله وخالف أولياء الله فجودوا في مهج أنفسكم في طاعة الله في هذه الدّنيا تصيبوا الآخرة والمنزل الأعلىٰ والملك الذي لا يبلىٰ فلو لم يكن ثواب ولا عقاب ولا جنّة ولا نار لكان القتال مع عليّ أفضل من القتال مع معاوية ابن أكّالة الأكباد فكيف وأنتم ترجون ما ترجون[١].

---

(١) كتاب صفّين: ٣/٣٥٣.

أيّام حاسمة

ثمّ إنّ علياً عليه السلام قام بين الصفين ونادىٰ: يا معاوية يكرّرها فقال معاوية: سلوه ما شأنه؟ قال: أحبّ أن يظهر لي فأُكلّمه بكلمة واحدة فبرز إليه معاوية ومعه عمرو بن العاص فلمّا قارباه لم يلتفت إلىٰ عمرو وقال لمعاوية: ويحك علام تقتل الناس بيني وبينك ويقتل بعضهم بعضاً أبرز إليّ فأيّنا قتل فالأمر إلىٰ صاحبه فالتفت معاوية إلىٰ عمرو فقال: ما ترىٰ يا أبا عبد الله؟ قال: قد أنصفك الرجل فاعلم إنّك إن نكلت عنه لم تزل سبّة عليك وعلىٰ عقبك ما بقي علىٰ ظهر الأرض عربي فقال معاوية: يا ابن العاص ليس مثلي يخدع عن نفسه والله ما بارز ابن أبي طالب شجاع إلاّ وسقى الأرض بدمه ثمّ انصرف معاوية راجعاً حتّىٰ انتهىٰ إلىٰ آخر الصفوف وعمرو معه فلمّا رأىٰ عليّ عليه السلام ذلك ضحك وعاد إلىٰ موقفه.

ثمّ ذهب هذا اليوم بما فيه فأصبحوا من اليوم التاسع من صفر وقد خطب معاوية أهل الشام وحرّضهم فحمل عبيد الله وقرّاء أهل الشام ومعه ذو الكلاع في حمير علىٰ ربيعة في ميسرة عليّ عليه السلام فقاتلوا قتالاً شديداً.

فأتىٰ زياد بن خصفة إلىٰ عبد القيس فقال: لا يكونّن وائل بعد اليوم إنّ ذا الكلاع وعبيد الله بن عمر قد أبادا ربيعة فانهضوا لهم وإلاّ هلكت فركبت عبد القيس وجاءت كأنّها غمامة سوداء فشدّت أزر الميسرة وعظم القتال فقتل ذو الكلاع قتله رجل من بكر بن وائل اسمه خندف وتضعضعت أركان حمير وثبتت بعد ذي الكلاع تحارب مع عبيد الله بن عمر.

فأرسل عبيد الله إلى الحسن بن عليّ عليه السلام إنّ لي إليك حاجة فالقني فلقيه الحسن عليه السلام فقال له عبيد الله: إنّ أباك قد وتر قريشاً أوّلاً وآخراً وقد شنئه الناس فهل لك في خلعه وأن تتولىٰ أنت هذا الأمر فقال: كلاّ والله.

ثمّ قال: يا ابن الخطّاب والله لكأنّي أنظر إليك مقتولاً في يومك أو في غدك

أما إنّ الشيطان قد زيّن لك وخدعك حتّىٰ أخرجك مخلّقاً بالخلوق تري نساء أهل الشام موقفك وسيصرعك الله ويبطحك لوجهك قتيلاً.

فما كان إلاّ بياض النّهار حتّىٰ قتل عبيد الله وهو في كتيبة رقطاء وكانت تدعى الخضرية كانوا أربعة آلاف عليهم ثياب خضر فمرّ الحسن فإذا رجل متوسّد رجل قتيل وقد ركز رمحه في عينه وربط فرسه برجله فقال الحسن لمن معه: انظروا إلىٰ هذا وإذا رجل من همدان وإذا القتيل عبيد الله بن عمر قد قتله الهمداني في أوّل اللّيل وبات عليه حتّىٰ أصبح وحمل ذو الكلاع في ذلك اليوم بالفيلق العظيم من حمير على صفوف العراق ناداهم أبو شجاع الحميري تبّت أيديكم أترون معاوية خيراً من عليّ أسد الله أضلّ الله سعيكم ثمّ أنت يا ذا الكلاع قد كنّا نرىٰ أنّ لك نيّة في الدّين فقال ذو الكلاع أيها يا أبا شجاع والله ما معاوية بأفضل من عليّ ولكنّي أقاتل عن دم عثمان فأصيب ذو الكلاع حينئذ قتله خندف البكري في المعركة.

وقال معاوية لمّا قتل ذو الكلاع: لأنا أشدّ فرحاً بقتل ذي الكلاع منّي بفتح مصر لو فتحتها لأنّ ذا الكلاع كان يحجّر علىٰ معاوية في أشياء كان يأمر بها.

وبعد مقتله اشتدّت الحرب وشدّ علكّ ولخم وجذام والأشعريون من أهل الشام على مذحج من أهل العراق.

فضيحة ابن العاص

مرّ عمرو بن العاص بالحارث بن نصر الجُشَمِي وكان عدوّاً لعمرو وكان عمرو قلّما يجلس مجلساً إلاّ ذكر فيه الحرب فقال الحارث في ذلك:

ليس عمرو بتارك ذكره الحرب ... مدى الدّهر أو يلاقي عليّاً
واضع السيفِ فوق منكبه الأيمن ... لا يحسب الفوارس شيّاً
ليت عمراً يلقاه في حمس النّقع ... وقد صارت السُّيوف عِصِيّاً[1]
حيث يدعو البراز حامية القوم ... إذا كانوا بالبراز مليّاً
فوق شهب مثلِ السّحوق من النّخلِ ينادي المبارزين إليّا[2]
ثمّ يا عمرو تستريح من الفخر ... وتلتقي به فتىً هاشميّاً
فالقه إن أرَدْتَ مكرمة الدهر أو الموت كلّ ذاك عليّاً

فلمّا سمع عمرو شعره قال: والله لو علمت أنّي أموت ألف موته لبارزت عليّاً في أوّل ما ألقاه فلمّا بارزه طعنه عليّ فصرعه، واتّقاه عمرو بعورته فانصرف عليّ عنه.

وقال عليّ حين بدت له عورة عمرو فصرف وجهه عنه:

ضربي ثُبِي الأبطال في المشاغب ... ضربُ الغلام البطل الملاعب[3]
أي الضُّراب في العَجاج الثائبِ ... حين احمرار الحَدَق الثواقب
بالسّيفِ في تهتهة الكتائب ... والصّبر فيه الحمد للعواقب[4]

(١) حمس النقع: شدته، والنقع: الغبار.
(٢) السّحوق من النخل: الطويلة.
(٣) الثبة: الجماعة والعصبة من الفرسان، وثبي: هي ثبين جمع ثبة من الجمع الملحق بالسالم كعزين وعضين وحذفت النون للإضافة.
(٤) كتاب صفين: ٤/٤٢٣.

الغلامُ الأسدي العكبر بن جدير

وكان فارس أهل الكوفة الذي لا ينازع، وكان فارس أهل الشام الذي لا ينازع عوف بن مَجْزَأة المكنّىٰ أبا أحمر وهو أبو الذي استنقذ الحجّاج بن يوسف يوم صرع في المسجد بمُلّة. وكان العكبر له عبادة ولسان لا يطاق. فقام إلىٰ عليّ عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين إنّ في أيدينا عهداً من الله لا نحتاج فيه إلى الناس وقد ظننا بأهل الشّام الصّبر وظنّوه بنا فصبرنا وصبروا. وقد عجبت من صبر أهل الدّنيا لأهل الآخرة وصبر أهل الحقّ علىٰ أهل الباطل ورغبة أهل الدنيا ثمّ نظرت فإذا أعجب ما يعجبني جهلي بآية من كتاب الله: ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنّا وهم لا يفتنون ولقد فتنّا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمنّ الكاذبين وأثنىٰ عليه عليٌ عليه السلام خيراً.

وخرج الناس إلىٰ مصافّهم وخرج عوف بن مَجزأة نادراً من الناس وكذلك كان يصنع وقد كان قتل قبل ذلك نفراً من أهل العراق مبارزة فنادىٰ: يا أهل العراق هل من رجل عصاه سيفه يبارزني ولا أغرّكم من نفسي فأنا فارس زَوف[1] فصاح الناس بالعكبر فخرج إليه منقطعاً من أصحابه والناس وقوف ووقف عوف وهو يقول:

بالشّام أمن ليس فيه خوف   بالشّام عدل ليس فيه حيف

بالشّام جود ليس فيه سوق   أنا المراديّ ورهطي زوف

أنا ابن مجزأة واسمي عوف   هل من عراقيّ عصاه سيف

يبرز لي وكيف لي وكيف

فبرز إليه العكبر وهو يقول:

(١) زوف: بفتح الزاي: أبو قبيلة وهو زوف بن زاهر بن عامر بن عويثان.

الشام مَخلٌ والعراق تُمطَرُ — بها الإمام والإمام معذر[1]
والشام فيها للإمام مُغوِر — أنا العراقيّ واسمي العكبر
ابن جدير وأبوه المنذر — ادن فإنّي للكميّ مصحر[2]

فاطّعنا فصرعه العكبر فقتله ومعاوية على التلّ في أُناس من قريش ونفر من الناس قليل فوجّه العكبر فرسه فملأ فروجه ركضاً يضربه بالسّوط مسرعاً نحو التّل فنظر إليه معاوية فقال: إنّ هذا الرجل مغلوب علىٰ عقله أو مستأمن فاسألوه فأتاه رجل وهو في حَمْي فرسه فناداه فلم يجبه فمضىٰ مبادراً حتّىٰ انتهىٰ إلىٰ معاوية وجعل يطعن في أعراض الخيل ورجا العكبر أن يفردوا له معاوية فقتل رجالاً وقام القوم دون معاوية بالسّيوف والرّماح فلمّا لم يصل إلىٰ معاوية نادىٰ: أولىٰ لك يا ابن هند أنا الغلام الأسديّ فرجع إلىٰ عليّ فقال له: ماذا دعاك إلىٰ ما صنعت يا عكبر؟ لا تلق نفسك إلىٰ التهلكة.

قال: أردت غِرّة ابن هند.

وانكسر أهل الشام لقتل عوف وهدر معاوية دم العكبر فقال العكبر: يد الله فوق يد معاوية فأين دفاع الله عن المؤمنين[3].

---

(١) المعذر: المنصف.

(٢) الكميّ: الشجاع.

(٣) كتاب صفين: ٤/ ٤٥٠.

مصرع عبد الله بن كعب

مرّ الأسود بن قيس بعبد الله بن كعب وهو بآخر رمق فقال: عزّ عليّ والله مصرعك أما والله لو شهدتك لآسيتك ولدافعت عنك ولو رأيت الذي أشعرك لأحببت ألاّ يزايلني حتّىٰ أقتله أو يلحقني بك ثمَّ نزل إليه فقال رحمك الله يا عبد الله والله إن كان جارك ليأمن بوائقك وإن كنت لمن الذاكرين الله كثيراً أوصني رحمك الله قال: أُوصيك بتقوى الله وأن تناصح أمير المؤمنين وأن تقاتل معه المحلّين حتّىٰ يظهر الحقّ أو تلحق بالله وأبلغه عنّي السّلام وقل له: قاتل على المعركة حتّىٰ تجعلها خلف ظهرك فإنّه من أصبح والمعركة خلف ظهره كان الغالب. ثمَّ لم يلبث أن مات فأقبل الأسود إلىٰ عليّ عليه السلام فأخبره فقال: رحمه الله جاهد معنا عدوّنا في الحياة ونصح لنا في الوفاة[1].

(١) كتاب صفين: ٤/٤٥٧.

رأي سُرّ به عليّ عليه السلام

قام أبرهة بن الصّباح بن أبرهة الحميريّ فقال: ويلكم يا معشر أهل اليمن والله إنّي لأظنّ أن قد أذن بشنائكم ويحكم خلّوا بين هذين الرجلين فليقتتلا فأيّهما قتل صاحبه ملنا معه جميعاً وكان أبرهة من رؤساء أصحاب معاوية فبلغ ذلك عليّاً فقال: صدق أبرهة بن الصّباح والله ما سمعت بخطبة منذ وردت الشام أنا بها أشدّ سروراً منّي بهذهِ وبلغ معاوية كلام أبرهة فتأخّر آخر الصّفوف وقال لمن حوله إنّي لأظنّ أبرهة مصاباً في عقله فأقبل أهل الشام يقولون: والله إنّ أبرهة لأفضلنا ديناً ورأياً وبأساً ولكن معاوية كره مبارزة عليّ فقال أبرهة في ذلك:

لقد قال ابن أبرهة مقالاً ... وخالفه معاوية بن حرب
لأنّ الحقّ أوضح من غرور ... ملبّسة غرائضه بحقب
رمىٰ بالفيلقين به جهاراً ... وأنتم ولد قحطان بحرب
فخلّوا عنهما ليثي عراك ... فإنّ الحقّ يرفع كلّ كذب
وما إن يعتصم يوماً بقول ... ذوو الأرحام إنّهم لصحبي
وكم بين المنادي من بعيد ... ومن يغشى الحروب بكلّ عضب
ومن يرد البقاء ومن يلاقي ... بأسماح الطّعان وصفح ضرب
أيهجرني معاوية بن حرب ... وما هجرانه سُخطاً لربّي
وعمرو أن يفارقني بقول ... فإنّ ذراعه بالغدر رحب
وإنّي إن أُفارقهم بديني ... لفي سَعَة إلىٰ شرق وغرب

وبرز يومئذ عروة بن داود الدّمشقي فقال: إن كان معاوية كره مبارزتك يا أبا الحسن فهلمّ إليّ. فتقدّم إليه عليّ فقال له أصحابه: ذر هذا الكلب فإنّه ليس بخَطَر فقال والله ما معاوية اليوم بأغيظ لي منه. دعوني وإيّاه، ثمّ حمل عليه فضربه فقطعه قطعتين سقطت إحداهما يمنة والأُخرىٰ يَسرة فارتجّ العسكران لهول الضّربة ثمّ

قال: اذهب يا عروة فأخبر قومك أما والذي بعث محمّداً بالحقّ لقد عاينتَ النّار وأصبحت من النادمين[1].

(١) كتاب صفين: ٤/ ٤٥٧.

ليلة الهرير

ولمّا أصبحوا في اليوم العاشر أصبحوا وربيعة محدقة بعليّ عليه السلام إحداق بياض العين بسوادها فصاح عتاب بن لقيط: يا معشر ربيعة حاموا عن عليّ منذ اليوم فإن أصيب فيكم افتضحتم ألا ترونه قائماً تحت راياتكم.

وقال لهم شقيق بن ثور: يا معشر ربيعة ليس لكم عذر عند العرب إن أُصيب عليّ وفيكم رجل حيّ فامنعوه اليوم واصدقوا عدوّكم اللّقاء.

فتعاقدت ربيعة وتحالفت بالأيمان العظيمة وتبايع منهم سبعة آلاف علىٰ أن لا ينظر رجل خلفه حتّىٰ يردوا سرادق معاوية فقاتلوا ذلك اليوم قتالاً شديداً لم يكن قبله مثله وأقبلوا نحو سرادق معاوية فلمّا نظر إليهم قد أقبلوا قال:

إذا قلت قد ولّت ربيعة أقبلت كتائب منها كالجبال تجالد

ثمّ قال لعمرو يا عمرو ما ترىٰ؟ قال: أرىٰ أن لا تحنث أخوالي اليوم فقام معاوية وخلاّ لهم سرادقه ورحله وخرج فارّاً عنه لائذاً ببعض مضارب العسكر في أُخريات الناس وانتهبت ربيعة سرادقه ورحله وبعث إلىٰ خالد بن المعمّر إنّك قد ظفرت ولك إمرة خراسان إن لم تتمّ فقطع خالد القتال ولم يتمّه وقال لربيعة قد برّت أيمانكم فحسبكم فلمّا كان عام الجماعة وبايع الناس معاوية أمّره معاوية علىٰ خراسان وبعثه إليها فمات قبل أن يبلغها.

وصلّىٰ عليّ عليه السلام بمن معه صلاة الغداة ثمّ زحف بهم فلمّا أبصروه استقبله أهل الشام بزحوفهم فاقتتلوا قتالاً شديداً ثمّ إن خيل الشام حملت علىٰ خيل العراق فاقتطعوا من أصحاب عليّ عليه السلام ألف رجل أو أكثر فأحاطوا بهم وحالوا بينهم وبين أصحابهم فلم يروهم فنادىٰ عليّ عليه السلام ألا رجل يشري نفسه لله ويبيع دنياه بآخرته؟! فأتاه رجل من جعف يقال له عبد العزيز بن الحارث علىٰ فرس أدهم كأنّه

غراب مقنّعاً في الحديد فقال يا أمير المؤمنين مرني بأمرك فقال عليّ عليه السلام :

سَمَحْتَ بأمرٍ لا يطاق حفيظةً وصِدقاً وإخوان الحفاظ قليل
جزاك اله الناس خيراً فقد وفت يداك بفضلٍ ما هناك جزيل

فقال عليه السلام يا أبا الحارث شدّ الله ركنك احمل على أهل الشام حتّىٰ تأتي أصحابك فتقول لهم: إنّ أمير المؤمنين يقرأ عليكم السلام ويقول لكم: هلّلوا وكبّروا من ناحيتكم ونهلّل ونكبّر من ناحيتنا واحملوا ونحمل عليهم فضرب الجعفي فرسه وقاتلهم حتّىٰ خلص إلىٰ أصحابه فلمّا رأوه استبشروا به وفرحوا وقالوا: ما فعل أمير المؤمنين؟ قال: صالح يقرئكم السلام ويقول: هلّلوا وكبّروا واحملوا حملة رجل واحد ونحمل من جانبنا ففعلوا ما أمرهم به وهلّلوا وكبّروا وهلّل عليّ وكبّر هو وأصحابه وحمل علىٰ أهل الشام وحملوهم وخرج رجل من أهل الشام ونادىٰ الصّفّين: يا أب الحسن يا عليّ أبرز إليّ فخرج إليه عليّ عليه السلام حتّىٰ اختلفت أعناق دابّتيهما بين الصّفّين فقال: إنّ لك يا عليّ لقدماً في الإسلام والهجرة فهل لك في أمر أعرضه عليك يكون فيه حقن هذه الدّماء وتأخير هذه الحروب حتّىٰ ترىٰ رأيك؟ قال: وما هو؟ قال: ترجع إلىٰ عراقك فنخلّي بينك وبين العراق ونرجع نحن إلىٰ شامنا فتخلّي بيننا وبين الشام.

فقال عليّ عليه السلام قد عرفت ما عرضت إنّ هذه لنصيحة وشفقة ولقد أهمّني هذا الأمر وأسهرني وضربت أنفه وعينه فلم أجد إلاّ القتال أو الكفر بما أنزل الله علىٰ محمد صلى الله عليه وآله إنّ الله تعالىٰ ذكره لم يرض من أوليائه أن يعصىٰ في الأرض وهم سكوت مذعنون لا يأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر فوجدت القتال أهون عليّ من معالجة الأغلال في جهنّم.

فرجع الرجل وهو يسترجع وزحف الناس بعضهم إلىٰ بعض فارتموا بالنبل والحجارة حتّىٰ فنيت ثمّ تطاعنوا بالرّماح حتّىٰ تكسّرت واندقّت ثمّ مشى القوم بعضهم إلىٰ بعض بالسيوف وعمد الحديد فلم يسمع السّامعون إلاّ وقع الحديد بعضه علىٰ بعض لهو أشدّ هولاً في صدور الرّجال من الصواعق ومن جبال تهامة يدكّ بعضها بعضاً وانكسفت الشمس بالنّقع وثار القتام والقسطل فضلّت الألوية والرّايات وأخذ الأشتر يسير فيما بين الميمنة والميسرة فيأمر كلّ قبيلة أو كتيبة من القرّاء بالإقدام على الّتي تليها فاجتلدوا بالسيوف وعمد الحديد من صلاة الغداة من

اليوم المذكور إلىٰ نصف الليل لم يصلّوا لله صلاة[1] فلم يزل الأشتر يفعل ذلك حتىٰ أصبح والمعركة خلف ظهره وافترقوا علىٰ سبعين ألف قتيل في ذلك اليوم وتلك الليلة وهي ليلة الهرير وكان الأشتر في ميمنة الناس. وابن عبّاس في الميسرة، وعليّ في القلب، والناس يقتتلون.

وكان عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ يدعوا وهو منفتل إلى القبلة في ذلك اليوم:

يا الله يا رحمن يا رحيم يا واحد يا أحد يا صمد يا الله يا إله محمّد، اللّهمّ إليك نقلت الأقدام وأفضت القلوب ورفعت الأيدي وامتدّت الأعناق وشخصت الأبصار وطلبت الحوائج اللّهم إنّا نشكو إليك غيبة نبيّنا ﷺ وكثرة عدوّنا وتشتّت أهوائنا ربّنا افتح بيننا وبين قومنا بالحقّ وأنت خير الفاتحين، سيروا علىٰ بركة الله ثمّ نادىٰ لا إله إلاّ الله والله أكبر كلمة التقوىٰ[2].

وخطب الأشعث بن قيس الكنديّ ليلة الهرير في أصحابه من كندة فقال: الحمد لله أحمده وأستعينه وأومن به وأتوكّل عليه وأستنصره وأستغفره وأستخيره وأستهديه فإنّه من يهد الله فلا مضلّ له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد ألاّ إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله ﷺ.

قد رأيتم يا معشر المسلمين ما قد كان في يومكم هذا الماضي وما قد فنى فيه من العرب فوالله لقد بلغت من السّنّ ما شاء الله أن أبلغ فما رأيت مثل هذا اليوم قطّ ألا فليبلّغ الشاهد الغائب أنّا إن نحن تواقفنا غداً إنّه لفناء العرب وضيعة الحرمات أما والله ما أقول هذه المقالة جزعاً من الحتف ولكنّي رجل مسنّ أخاف على النساء والذراريّ غداً إذا فنينا اللّهمّ إنّك تعلم أنّي قد نظرت لقومي ولأهل ديني فلم آل وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكّلت وإليه أُنيب والرأي يخطىء ويصيب وإذا قضى الله أمراً أمضاه علىٰ ما أحبّ العباد أو كرهوا أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم.

---

(١) في الكافي عن أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ قال في صلاة الخوف عند المطاردة والمناوشة يصلّي كلّ إنسان منهم بالإيماء حيث كان وجهه وإن كانت المسائفة والمعانقة وتلاحم القتال فإنّ أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ صلّىٰ ليلة صفّين وهي ليلة الهرير لم تكن صلواتهم الظهر والعصر والمغرب والعشاء عند كلّ وقت صلاة إلاّ التكبير والتهليل والتسبيح والتحميد والدعاء فكانت تلك صلواتهم لم يأمرهم بإعادة الصّلاة.

(٢) كتاب صفين: ٤/ ٤٧٣ بتصرّف.

فانطلقت عيون معاوية إليه بخطبة الأشعث فقال أصاب وربِّ الكعبة لئن نحن التقينا غداً لتميلَنَّ الرّوم علىٰ ذراريّنا ونسائنا ولتميلنّ أهل فارس علىٰ نساء أهل العراق وذراريّهم وإنّما يبصر هذا ذوو الأحلام والنهىٰ. اربطوا المصاحف على أطراف القنا.

فثار أهل الشام فنادوا في سواد اللّيل: يا أهل العراق من لذراريّنا إن قتلتمونا ومن لذراريّكم إن قتلناكم؟ الله الله في البقية فأصبح أهل الشام وقد رفعوا المصاحف علىٰ رؤوس الرّماح وقلّدوها الخيل[١].

(١) راجع كتاب صفين: ٤/٤٨٠.

عليّ عليه السلام أمام الأمر الواقع

بعد أن طال أمد الحرب ـ حرب صفّين ـ فيها وكان الناس متعبين من حرب انقضت وهي حرب الجمل فيما خلّفت أتعاباً وآلاماً بحيث اضطّر بعض العامّة من الناس حول عليّ عليه السلام إلىٰ الجزع والتأوّه وعدم الطاعة وهذا من شأنه أن يضعف روحيّة القتال فصار عليّ عليه السلام أمام هذا الأمر الواقع فدفنه في صدره وتأمل في مبادرة إصدار قرار جديد بشأن الحرب لوجود فدائيين أرخصوا الدماء والأرواح من أجل الإطاحة بمعاوية وحزبه ونصرة عليّ عليه السلام وحزبه وإنّ الحرب بعد ضروس طاحنة وعليّ عليه السلام فيها يخطو خطوات مدروسة ووئيدة لاستئصال عدوّه لما ذكرنا من الوضع القائم في صفوف جيشه وما كان عليه من الوضع القائم في صفوف جيش معاوية حيث الطّاعة والمبادرات الّتي تنبىء عن قناعة ثابتة عند الشاميين بضرورة قتال عليّ عليه السلام لكثرة ما بلّغ معاوية وحزبه في إظهار مظلومية عثمان وأخذ الثأر لدمه المسفوك أضف إلىٰ أنّ أهل الشام قد عُرفوا من قديم بطاعتهم لأمرائهم والمشي وراء السلطة بدون نقاش أو مراقبة ومتابعة لما يعمله الحاكم بعكس ما كان عليه أهل العراق. وفي يوم أقبلت الكتائب بعضها نحو بعض فاقتتلت قياماً على الرّكب لا يسمع السّامعون إلاّ وقع السيوف على البيض والدروع جاء عدي بن حاتم يلتمس عليّاً عليه السلام ما يطأ إلاّ علىٰ إنسان ميّت أو قدم أو ساعد فوجده تحت رايات بكر بن وائل فقال يا أمير المؤمنين ألا تقوم حتّىٰ نموت؟ فقال عليه السلام: ادنُ فدنا حتّىٰ وضع أُذنه عند أنفه فقال: ويحك إنّ عامّة من معي يعصيني وأنّ معاوية فيمن يطيعه ولا يعصيه[1] هذا إذا أخذنا بنظر الاعتبار الأساليب الملتوية الّتي كان يستخدمها معاوية في إظهار نفسه مظهر الكاره للحرب والمحافظة علىٰ حقن دماء المسلمين، والوضوح الذي كان عليه أمير المؤمنين عليه السلام

---

(١) شرح نهج البلاغة: ٢/ ٨٤٤ ط بيروت.

وأصحابه من أنّ معاوية والذين معه ما آمنوا وقد ارتدّوا وسلكوا الطريق المعوجّ وعلىٰ هذا فالحرب معهم أمر إلهي لا شك فيه وقتالهم عبادة من أهم العبادات، فأمام هذا الوضع المضطرب والمناوشات الّتي تعطيها العبائر المقبولة والتي تكمن في داخلها الخراب سيكون وكنتيجة طبيعية لأي طرح فيه صفة الإسلامية مقبولاً ويحكم الطرف المقابل إذا ما كان هذا الطرح يحمل بين طيّاته سلماً شاملاً. وبالفعل فقد حدث فقد قام الطفيل بن أوهم حيال عليّ عليه السلام وقام أبو شريح حيال الميمنة وورقاء بن المعتمر حيال الميسرة ثمّ نادوا يا معشر العرب الله الله في النساء والبنات والأبناء من الروم والأتراك وأهل فارس غداً إذا فنيتم الله الله في دينكم هذا كتاب الله بيننا وبينكم فقال عليّ عليه السلام اللّهمّ إنّك تعلم أنّهم ما الكتاب يريدون فاحكم بيننا وبينهم إنّك أنت الحكم الحقّ المبين.

فاختلف أصحاب عليّ عليه السلام في الرأي فطائفة قالت: القتال وطائفة قالت: المحاكمة إلىٰ الكتاب ولا يحلّ لنا الحرب وقد دعينا إلىٰ حكم الكتاب فعند ذلك بطلت الحرب ووضعت أوزارها[1].

(١) راجع البحار: ٣٢، ٥٢٥.

طريقة رفع المصاحف والموقف الأخير

واستقبل أصحاب معاوية علياً بمائة مصحف ووضعوا علىٰ كلّ مُجنبة مائتي مصحف وكان جميعها خمسمائة مصحف، فاضطرب الناس وتوزّعت آرائهم وارتدّوا علىٰ أعقابهم فقام عليّ عليه السلام يوضح نفاق هذه الخطّة وخبث هذه الطريقة وقال: أيّها الناس إنّي أحقّ من أجاب إلىٰ كتاب الله ولكن معاوية وعمرو بن العاص وابن أبي معيط وابن أبي سرح وابن مسلمة ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن إنّي أعرف بهم منكم، صحبتهم صغاراً ورجالاً فكانوا شرّ صغار وشرّ رجال ويحكم إنّها كلمة حقّ يراد بها باطل إنهم ما رفعوها وإنّهم يعرفونها ولا يعملون بها ولكنها الخديعة والوهن والمكيدة أعيروني سواعدكم وجماجمكم ساعة واحدة فقد بلغ الحقّ مقطعه ولم يبق إلاّ أن يقطع دابر الظالمين فجاءه من أصحابه زهاء عشرين ألفاً مقنعين في الحديد شاكي السلاح سيوفهم علىٰ عواتقهم وقد اسوّدت جباههم من السجود يتقدّمهم مسعر بن فدكي وزيد بن حُصَين وعصابة من القرّاء الذين صاروا خوارج من بعد فنادوه باسمه لا بإمرة المؤمنين قالوا: يا عليّ أجب القوم إلىٰ كتاب الله إذا دعيت إليه وإلاّ قتلناك كما قتلنا ابن عفّان فوالله لنفعلنّها إن لم تجبهم.

فقال لهم عليّ عليه السلام: ويحكم أنا أوّل من دعا إلىٰ كتاب الله وأوّل من أجاب إليه وليس يحلّ لي ولا يسعني في ديني أن أُدعا إلىٰ كتاب الله فلا أقبله إنّي إنّما أُقاتلهم ليدينوا بحكم القرآن فإنّهم قد عصوا الله فيما أمرهم ونقضوا عهده ونبذوا كتابه ولكنّي قد أعلمتكم أنّهم قد كادوكم وأنّهم ليس العمل بالقرآن يريدون.

قالوا: فابعث إلى الأشتر ليأتيك ـ وقد كان الأشتر صبيحة ليلة الهرير قد أشرف علىٰ عسكر معاوية ليدخله، فأرسل إليه يزيد بن هانىء أن ائتني فأتاه فأبلغه فقال الأشتر: آتيه فقل له ليس هذه الساعة الّتي ينبغي لك أن تزيلني عن موقفي إنّي قد رجوت الفتح فلا تعاجلني فرجع يزيد إليه عليه السلام فأخبره فما هو إلاّ أن انتهىٰ

إلىٰ عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ حتىٰ ارتفع الرهج وعلت الأصوات من قبل الأشتر وظهرت دلائل الفتح والنصر لأهل العراق ودلائل الخذلان والإدبار علىٰ أهل الشام فقال القوم لعليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : ما نراك أمرته إلاّ بالقتال!! قال: أرأيتموني ساررت رسولي إليه؟ أليس إلاّ كلّمته علىٰ رؤوسكم علانية وأنتم تسمعون؟ قالوا: فابعث إليه فليأتك وإلاّ والله اعتزلناك فقال: ويحك يا يزيد قل له: اقبل إليّ فإنّ الفتنة قد وقعت فأتاه فأخبره فقال الأشتر: ألِرَفْع هذه المصاحف قال: نعم. قال: أما والله لقد ظننت أنّها حين رفعت ستوقع اختلافاً وفرقة أنّها مشورة ابن النابغة ثمّ قال ليزيد بن هانيء: ويحك ألا ترىٰ إلى الفتح؟ ألا ترىٰ إلىٰ ما يلقون؟ ألا ترىٰ إلى الذي يصنع الله لنا أينبغي أن ندع هذا وننصرف عنه؟ فقال له: يزيد أتحبّ أنّك ظفرت ها هنا وأنّ أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ بمكانه الذي هو فيه يفرج عنه ويسلم إلىٰ عدوّه؟ فقال: سبحان الله لا والله لا أُحبّ ذلك. قال: فإنّهم قد قالوا له وحلفوا عليه: لترسلنّ الأشتر فليأتينّك أو لنقتلنّك بأسيافنا كما قتلنا عثمان أو لنسلمنّك إلىٰ عدوّك.

فأقبل الأشتر حتّى انتهىٰ إليهم فصاح: يا أهل الذلّ والوهن أحين علوتم القوم وظنّوا أنّكم لهم قاهرون ورفعوا المصاحف، يدعونكم إلىٰ ما فيها وقد والله تركوا ما أمر الله فيها وتركوا سنّة من أنزلت عليه فلا تجيبوهم أمهلوني فواقاً فإنّي قد أحسست بالفتح قالوا: لا نمهلك، قال: فامهلوني عدوة الفرس فإنّي قد طمعت في النصر قالوا: إذاً ندخل معك في خطيئتك. قال: فحدّثوني عنكم وقد قتل أماثلكم وبقي أراذلكم حتىٰ كنتم محقّين؟ أحين كنتم تقتلون أهل الشام؟ فأنتم الآن حين أمسكتم عن قتالهم مبطلون؟ أم أنتم الآن في إمساككم عن القتال محقّون؟ فقتلاكم إذن الذين لا تنكرون فضلهم وأنّهم خير منكم في النار قالوا: دعنا منك يا أشتر قاتلناهم في الله وندع قتالهم في الله إنّا لسنا نطيعك فاجتنبنا. فقال: خدعتم والله فانخدعتم ودعيتم إلىٰ وضع الحرب فأجبتم يا أصحاب الجباه السود كنّا نظنّ صلاتكم زهادة في الدّنيا وشوقاً إلىٰ لقاء الله فلا أرىٰ فراركم إلاّ إلى الدنيا من الموت ألا فقبحاً يا أشباه النّيب الجلاّلة ما أنتم برائين بعدها عزّاً أبداً فأبعدوا كما بعد القوم الظالمون فسبّوه وسبّهم وضربوا بسياطهم وجه دابته وضرب بسوطه وجوه دوابّهم وصاح بهم عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فكفّوا.

وقال الأشتر: يا أمير المؤمنين احمل الصفّ علىٰ الصفّ تصرع القوم فتصايحوا أنّ أمير المؤمنين قد قبل الحكومة ورضي بحكم القرآن، فقال الأشتر إن

كان أمير المؤمنين قد قبل ورضي فقد رضيت بما يرضىٰ به أمير المؤمنين فأقبل الناس يقولون قد رضي أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ قد رضي أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو ساكت لا يفيض بكلمة طرق إلى الأرض ثمَّ قام فسكت الناس كلّهم فقال:

أيّها النّاس إنّ أمري لم يزل معكم علىٰ ما أُحبّ إلىٰ أن أخذت منكم الحرب وقد والله أخذت منكم وتركت وأخذت من عدوّكم فلم تترك وإنّ فيهم أنكىٰ وأنهك ألا وإنّي كنت أمس أمير المؤمنين فأصبحت اليوم مأموراً وكنت ناهياً فأصبحت منهيّاً وقد أحببتم البقاء وليس لي أن أحملكم علىٰ ما تكرهون.

ثمّ قعد ثمّ تكلّم رؤساء القبائل فكلّ قال ما يراه ويهواه إمّا من الحرب أو من السلم[1].

---

(١) راجع كتاب صفين: ٤/٤٨٩.

مواقف وآراء

جاء عديّ بن حاتم فقال: يا أمير المؤمنين إنّه لم تصب منّا عصبة إلاّ وقد أُصيب منهم مثلها وكلّ مقروح ولكنّا أمثل بقيّة منهم وقد جزع القوم وليس بعد الجزع إلاّ ما تحبّ فناجزهم.

وقام الأشتر فقال: يا أمير المؤمنين إنّ معاوية لا خلف له من رجاله ولك بحمد الله الخلف ولو كان له مثل رجالك لم يكن له مثل صبرك ولا نصرك فأقرع الحديد بالحديد واستعن بالله المجيد.

وقال عمرو بن الحمق: يا أمير المؤمنين إنّا والله ما أجبناك ولا نصرناك على الباطل ولا أجبنا إلاّ الله ولا طلبنا إلاّ الحقّ ولو دعانا غيرك إلىٰ ما دعوتنا إليه لاستشرىٰ فيه اللجاج وطال فيه النجوىٰ وقد بلغ الحقّ مقطعه وليس لنا معك رأي.

فقام الأشعث مغضباً فقال: يا أمير المؤمنين إنّا لك اليوم علىٰ ما كنّا عليه أمس وليس آخر أمرنا كأوّله وما من القوم أحد أحنىٰ علىٰ أهل العراق ولا أوتر لأهل الشام منّي فأجب القوم إلىٰ كتاب الله عزّ وجلّ فإنك أحقّ به منهم وقد أحبّ الناس البقاء وكرهوا القتال.

فقال عليّ عليه السلام: هذا أمر ينظر فيه ونادى الناس من كلّ جانب الموادعة الموادعة.

رسائل قبل اختيار الحكمين

كتب معاوية إلىٰ عليّ عليه السلام: أمّا بعد إنّ هذا الأمر قد طال بيننا وبينك وكلّ منّا يرىٰ أنه على الحقّ فيما يطلب من صاحبه ولن يعطي واحد منّا الطاعة للآخر وقد قتل فيما بيننا بشر كثير وأنا أتخوّف أن يكون ما بقي أشدّ مما مضىٰ وأنّا سوف نسأل عن هذه المواطن ولا يحاسب به غيري وغيرك وقد دعوتك إلىٰ أمر لنا ولك فيه حياة وعذر وبراءة وصلاح للأُمّة وحقن للدّماء وذهاب للضغائن والفتن وأن تحكّم بيني وبينك حكمين مرضيين أحدهما من أصحابي والآخر من أصحابك فيحكمان بيننا بما أنزل الله فهو خير لي ولك واقطع لهذه الفتن فاتقّ الله فيما دعيت إليه وارض بحكم القرآن إن كنت من أهله والسلام.

فكتب إليه عليّ عليه السلام:

من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلىٰ معاوية بن أبي سفيان أمّا بعد: فإنّ أفضل ما شغل به المرء المسلم نفسه اتّباع ما حسن به فعله واستوجب فضله وسلم من عيبه وإنّ البغي والزور يزريان بالمرء في دينه ودنياه ويبديان من خلله عند من يغنيه ما استرعاه الله ما لا يغني عنه تدبيره.

فاحذر الدنيا فإنّه لا فرح في شيء وصلت إليه منها وقد علمت أنّك غير مدرك ما قضى فواته وقد رام قوم أمراً بغير الحقّ وتأوّلوه على الله جلّ وعزّ فأكذبهم ومتّعهم قليلاً ثمّ اضطّرهم إلىٰ عذاب غليظ.

فاحذر يوماً يغتبط فيه من أحمد عاقبة عمله ويندم فيه من أمكن الشيطان من قياده ولم يحادّه وغرّته الدنيا واطمئن إليها.

ثمّ إنّك قد دعوتني إلىٰ حكم القرآن وقد علمت أنّك لست من أهل القرآن ولا حكمه تريد والمستعان الله فقد أجبنا القرآن إلىٰ حكمه ولسنا إيّاك أجبنا نعم

فبيننا وبينك حكم القرآن ومن لم يرض بحكم القرآن فقد ضلّ ضلالاً بعيداً[١].

فكتب معاوية إلىٰ أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ أمّا بعد عافانا الله وإيّاك فقد آن لك أن تجيب إلىٰ ما فيه صلاحنا وإلفة ما بيننا وقد فعلت الذي فعلت وأنا أعرف حقّي ولكنّي اشتريت بالعفو صلاح الأُمّة ولم أكثر فرحاً بشيء جاء ولا ذهب وإنّما أدخلني في هذا الأمر القيام بالحقّ فيما بين الباغي والمبغيّ عليه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ودعوت إلىٰ كتاب الله فيما بيننا وبينك فإنّه لا يجمعنا وإيّاكم إلاّ هو نحيي ما أحيا القرآن ونميت ما أمات القرآن والإسلام.

وكتب عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ إلىٰ عمرو بن العاص يعظه ويرشده:

أمّا بعد فإنّ الدنيا مشغلة عن غيرها ولن يصيب صاحبها منها شيئاً إلاّ فتحت له حرصاً يزيده فيها رغبة ولن يستغني صاحبها بما نال عمّا لم يبلغ ومن وراء ذلك فراق ما جمع والسعيد من وعظ بغيره فلا تحبط أبا عبد الله أجرك ولا تجار معاوية في باطله.

فكتب إليه عمرو بن العاص الجواب: أمّا بعد فالذي فيه صلاحنا والفتن الإنابة إلى الحقّ وقد جعلنا القرآن بيننا حكماً وأجبنا إليه فصبر الرجل منّا نفسه علىٰ ما حكم عليه القرآن وعذره الناس بعد المحاجزة والسلام[٢].

فكتب إليه عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

أمّا بعد: فإنّ الذي أعجبك من الدّنيا ممّا نازعتك إليه نفسك ووثقت به منها لمنقلب عنك ومفارق لك فلا تطمئنّ إلىٰ الدنيا فإنّها غرّارة ولو اعتبرت بما مضىٰ لحفظت ما بقي وانتفعت منها بما وعظت به والسلام.

فأجابه عمرو: أمّا بعد فقد أنصف من جعل القرآن إماماً ودعا الناس إلىٰ أحكامه فاصبر أبا حسن فإنّا غير منيليك إلاّ ما أنالك القرآن[٣].

ولمّا أن رضخ الناس إلىٰ تحكيم كتاب الله وبلغت بهم البلادة إلىٰ حدّ لا يطيقون بعدها التفكير بمصلحة الأُمّة مصير الدّين قام عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ خطيباً فقال:

الحمدُ لله وإن أتى الدّهر بالخطب الفادح والحدث الجليل، وأشهد أن لا إله

(١) كتاب صفين: ٤٩٣.
(٢) كتاب صفين: ٤٩٧.
(٣) كتاب صفين: ٤٩٨.

إلاّ الله وحده لا شريك له ليس معه إله غيره وأنّ محمّداً عبده ورسوله ﷺ.

أمّا بعد فإنّ معصية الناصح الشفيق العالم المجرّب تورث الحسرة وتعقب الندامة وقد كنت أمرتكم في هذه الحكومة أمري ونخلت[1] لكم مخزون رأيي لو كان يطاع لقصير أمر[2] فأبيتم عليّ إباء المخالفين الجفاة والمنابذين العصاة حتّى ارتاب الناصح بنصحه وظنّ الزند بقدحه[3] فكنت وإيّاكم كما قال أخو هوازن[4].

أمرتك أمري بمنعرج اللّوىٰ فلم تستبينوا النصح إلاّ ضحى الغد[5]

(١) نخلت: أي أخلصت.

(٢) مثل يضرب لكل ناصح عصي.

(٣) الزند: العود الذي يقدح به النار.

(٤) هو الدريد بن الصّمة.

(٥) نهج البلاغة: ٣٣ من المختار من خطبة.

اختيار الحكمين وبداية الفتنة

جاء الأشعث إلىٰ عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال: يا أمير المؤمنين ما أرى الناس إلاّ وقد رضوا وسرّهم أن يجيبوا القوم إلىٰ ما دعوهم إليه من حكم القرآن فإن شئت أتيت معاوية فسألته ما يريد ونظرت ما الذي يسأل؟ قال: ائته إن شئت فأتاه فسأله: يا معاوية لأي شيء رفعتم هذه المصاحف؟ قال: لنرجع نحن وأنتم إلىٰ أمر الله به فيها فابعثوا رجلاً منكم ترضون به ونبعث منّا رجلاً ونأخذ عليهما أن يعملا بما في كتاب الله ولا يعدوانه ثمّ نتّبع ما اتّفقا عليه فقال الأشعث: هذا هو الحقّ وانصرف إلىٰ عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فأخبره فبعث عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قرّاء من أهل العراق وبعث معاوية قرّاء من أهل الشام فاجتمعوا بين الصفّين ومعهم المصحف فنظروا فيه وتدارسوه واجتمعوا علىٰ أن يحيوا ما أحيا القرآن ويميتوا ما أمات القرآن ورجع كلّ فريق إلىٰ صاحبه فقال أهل الشام: إنّا قد رضينا واخترنا عمرو بن العاص، وقال الأشعث والقرّاء الذين صاروا خوارج فيما بعد: وقد رضينا نحن واخترنا أبا موسى الأشعريّ، فقال لهم عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فإنّي لا أرضىٰ بأبي موسىٰ ولا أرىٰ أن أولّيه فقال الأشعث وزيد بن حصين ومسعر بن فدكي في عصابة إنّا لا نرضىٰ إلاّ به فإنّه قد كان حذّرنا ما وقعنا فيه! فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: فإنّه ليس لي برضاً وقد فارقني وخذل الناس عنّي وهرب منّي حتّىٰ آمنته بعد أشهر ولكن هذا ابن عبّاس أولّيه ذلك، قالوا: والله ما نبالي أكنت أنت أو ابن عبّاس ولا نريد إلاّ رجلاً هو منك ومن معاوية سواء ليس إلىٰ واحد منكما أدنىٰ من الآخر فقال عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فإنّي أجعل الأشتر. فقال الأشعث: وهل سعر الأرض علينا إلاّ الأشتر وهل نحن إلاّ في حكم الأشتر؟ قال عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وما حكمه؟ قال: حكمه أن يضرب بعضنا بعضاً بالسيف حتّىٰ يكون ما أردت وما أراد.

فقال عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قد أبيتم إلاّ أبا موسىٰ؟ قالوا: نعم. قال: فاصنعوا ما شئتم فبعثوا إلىٰ أبي موسىٰ وهو بأرض من أهل الشام يقال لها عرض[1] قد اعتزل

---

(١) بلد بين تدمر ورصافة الشام.

القتال فأتاه مولىً له فقال: إنّ النّاس قد اصطلحوا قال: الحمد لله ربّ العالمين. قال: وقد جعلوك حكماً. فقال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون فجاء أبو موسىٰ حتّىٰ دخل عسكر عليّ عليه السلام.

وجاء الأشتر عليّاً عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين الزّني[1] بعمرو بن العاص فوالله الذي لا إله غيره لَئِنْ مَلَئَتْ عيني منه لأقتلنّه.

وجاء الأحنف بن قيس عليّاً عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين إنّك قد رميت بحجر الأرض ومن حارب الله ورسوله أنف الإسلام وإنّي قد عجمت[2] هذا الرجل يعني أبا موسىٰ وجلبت أشطره فوجدته كليل الشفرة قريب القعر كليل المدية وإنّه لا يصلح لهؤلاء القوم إلاّ رجل يدنو منهم حتّىٰ يكون في أكفّهم ويتباعد منهم حتّىٰ يكون بمنزلة النجم منهم فإن شئت أن تجعلني حكماً فاجعلني وإن شئت أن تجعلني ثانياً أو ثالثاً فإنّ عمرواً لا يعقد عقدة إلاّ عقدت لك أشدّ منها.

فعرض عليّ عليه السلام ذلك على الناس فأبوه وقالوا: لا يكون إلاّ أبو موسىٰ.

وبعث أيمن بن خُزَيم الأسدي وكان معتزلاً لمعاوية بأبيات تدلّ علىٰ أنّ صلاحهم في اختيار ابن عبّاس وترك أبي موسىٰ فطارت أهواء قوم من أولياء عليّ عليه السلام وشيعته إلى ابن عبّاس وأبت القرّاء إلاّ أبا موسىٰ.

فلمّا رضي أهل الشام بعمرو بن العاص وأهل العراق بأبي موسىٰ أخذوا في سطر كتاب الموادعة[3].

---

(١) أي الصقني به والزمني إيّاه.

(٢) ص١١٧.

(٣) انظر صفين: ٤٩٨ بتصرّف.

مجادلات في كتابة كتاب الصلح

بعد أن كتب الكتاب ـ كتاب الصلح بين الطرفين ـ برزت آراء الطرفين بشكل جريء وخاصّة من جانب معاوية حيث بالغ في حقده علىٰ عليّ عليه السلام ويبرز وكأنّه الأقوىٰ في ساحة المفاوضات الّتي جرّت إلى الصلح الظاهري الذي به حقنت دماء المسلمين وإن كانت مواصلة قتال معاوية كان الأجدر والأنفع لصالح الإسلام. إلاّ أنّ الغبش الذي غطّى العيون والصدأ الذي غلّف قلوب البعض هو الذي اضطّر عليّاً عليه السلام أن يركن إلىٰ هذا النحو من الموادعة وكان كتاب الموادعة بما يلي.

هذا ما تقاضىٰ عليه عليّ أمير المؤمنين ومعاوية بن أبي سفيان.

فقال معاوية: بئس الرجل أنا إن أقررت أنه أمير المؤمنين ثمّ قاتلته! وقال عمرو: لا بل نكتب اسمه واسم أبيه إنّما هو أميركم فأمّا أميرنا فلا.

فلمّا أُعيد إليه الكتاب أمر بمحوه. فقال الأحنف: لا تمح اسم إمرة المؤمنين عنك فإنّي أتخوّف إن محوتها أن لا ترجع إليك أبداً فلا تمحها.

فقال عليّ عليه السلام: إنّ هذا اليوم كيوم الحديبيّة حين كتبت الكتاب عن رسول الله صلى الله عليه وآله هذا ما تصالح عليه محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله وسهيل بن عمرو، فقال سهيل: لو أعلم أنّك لرسول الله لم أقاتلك ولم أخالفك، إنّي لظالم لك إن منعتك أن تطوف بيت الله وأنت رسوله ولكن اكتب من محمّد بن عبد الله.

فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عليّ إنّي لرسول الله وأنا محمّد بن عبد الله ولن يمحو عنّي الرّسالة كتابي لهم من محمّد بن عبد الله فاكتبها فامح ما أراد محوه أما إنّ لك مثلها ستعطيها وأنت مضطهد.

والذي أعاد الكتاب إلىٰ أمير المؤمنين عمرو بن العاص طالباً محو اسمه من امرة المؤمنين فقصّ عليّ عليه السلام عليه قصّة صلح الحديبيّة وقال: إنّ ذلك الكتاب أنا كتبته بيننا وبين المشركين واليوم أكتبه إلىٰ أبنائهم كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله كتبه

إلىٰ آبائهم شبهاً ومثلاً فقال عمرو: سبحان الله أتشبّهنا بالكفّار ونحن مسلمون؟ فقال عليّ عليه السلام يا ابن النابغة ومتىٰ لم تكن للكافرين وليّاً وللمسلمين عدوّاً؟ فقام عمرو وقال: والله لا يجمع بيني وبينك مجلس بعد اليوم فقال عليّ عليه السلام أما والله إنّي لأرجو أن يظهر الله عليك وعلىٰ أصحابك.

وجاءت عصابة قد وضعت سيوفها علىٰ عواتقها فقالوا: يا أمير المؤمنين مرنا بما شئت فقال لهم سهل بن حنيف: أيّها الناس اتّهموا رأيكم فلقد شهدنا صلح رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الحديبيّة ولو نرىٰ قتالاً لقاتلنا.

فقيل لعليّ عليه السلام: أتقرّ أنّهم مؤمنون مسلمون؟ فقال عليّ عليه السلام ما أقرّ لمعاوية ولا لأصحابه أنّهم مؤمنون ولا مسلمون ولكن يكتب معاوية ما شاء ويقرّ بما شاء لنفسه ولأصحابه ويسمّي نفسه بما شاء وأصحابه[1].

---

(١) راجع صفين: ٥٠٨.

صورة كتاب الصلح

هذا ما تقاضىٰ عليه عليّ بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان. قاضىٰ عليّ بن أبي طالب علىٰ أهل العراق ومن كان معه من شيعته من المؤمنين والمسلمين وقاضىٰ معاوية بن أبي سفيان علىٰ أهل الشام ومن كان معه من شيعته من المؤمنين والمسلمين أنّا ننزل عند حكم الله وكتابه ولا يجمع بيننا إلاّ إيّاه وإنّ كتاب الله سبحانه بيننا من فاتحته إلىٰ خاتمته نحيي ما أحيا القرآن ونميت ما أمات القرآن فإن وجد الحكمان أنّ ذلك في كتاب الله اتّبعناه وإن لم يجداه أخذا بالسنّة العادلة غير المفرقة والحكمان عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص.

وقد أخذ الحكمان من عليّ ومعاوية ومن الجندين أنّهما آمنان علىٰ أنفسهما وأموالهما وأهلهما والأمّة لهما أنصار وعلى الذي يقضيان عليه وعلى المؤمنين والمسلمين من الطائفتين عهد الله أن يعملوا بما يقضيان عليه ممّا وافق الكتاب والسنة وأنّ الأمن والموادعة ووضع السلاح متفّق عليه بين الطّائفتين إلىٰ أن يقع الحكم.

وعلىٰ كلّ واحد من الحكمين عهد الله ليحكمنّ بين الأمّة بالحق لا بالهوىٰ. وأجل الموادعة سنة كاملة فإن أحبّ الحكمان أن يعجّلا الحكم عجّلاه وإن توفيّ أحدهما فلأمير شيعته أن يختار معه رجلاً لا يألوا الحقّ والعدل وأن توفي أحد الأميرين كان نصب غيره إلىٰ أصحابه ممّن يرتضون أمره ويحمدون طريقه اللّهمّ إنّا نستنصرك علىٰ من ترك ما في هذه الصحيفة وأراد فيها إلحاداً وظلماً[1].

وكتب أهل العراق بهذا كتاباً لأهل الشام بخطّ عبيد الله بن أبي رافع كاتب

---

(١) صفين: ٥١٠.

عليّ عليه السلام وكتب أهل الشام بهذا كتاباً لأهل العراق بخطّ عمّار بن عباد الكلبي وشهد شهود أهل العراق على أهل الشام وشهود أهل الشام على أهل العراق[1].

(١) الفتوح: ٤/١٦.

(٢) صفين: ٥١١ بتقديم وتأخير وتصرف.

(٣) بلدة في الطريق ما بين الشام والعراق.

ما بعد كتاب الصلح

لمّا كتبت صحيفة الصلح دُعي لها الأشتر ليشهد مع الشهود فقال: لا صحبتني يميني ولا نفعتني بعدها الشمال إن كتب لي في هذه الصحيفة اسم علىٰ صلح أو موادعة أو لست علىٰ بينة من أمري ويقين من ضلال عدوّي؟ أولستم قد رأيتم الظفر إن لم تجمعوا علىٰ الخور؟!

وجرىٰ بينه وبين الأشعث كلام ثمَّ قال: ولكنّي قد رضيت بما يرضىٰ به أمير المؤمنين ودخلت فيما دخل فيه وخرجت ممّا خرج منه فإنّه لا يدخل إلاّ في الهدىٰ والصواب وخرج الأشعث ومعه ناس بنسخة الكتاب يقرأها على الناس ويعرفها عليهم فمرّ به علىٰ صفوف من أهل الشام وهم علىٰ راياتهم فأسمعهم إيّاه فرضوا به ثمّ مرّ علىٰ صفوف من أهل العراق وهم علىٰ راياتهم فأسمعهم إيّاه فرضوا به حتّىٰ مرّ برايات عَنَزة وكان معه عليه السلام منهم أربعة آلاف فقال فتيان منهم: لا حكم إلاّ لله ثمّ حملا علىٰ أهل الشام بسيوفهما حتّىٰ قتلا. ثمّ مرّ به علىٰ مراد فقال صالح بن شقيق وكان من رؤوسهم: لا حكم إلاّ لله ولو كره المشركون.

ثمّ مرّ علىٰ رايات بني راسب فقرأ عليهم فقالوا: لا حكم إلاّ لله لا نرضىٰ ولا نحكّم الرجال في دين الله.

ثمّ مرّ علىٰ رايات تميم فقرأه عليهم فقال رجل منهم: لا حكم إلاّ لله يقضي بالحقّ وهو خير الفاصلين، فشدّ عليه رجل بسيفه فرجع إلىٰ عليّ عليه السلام فأخبره بما جرىٰ فقال عليه السلام هل هي غير راية أو رايتين أو نبذ من الناس؟ قال: لا. قال: فدعهم فظنّ عليه السلام أنهم قليلون فما راعه إلاّ نداء الناس من كلّ ناحية: لا حكم إلاّ لله الحكم لله يا عليّ لا لك لا نرضىٰ بأن نحكّم الرجال في دين الله إنّ الله قد أمضىٰ حكمه في معاوية وأصحابه أن يقتلوا أو يدخلوا تحت حكمنا عليهم وقد كنّا زللنا حين رضينا بالحكمين وقد بان لنا زللنا وخطأنا فرجعنا إلىٰ الله وتبنا

فارجع أنت يا عليّ كما رجعنا وتب إلى الله كما تبنا وإلاّ برأنا منك.

فقال عليه السلام: ويحكم أبعد الرّضا والميثاق والعهد نرجع؟ أليس الله تعالىٰ قد قال: ﴿**أوفوا بالعقود**﴾[1] وقال: ﴿**أوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الإيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً**﴾[2] فأبىٰ أن يرجع وأبت الخوارج إلاّ تضليل التحكيم والطعن فيه فبرؤوا من عليّ وبرىء منهم عليّ.

وأتىٰ سليمان بن صرد علياً عليه السلام ووجهه مضروب بالسيف فلمّا نظر إليه عليّ عليه السلام قال: «فمنهم من قضىٰ نحبه ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلاً»[3] وأنت ممّن ينتظر وممّن لم يبدّل فقال: يا أمير المؤمنين أما لو وجدت أعواناً ما كتبت هذه الصحيفة أبداً أما والله لقد مشيت في الناس ليعودوا إلىٰ أمرهم الأوّل فما وجدت أحداً عنده خير إلاّ قليلاً.

وقام محرز بن جريش فقال: يا أمير المؤمنين أما إلى الرجوع عن هذا الكتاب سبيل فوالله إنّي لأخاف أن يورث ذلاً. فقال عليه السلام: أبعد أن كتبناه ننقضه إنّ هذا لا يحلّ.

وجاءت همدان إلىٰ عليّ عليه السلام فيهم سعيد بن قيس وابنه عبد الرّحمن، فقال سعيد: ها أنا ذا وقومي لا نردّ أمرك فقل ما شئت نعمله فقال: أما لو كان هذا قبل سطر الصحيفة لأزلتهم عن عسكرهم أو تنفرد سالفتي ولكن انصرفوا راشدين فلعمري ما كنت لأعرّض قبيلة واحدة للناس.

وقيل لعليّ عليه السلام إنّ الأشتر لم يرض بما في الصحيفة ولا يرىٰ إلاّ قتال القوم فقال عليّ عليه السلام: بلىٰ إنّ الأشتر ليرضىٰ إذا رضيت ورضيتم ولا يصلح الرجوع بعد الرّضا ولا التبديل بعد الإقرار إلاّ أن يعصى الله ويتعدّىٰ ما في كتابه.

وأمّا الذي ذكرتم من تركه أمري وما أنا عليه فليس من أُولئك ولا أعرفه علىٰ ذلك وليت فيكم مثله اثنان بل ليت فيكم مثله واحد يرىٰ في عدوّي مثل رأيه إذاً لخفّت مؤنتكم عليّ ورجوت أن يستقيم لي بعض أودكم.

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٩١.

(٢) سورة هود، الآية: ١١٨.

(٣) كتاب صفين: ٥٢٨.

وأمّا القضيّة فقد استوثقنا لكم فيها وقد طمعت أن لا تضلّوا إنشاء الله ربّ العالمين وحينها قال عليّ عليه السلام :

إنّ هؤلاء القوم لم يكونوا لينيبوا إلى الحقّ ولا ليجيبوا إلىٰ كلمة سواء حتّىٰ يرموا بالمناسر تتبعها العساكر وحتّىٰ يرجموا بالكتائب تقفوها الجلائب وحتّىٰ تجرّ ببلادهم الخميس يتلوه الخميس وحتّىٰ تدعق الخيول في نواحي أرضهم وبأعنان مساربهم ومسارحهم وحتّىٰ تشن عليهم الغارات من كلّ فجّ وحتّىٰ تتلقاهم قوم صدّق صبّر لا يزيدهم هلاك من هلك من قتلاهم وموتاهم في سبيل الله إلاّ جدّاً في طاعة الله وحرصاً علىٰ لقاء الله ولقد كنّا مع رسول الله ﷺ نقتل آباءنا وأبنائنا وأخوالنا وأعمامنا لا يزيدنا ذلك إلاّ إيماناً وتسليماً ومضيّاً على اللّقم وصبراً علىٰ مضض الألم وجدّاً في جهاد العدوّ ولقد كان الرجل منّا والآخر من عدوّنا يتصاولان تصاول الفحلين يتخالسان أنفسهما أيّهما يسقي صاحبه كأس المنون فمرّة لنا من عدوّنا ومرّة لعدونا منّا فلّما رأى الله صدقنا أنزل بعدوّنا الكبت وأنزل علينا النصر حتّىٰ استقرّ الإسلام ملقياً جرانه ومتبوّأً أوطانه ولعمري لو كنّا نأتي ما أتيتم ما قام للدّين عمود ولا اخضرّ للإيمان عود وأيم الله لتحتلبنّها دماً ولتُتبعنّها ندماً[1].

---

(١) البحار: ٣٣/ ٢٩٧.

من صفّين إلى الكوفة

عاد عليّ عليه السلام ومن معه من صفّين إلى الكوفة وكان يقول: عائدون لربّنا حامدون اللّهمّ إنّي أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في المال والأهل ثمَّ أخذ طريق الفرات حتّى انتهىٰ إلىٰ هيت وأخذ علىٰ صندودا[1] فخرج الأنماريّون بنو سعد بن حزيم واستقبلوا عليّاً فعرضوا عليه النُزل فبات بهم ثمَّ غدا حتّىٰ جاز النخيلة وأشرف علىٰ بيوت الكوفة فرأىٰ شيخاً جالساً في ظلّ بيت علىٰ وجهه أثر المرض فأقبل إليه أمير المؤمنين عليه السلام فسلّم عليه فردّ ردّاً حسناً فقال له عليه السلام: مالي أرىٰ وجهك منكفئاً أمن مرض؟ قال: نعم. قال: فلعلّك كرهته؟ فقال: ما أحب أنّه بغيري!! قال: أليس احتساباً للخير فيما أصابك منه؟ قال: بلىٰ قال: أبشر برحمة ربّك وغفران ذنبك فمن أنت يا عبد الله؟ قال: أنا صالح بن سليم. قال: أنت ممّن؟ قال: أمّا الأصل فمن سلامان بن طيء وأمّا الجوار والدعوة فمن بني سليم بن منصور قال: سبحان الله ما أحسن اسمك واسم أبيك واسم أدعيائك واسم من اعتزيت إليه هل شهدت معنا غزاتنا هذه؟ قال: لا والله ما شهدتها ولقد أردتها ولكن ما ترىٰ فيّ من لجب الحمّىٰ خذلني عنها، فقال عليه السلام: ليس على الضعفاء ولا على المرضىٰ ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم»[2].

أخبرني ما يقول الناس فيما كان بيننا وبين أهل الشام؟ قال: منهم المسرور فيما كان بينك وبينهم وأُولئك أغِشّاء الناس ومنهم المكبوت الآسف لما كان من ذلك وأُولئك نصحاء الناس لك فذهب لينصرف فقال: صدقت جعل الله ما كان من

(١) بلدة في الطريق ما بين الشام والعراق.

(٢) سورة التوبة: الآية ٩١

شكواك حطّاً لسيّئاتك فإنّ المرض لا أجر فيه ولكن لا يدع للعبد ذنباً إلاّ حطّه إنّما الأجر في القول باللّسان والعمل باليد والرجل وإنّ الله عزّ وجلّ يدخل بصدق النيّة والسريرة الصّالحة عالماً جمّاً من عباده الجنّة.

ثمّ مضىٰ غير بعيد فلقيه عبد الله بن وديعة الأنصاري فدنا منه وسأله فقال له: ما سمعت الناس يقولون في أمرنا هذا؟ قال: منهم المعجب به ومنهم المكاره له والناس كما قال الله تعالىٰ: ﴿**ولا يزالون مختلفين**﴾[1] فقال له: فما يقول ذوو الرأي؟ قال: يقولون: إنّ عليّاً كان له جمع عظيم ففرّقه وحصن حصين فهدمه فحتّىٰ متىٰ يبني مثل ما هدم وحتّىٰ متىٰ يجمع مثل ما قد فرّق؟! فلو أنّه كان مضىٰ بمن أطاعه إذ عصاه من عصاه فقاتل حتّىٰ يظهره الله أو يهلك إذاً كان ذلك هو الحزم. فقال عليه السلام: أنا هدمت أم هم هدموا؟ أم أنا فرّقت أم هم تفرّقوا؟ وأمّا قولهم: لو أنّه مضىٰ بمن أطاعه إذ عصاه من عصاه فقاتل حتّىٰ يظفر أو يهلك إذاً كان ذلك هو الحزم فوالله ما غبي عنّي ذلك الرأي وإن كنت لسخيّاً بنفسي عن الدّنيا طيّب النفس بالموت ولقد هممت بالإقدام فنظرت إلىٰ هذين قد استقدماني فعلمت أنّ هذين إن هلكا انقطع نسب محمّد ﷺ من هذه الأُمّة فكرهت ذلك وأشفقت علىٰ هذين أن يهلكا ولقد علمت أن لولا مكاني لم يستقدما ـ يعني بذلك ابنيه الحسن والحسين عليهما السلام ـ وأيم الله لئن لقيتهم بعد يومي لألقينّهم وليس هما معي في عسكر ولا دار.

ثمّ مضىٰ حتّىٰ جاز دور بني عوف فإذا هو عن يمينه بقبور سبعة أو ثمانية فقال عليه السلام: ما هذه القبور؟ فقال له: قدامة بن العجلان الأزدي يا أمير المؤمنين إنّ خبّاب بن الأرتّ توفّي بعد مخرجك فأوصىٰ أن يدفن في الظهر وكان الناس يدفنون في دورهم وأفنيتهم فدفن الناس إلىٰ جنبه فقال: رحم الله خبّاباً فقد أسلم راغباً وهاجر طائعاً وعاش مجاهداً وابتلي في جسده أحوالاً ولن يضيع الله أجر من أحسن عملاً.

فجاء حتّىٰ وقف عليهم ثمّ قال: عليكم السلام يا أهل الديار الموحشة والمحالّ المقفرة من المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات أنتم لنا سلف وفرط ونحن لكم تبع وبكم عمّا قليل لاحقون اللّهمّ اغفر لنا ولهم وتجاوز عنّا

---

(١) سورة هود الآية: ١١٨

وعنهم ثمَّ قال: الحمد لله الذي جعل الأرض كفاتاً أحياءً وأمواتاً الحمد لله الذي جعل منها خلقنا وفيها يعيدنا وعليها يحشرنا طوبىٰ لمن ذكر المعاد وعمل للحساب وقنع بالكفاف ورضي عن الله بذلك.

ومرّ علىٰ ثور همدان سمع البكاء فقال ما هذه الأصوات؟ قيل: هذا البكاء علىٰ من قتل بصفّين قال: أما إنّي شهيد لمن قتل منهم صابراً محتسباً بالشهادة ثمّ مرّ بالفائشيّين فسمع الأصوات فقال ذلك.

ثمّ مرّ بالشاميّين فسمع رنّة شديدة وصوتاً مرتفعاً عالياً فخرج إليه حرب بن شرحبيل الشاميّ فقال عليّ عليه السلام أتغلبكم نساؤكم ألا تنهونهنّ عن هذا الصياح والرّنين؟ قال: يا أمير المؤمنين لو كانت داراً أو دارين أو ثلاثة قدرنا علىٰ ذلك ولكن من هذا الحيّ ثمانون ومائة قتيل فليس من دار إلاّ وفيها بكاء أمّا نحن معاشر الرجال فإنّا لا نبكي ولكن نفرح لهم بالشهادة فقال عليّ عليه السلام رحم الله قتلاكم وموتاكم وأقبل يمشي معه وعليّ راكب فقال له عليّ عليه السلام ارجع فإنّ مشي مثلك مع مثلي فتنة للوالي ومذلّة للمؤمن.

ثمّ مضىٰ حتّىٰ مرّ بالناعطيّين فسمع رجلاً منهم يقال له عبد الرحمن بن مرثد فقال: ما صنع عليّ والله شيئاً ذهب ثمّ انصرف في غير شيء فلمّا نظر إلىٰ أمير المؤمنين عليه السلام أبلس فقال عليه السلام لأصحابه قوم فارقتهم آنفاً خير من هؤلاء ثمّ قال:

أخوك الذي إن أجرضتك ملمّة ... من الدّهر لم يبرح لبثّك واجماً
وليس أخوك بالذي إن تشعّبت ... عليك أمور ظلّ يلحاك لائماً

ثمّ مضىٰ فلم يزل يذكر الله حتّىٰ دخل الكوفة[1].

---

(١) كتاب صفين: ٥٣٨

نصائح المسلمين للأشعري

بعث عليّ عليه السلام أربع مائة مع الأشعري ليشهدوا التحكيم عليهم شريح بن هانىء وعبد الله بن عبّاس يصلّي بهم، ويبعث معاوية عمرو بن العاص في أربع مائة.

فلمّا أراد أبو موسى الأشعري المسير قام إليه شريح بن هانىء فأخذ بيده وقال: يا أبا موسىٰ إنك قد نصبت لأمر عظيم لا يجبر صدعه ولا يستقال فتنته ومهما تقل من شيء عليك أو لك تثبت حقّه وترىٰ صحّته وإن كان باطلاً وإنّه لا بقاء لأهل العراق إن ملكهم معاوية ولا بأس علىٰ أهل الشام إن ملكهم عليّ وقد كانت منك تثبيطة أيّام الكوفة والجمل وإن تشفعها بمثلها يكن الظنّ بك يقيناً والرجاء منك يأساً.

فقال أبو موسىٰ: ما ينبغي لقوم اتّهموني أن يرسلوني لأدفع عنهم باطلاً أو أجرّ إليهم حقّاً.

وقال له عبد الله بن عبّاس: يا أبا موسىٰ إنّ النّاس لم يرضوا بك ولم يجتمعوا عليك لفضل لا تشارك فيه وما أكثر أشباهك من المهاجرين والأنصار المتقدّمين قبلك ولكنّ أهل العراق أبوا إلاّ أن يكون الحكم يمانيّاً ورأوا أنّ معظم أهل الشام يمان وأيم الله إنّي لأظنّ ذلك شرّاً لك ولنا فإنّه قد ضمّ إليك داهية العرب وليس في معاوية خلّة يستحقّ بها الخلافة فإن تقذف بحقّك علىٰ باطله تدرك حاجتك منه وإن يطمع باطله في حقّك يدرك حاجته منك.

واعلم يا أبا موسىٰ أنّ معاوية طليق الإسلام وأنّ أباه رأس الأحزاب وأنّه يدّعي الخلافة من غير مشورة ولا بيعة فإن زعم لك أنّ عمر وعثمان استعملاه فلقد صدق استعمله عمر وهو الوالي عليه بمنزلة الطبيب يحميه ما يشتهي ويوجره ما يكره ثمّ استعمله عثمان برأي عمر وما أكثر ما استعملا ممّن لم يدّع الخلافة واعلم

أنّ لعمرو مع كلّ شيء يسرّك خبيثاً يسؤك ومهما نسيت فلا تنسى أنّ عليّاً عليه السلام بايعه القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان وإنّها بيعة هدىً وأنّه لم يقاتل إلاّ العاصين والناكثين.

فقال أبو موسىٰ: رحمك الله والله ما لي إمام غير عليّ وإنّي لواقف عندما رأىٰ وإن حقّ الله أحبّ إليّ من رضا معاوية وأهل الشام وما أنت وأنا إلاّ بالله[1].

---

(1)

نصيحة عليّ عليه السلام إلى الحكمين

كتب أمير المؤمنين عليه السلام إلىٰ أبي موسى الأشعريّ وهو:

فإنّه قد تغيّر كثير منهم عن كثير من حظّهم فمالوا مع الدّنيا ونطقوا بالهوىٰ وإنّي نزلت من هذا الأمر منزلاً معجباً اجتمع به أقوام أعجبتهم أنفسهم فإنّي أداوي منهم قرحاً أخاف أن يعود علقاً[1] وليس رجل - فاعلم - أحرص علىٰ جماعة أمّة محمّد صلى الله عليه وآله وإلفتها منّي أبتغي بذلك حسن الثواب وكرم المآب وسأفي بالذي وأيت[2] علىٰ نفسي وإن تغيّرت عن صالح ما فارقتني عليه فإنّ الشقيّ من حرم نفع ما أُوتي من العقل والتجربة وإنّي لأعبد[3] أن يقول قائل بباطل وأن أفسد أمراً قد أصلحه الله فدع ما لا تعرف فإنّ شرار الناس طائرون إليك بأقاويل السّوء والسّلام[4].

وأوصىٰ أمير المؤمنين عليه السلام شريح بن هانىء بكلمات ينقلها إلىٰ عمرو بن العاص قال له: قل لعمرو إذا لقيته إنّ عليّاً يقول لك: إنّ أفضل الخلق عند الله من كان العمل بالحقّ أحبّ إليه وإن نقصه وإنّ أبعد الخلق من الله من كان العمل بالباطل أحبّ إليه وإن زاده والله يا عمرو إنك لتعلم أين موضع الحقّ فلم تتجاهل أبأن أُوتيت طمعاً يسيراً صرت لله ولأوليائه عدوّاً فكأن ما أُوتيت قد زال عنك فلا تكن للخائنين خصيماً ولا للظالمين ظهيراً أما إنّي أعلم أنّ يومك الذي أنت فيه نادم هو يوم وفاتك وسوف تتمنىٰ أنّك لم تظهر لي عداوة ولم تأخذ علىٰ حكم الله رشوة.

---

(١) العلق: الدمّ الغليظ.

(٢) وأيت: وعدت.

(٣) العبد بالتحريك: الغضب والأنف أي أنّي لآنف أن يقول غيري قولاً باطلاً فكيف لا آنف ذلك أنا من نفسي.

(٤) نهج البلاغة: المختار من كتبه ما قبل الأخير من الباب الثاني.

قال شريح: فأبلغته ذلك يوم لقيته فتمعّر[1] وجهه وقال: متىٰ كنت قابلاً مشورة عليّ أو منيباً إلىٰ رأيه أو معتدّاً بأمره!!!

فقلت وما يمنعك يا ابن النابغة أن تقبل من مولاك وسيّد المسلمين بعد نبيّهم مشورته لقد كان من هو خير منك أبو بكر وعمر يستشيرانه ويعملان برأيه فقال: إنّ مثلي لا يكلّم مثلك فقلت: بأيّ أبويك ترغب عن كلامي بأبيك الوشيظ[2] أم بأمّك النابغة فقام من مكانه وقمت[3].

(١) تمعّر لونه عند الغضب: تغيّر.
(٢) الوشيظ: الأتباع والخدم والأجلاف ولفيف من الناس ليس أصلهم واحداً.
(٣) البحار: ٣٣/ ٣٠٠.

من تأريخ أبي موسىٰ الأشعريّ

وبّخ عمّار بن ياسر رضوان الله عليه أبا موسى الأشعريّ وعاتبه علىٰ تأخّره عن عليّ عليه السلام وقعوده عن الدخول في بيعته فقال له: ما الذي أخّرك عن أمير المؤمنين عليه السلام فوالله لئن شككت فيه لتخرجنّ عن الإسلام، وأبو موسىٰ يقول له: لا تفعل ودع عتابك لي فإنّما أنا أخوك فقال له عمّار: ما أنا لك بأخ سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يلعنك ليلة العقبة وقد هممت مع القوم بما هممت فقال له أبو موسىٰ: أفليس قد استغفر لي؟ قال عمّار: قد سمعت اللّعن ولم أسمع الإستغفار[1].

وقال سويد بن غفلة كنت مع أبي موسىٰ علىٰ شاطىء الفرات فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنّ بني إسرائيل اختلفوا فلم يزل الاختلاف بينهم حتّىٰ بعثوا حكمين يضلاّن ويضلّ من تبعهما.

فقلت: أعيذك بالله أن تكون أحدهما: قال سويد: فخلع قميصه وقال: برّأني الله من ذلك كما برّأني من قميصي[2].

(١) أمالي الطوسي: ١/ ١٨٤ ط بيروت.

(٢) انظر المناقب: ٢/٣٦٣ ط النجف.

قرار الحكمين

في دومة الجندل الّتي شهدت لقاء المكر والخديعة مع الغباء المطبق ليخرجا بقرار ينتظره المسلمون بل المغفّلون من المسلمين وأهل الباطل فيوجدوا الحياة الطيّبة في ظلّ معاوية!!

يا له من سخف جرّ الأُمّة إلىٰ مهاوي سحيقة ودمار شامل وتخلّف رهيب ابن العاص والأشعري بيدهما القرار والحلّ والعقد ويقعد عليّ عليه السلام في كوفته وقد حجزه عن تأديبهما حاجز القدر ومحنة الابتلاء وقصر المدّة وإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

وأقبل أبو موسىٰ إلىٰ عمرو فقال: يا عمرو هل لك في أمر هو للأُمّة صلاح ولصلحاء الناس رضا نُولّي هذا الأمر عبد الله بن عمر بن الخطّاب الذي لم يدخل في شيء من هذه الفتنة ولا في هذه الفرقة.

فقال عمرو: فأين أنت يا أبا موسىٰ عن معاوية ـ فأبىٰ عليه أبو موسىٰ.

فقال عمرو: ألست تعلم أنّ عثمان قتل مظلوماً ومعاوية وليّ عثمان وقد قال الله: ﴿**من قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليّه سلطاناً**﴾[1].

ثمّ إنّ بيت معاوية في قريش ما قد علمت وهو أخو أُمّ حبيبة أُمّ المؤمنين وزوج النبيّ صلى الله عليه وآله وقد صحبه وهو أحد الصّحابة ثمّ عرّض له بالسّلطان فقال له: إن هو ولّي هذا الأمر أكرمك كرامة لم يكرمك أحد قط بمثلها.

فقال أبو موسىٰ: اتّق الله يا عمرو فإنّ هذا الأمر ليس على الشرف إنّما هو لأهل الدّين والفضل مع أنّي لو كنت أعطيته أفضل قريش شرفاً لأعطيته عليّ بن أبي طالب وأمّا قولك إنّه وليّ عثمان فإنّي لم أكن أولّيه إيّاه لنسبه من عثمان وادع المهاجرين الأوّلين.

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ١٧.

وأمّا تعريضك لي بالإمرة والسّلطان فوالله لو خرج لي من سلطانه ما وليته ولا كنت أرتشي في الله ولكنّك إن شئت أحيينا سنة عمر بن الخطّاب.

فقال عمرو بن العاص: إن كنت إنّما تريد أن تبايع ابن عمر لدينه فما يمنعك من ابني عبد الله وأنت تعرف فضله وصلاحه!! فقال: إنّ ابنك لرجل صدق ولكنّك قد غمسته في هذهِ الفتنة.

وتمخّض اجتماعهما وتداول الأحاديث بينهما إلىٰ خلع عليّ ومعاوية ويجعلا الأمر شورىٰ بين المسلمين يختارون من يشاؤون.

فأقبلا إلىٰ النّاس وهم مجتمعون فتكلّم أبو موسىٰ فحمد الله وأثنىٰ عليه ثمّ قال: إنّ رأيي ورأي عمرو قد اتّفق علىٰ أمر نرجو أن يصلح الله به شأن هذهِ الأمّة فقال عمرو: صدق، ثمّ قال له: تقدّم يا أبا موسىٰ فتكلّم.

فقام أبو موسىٰ ليتكلّم فدعاه ابن عبّاس فقال: ويحك والله إنّي لأظنّه خدعك إن كنتما قد اتفقتما علىٰ أمر فقدّمه قبلك ليتكلّم به ثمّ تكلّم أنت بعده فإنّه رجل غدّار ولا آمن أن يكون أعطاك الرّضا فيما بينك وبينه فإذا قمت به في النّاس خالفك فقال: أيهاً عنك إنّا قد اتّفقنا.

فتقدّم أبو موسىٰ فحمد الله وأثنىٰ عليه ثمّ قال: أيّها النّاس إنّا قد نظرنا في أمر هذه الأمّة فلم نر شيئاً هو أصلح لأمر هؤلاء ولا ألمّ لشعثها من أن لا يبين أمورها وقد اجتمع رأيي ورأي صاحبي على خلع عليّ ومعاوية وأن يستقبل هذا الأمر فيكون شورىٰ بين المسلمين يولّون أمورهم من أحبّوا وإنّي قد خلعت عليّاً ومعاوية فاستقبلوا أموركم وولّوا من رأيتموه لهذا الأمر أهلاً ثمّ تنحّىٰ.

فقام عمرو بن العاص فحمد الله وأثنىٰ عليه ثمّ قال: إنّ هذا قد قال ما سمعتم وخلع صاحبه وأنا أخلع صاحبه كما خلعه وأثبت صاحبي معاوية في الخلافة فإنّه وليّ عثمان والطّالب بدمه وأحقّ الناس بمقامه.

فقال له أبو موسىٰ: ما لك لا وفّقك الله قد غدرت وفجرت إنّما مثلك كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث وإن تتركه يلهث.

فقال له عمرو: إنّما مثلك كمثل الحمار يحمل أسفاراً.

وحمل شريح بن هانيء علىٰ عمرو فقنّعه بالسوط وحمل ابن لعمرو علىٰ شريح فقنّعه بالسّوط وقام النّاس فحجزوا بينهما فكان شريح بعد ذلك يقول: ما

ندمت على شيء ندامتي أن لا أكون ضربت عمرواً بالسيف بدل السوط لكن أتى الدّهر بما أتى به.

والتمس أصحاب عليّ عليه السلام أبا موسى فركب ناقته ولحق بمكّة فكان ابن عبّاس يقول: قبّح الله أبا موسى لقد حذّرته وهديته إلى الرأي فما عقل وكان أبو موسى يقول: حذّرني ابن عبّاس غدرة الفاسق ولكن اطمأننت إليه وظننت أنّه لا يؤثر شيئاً على نصيحة الأمّة[1].

ورجع عمرو إلى منزله من دومة الجندل فكتب إلى معاوية:

أتتك الخلافة مزفوفة هنيئاً مريئاً تقرّ العيونا
تزفّ إليك زفاف العروس بأهون من طعنك الدّارعينا

وقام سعيد بن قيس الهمداني، وقال: والله لو اجتمعتما على الهدى ما زدتما على ما نحن الآن عليه وما ضلالكما بلازم لنا وما رجعتما إلاّ بما بدأتما به وإنّا اليوم لعلى ما كنّا عليه أمس.

وقام كردوس بن هانىء مغضباً وأنشد أبياتاً في الرّضا بخلافة عليّ عليه السلام وإنكار خلافة معاوية وحكم الحكمين وتكلّم جماعة أخرى بمثل ذلك[2].

ولمّا سمع عليّ عليه السلام قرار الحكمين اللذين خانا الله ورسوله والأمّة وداسا على مشاعر المسلمين وحطما بغدرهما وغبائهما صرح التاريخ الذي بناه رسول الله صلى الله عليه وآله والعدالة التي ثبّتها في دنيا المسلمين والّتي مثّلها عليّ عليه السلام وجسّدها في أعلى صورها أيام حكومته وما تخلّلها من محن وإحن ومعاناة. قام خطيباً فقال:

ألا إن هذين الرجلين الذين اخترتموهما قد نبذا حكم الكتاب وأحييا ما أمات واتّبع كلّ واحد منهما هواه، وحكم بغير حجّة ولا بيّنة ولا سنّة ماضية واختلفا فيما حكما فكلاهما لم يرشدا لله فاستعدّوا للجهاد وتأهّبوا للمسير[3].

ودخل المسلمون والمعنيّون بشؤون الإسلام مرحلة جديدة من الدّفاع عن الإسلام وأهله من مكر معاوية وخداعه.

---

(١) البحار: ٣٣/٢٩٧ بتصرف.

(٢) نفس المصدر السابق.

(٣) راجع نهج البلاغة: ٣٥ من المختار من خطبه.

اقرأ معاوية

احتفظ التاريخ لنا بثروة عظيمة من التقييم الدقيق حول المواقف والأشخاص، ولضرورة تقتضيها فترة من الزّمن طوينا عنها كشحاً، وكوننا نملك عليّاً وآل عليّ صلوات الله عليهم فهو كافٍ لنا لتعرية أعدائهم والواقفين بوجه حركتهم في دنيا الإسلام ولأنّ معاوية قد تزعّم حرباً ضد الإسلام وهو لا يمثل قاسماً مشتركاً بيننا وبين إخوتنا أهل السنّة فلهذا ارتأيت أن أوقف القارىء علىٰ نبذة مختصرة من تاريخه الأسود ففي المحاضرات للرّاغب قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام لا يموت ابن هند حتّىٰ يعلّق الصّليب في عنقه[1].

وقال مطرف بن المغيرة بن شعبة وفدت مع أبي المغيرة علىٰ معاوية وكان أبي يأتيه فيتحدّث معه ثمّ ينصرف إليّ فيذكر معاوية ويذكر عقله ويعجب بما يرىٰ منه إذ جاء ذات ليلة فأمسك عن العشاء ورأيته مغتمّاً فانتظرته ساعة وظننت أنّه لشيء حدث فينا وفي عملنا، فقلت: ما لي أراك مغتمّاً منذ اللّيلة فقال يا بنيّ جئت من عند أخبث الناس قلت وما ذاك قال: قلت له: وخلوت به أنّك قد بلغت سنّاً فلو أظهرت عدلاً وبسطت خيراً فإنّك قد كبرت ولو نظرت إلىٰ إخوتك من بني هاشم فوصلت أرحامهم فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه فقال هيهات هيهات ملك أخو تيم فعدل وفعل ما فعل فوالله ما عدا إن هلك فهلك ذكره إلاّ أن يقول قائل أبو بكر ثمّ ملك أخو بني عدي فاجتهد وشمّر عشر سنين فوالله ما عدا أن هلك فهلك ذكره إلاّ أن يقول قائل عمر ثمّ ملك عثمان فهلك رجل لم يكن أحد في مثل نسبه وفعل ما فعل وعمل به ما عمل فوالله ما عدا أن هلك فهلك ذكره وذكر ما فعل به وأن أخا بني هاشم - يعني محمّداً صلى الله عليه وآله - يصاح به في كلّ يوم خمس مرّات أشهد أن محمّداً رسول

---

(١) المحاضرات للراغب: ص١٤٠.

الله فأيّ عمل يبقىٰ بعد هذا لا أُمّ لك لا والله إلاّ دفناً دفناً[1].

وذكر ابن الأثير في الكامل: أراد معاوية في سنة خمسين من الهجرة أن ينقل منبر رسول الله ﷺ من المدينة إلى الشام فأعظم الناس ذلك فتركه[2].

وقال رسول الله ﷺ إذا رأيتم معاوية علىٰ منبري يخطب فاقتلوه[3].

وقال معاوية حين سمع المؤذّن يقول: أشهد أن لا إله إلاّ الله وأشهد أنّ محمّداً رسول الله لله أبوك يابن عبد الله لقد كنت عالي الهمّة ما رضيت لنفسك إلاّ أن تقرن اسمك باسم ربّ العالمين[4].

ومن أراد المزيد فليراجع تاريخ الطبري في سنة ٦٠ للهجرة يجد أنّ هذا الرجل الذي خدع الخلفاء الثلاثة أو هم من وراء خطّة بيتتها اليهودية والمستشارون الدخلاء في بيوتهم أنّه قد اتّخذ الشام منطلقاً لحركته في اتجاه تدمير الروح الإسلامية والكيان الإسلامي وتحويل ذلك أو جرّه إلىٰ سلطان مثل سلطان كسرىٰ وقيصر.

والغريب لم يقف بوجهه تلك الوقفة العارفة الصمود إلاّ أبناء مدرسة الإمامة لعرفانهم بخطره علىٰ الحياة الإسلامية.

---

(١) كشف الغمة: ٢/ ٤٤.

(٢) تاريخ الطبري.

(٣) البحار مجلد ٨ ص٥٦٥.

(٤) نفس المصدر.

٢ ـ المارقون

حركة الخوارج:

فهذا إستعراض مجمل لحركة الخوارج أولئك الذين شغلوا الحياة الإسلامية بحروبهم وآرائهم الّتي لم تَقُم علىٰ أساس.

إلاّ أنّ الجهل الحرون والغباء المطبق عند قطّاعات من الأمّة راحت تشدّ لهم العضد بدافع من الإنتصار للروح القبلية والحقد الملتاث علىٰ الكيان الإسلامي.

ونحن نقرأهم علىٰ صفحات تاريخنا الإسلامي نتوءاً فاسداً وظاهرة منكرة وردّة عن الدِّين ومروقاً منه واضحاً.

علينا أن لا يمرّر المنافقون من خلال حياتنا التي تشهد نعاساً قاتلاً ما تلين له القلوب وتقبل إليه النفوس من مظهر جذّاب يوحي بالتديّن والالتزام كما كان المارقون كذلك فيما الإنطواء علىٰ نوايا خبيثة وسعاد محموم ضدّ العقيدة.

ولن يحصّن قواعدنا من اللّهاث خلف المظهر إلاّ الوعي المعمّق الذي يأخذ من الحقّ مقياساً ومن التاريخ درساً وعبرة:

وما هذه الصفحات التي كتبت بعجالة وفي أوقات متفاوتة إلاّ نقطة في طريق الوعي والتثقيف العام.

أسأل الله تعالىٰ أن يجعلها خالصة لوجهه الكريم ووسيلة إلىٰ المزيد من القرب في رحاب الحقّ الذي يمثله عليّ عليه السلام وآل عليّ صلوات الله عليهم أجمعين.

والحمد لله ربّ العالمين.

إلماحة سريعة

حركة الخوارج وليدة قضية التحكيم في صفّين، وإن كانت هناك دوافع لها وجذور كانت تعيش في نفسية بعض القائمين علىٰ هذه الحركة إلاّ أنّ الإعلان عن الخروج بشكله الرسمي كان بعد التحكيم.

وأنت تنظر بوجوه البعض منهم تجدهم من شيعة عليّ عليه السلام الذين ذهبت بهم فتن الحياة وألقتهم في هذا المكان الوبيء. وكما أنّ أغلبهم كانوا قد شاركوا عليّاً حربه مع معاوية، ولمّا لم يكن وعي قائم علىٰ مماشاة القرار الذي يصدره عليّ عليه السلام فيما هي الأزمات الحادثة القاهرة والوضع الاستثنائي المريع الذي من خلاله يغيّر الإمام عليه السلام خطّة حربه وحركته باتجاه آخر لم يكن لديهم ما يعينهم علىٰ الصّبر والتوأدة.

فهم في الوقت الذي أنشأوا جسور الدماء والأضاحي وكان النصر قاب قوسين أو أدنىٰ إذا هم أمام أحابيل رفع المصاحف وتحكيم كتاب الله تعالى فإنثنىٰ العزم وسكنت الأنفاس أمامه، فأجبروا القائد علىٰ التحكيم وإن لم يقبل فإنّهم صانعون به مثلما صنعوا بالخليفة الذي قبله عثمان!!

وأريد منه كما أريد من طرفه المقابل معاوية أن يعيّنا حكمين فعيّن معاوية عمرو بن العاص الرجل المخادع اللّعوب المعروف بدهائه ومكره.

وعيّن عليّ مالك الأشتر قائد جيشه فرفضه المحكّمة فاستبدله بابن عبّاس فرفضوه بحجّة أنّ هؤلاء قد شاركا في الحرب ولهما السهم الوافر فيه وهما قريبان من الخليفة فكراً وروحاً[1].

فاختاروا أبا موسىٰ الأشعريّ الرجل الموادع الضعيف الذي عرف منذ أوّل

---

(١) لمزيد الإطّلاع في ذلك راجع الفتوح لابن أعثم: ١٩٤/٤.

يوم دخل الإسلام ببغضه لعليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وكان له مقاماً حسناً عند الخلفاء!!

وهو الذي قام بعملية التثبيط في أهل الكوفة يوم انتفض الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ ليقاتل الناكثين. وهكذا لم يكن له نصيب في الحياة ولا إستعداد لخدمة الإسلام إلاّ من خلال إحياء سنّة عمر!! الّتي تقضي بإحترام كلّ من عاش في ظلّها كمعاوية وعمرو بن العاص وبعض مفاصل النفاق في الأقطار الإسلامية الأخرىٰ!!

فإختاروه دون سواه لينفّذ الخطّة المرسومة له من قبل وإن توزّعت الأدوار وتنوعت الأساليب في الوقوف بوجه عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ إلاّ أنّ الهدف واحد في إسقاطه والحيلولة دون أن يقوم ولو قليلاً.

وهؤلاء الغفّل من الناس البلهاء الذين أخذهم موج الفتنة والإعلام المضادّ بعضهم رجع إلىٰ الصفّ وبعضهم مرض قلبه وقسىٰ فبقي علىٰ مروقه.

وهكذا حتىٰ آل بهم الأمر أن يكفّروا عليّا ويأمروه بالتوبة من ذنبه.

* * *

والذين كانوا علىٰ رأس الفتنة تقرأ في ثنايا هذه المحاولة البسيطة جذورهم وكيف أنّ الإعداد من قبل اليهود في المدينة والدور الصليبي لهما ـ اللذان صنعا هذه الموجودات في لباس إسلاميّ مموّه.

وأنت تعرف أنّ العرب وهم جديدو عهد بالحضارة والعلم وأهل عصبيّة وفخار بالماضي فلم يزح الإسلام كلّ هذا الرّين من قلوبهم ولم يقو علىٰ خلق أمّة متفقة الإسلوب حضارياً ومتوحدّة الرؤىٰ والتصورات.

أضف إلىٰ أنّ بعض الوجودات أفراداً أو جماعات دخلت الإسلام حفاظاً علىٰ وضعها الشخصي والقبلي لأنّ الإسلام جاءهم بقوّة وهو يحمل إصراراً توحيدياً هائلاً.

وكم زرع اليهود في طريق دعوته الأشواك فلم يفلحوا فكان لهم خطّة إحباطه من داخله وإضعاف قواه من وراء صفوفه، فصنعوا علىٰ أعينهم بعض الأفراد والجماعات فأشار القرآن إلىٰ صفاتهم وهدّدهم في عقر ديارهم ولأنّ الحياة ساحة فيها الهدىٰ والضلال والخير والشرّ والمسيرة مستمرة لا تلوي علىٰ شيء فإن للإسلام قواه ونفوذه في الذين هدىٰ الله وهم المدافعون عنه والذائدون دون حياضه.

وما هذه الحركة حركة الخوارج وما سبقها إلاّ مفردات واضحة لمن القىٰ السّمع وهو شهيد لصراع دفين قادته اليهودية ضدّ الإسلام من خلال أبناءه المستسلمين أو المغرّر بهم وهم أغلب القواعد الّتي تحرّك بهم القادة في غياهب هذه الفتنة.

ثمّ تلحظ أنّ هذه الفئة الّتي مرقت من الذّين اتجهت رأساً إلىٰ تأويل القرآن كمنطلق لتسويغ أفكارها حيث أنّ تأويله أضحىٰ قضية يُرتكن إليها بعد وفاة رسول الله ﷺ.

ومن المعلوم أنّ علياً عليه السلام هو القائم الوحيد علىٰ تأويله بنصّ من رسول الله وإرشاد منه وما عليه أمير المؤمنين من علم جمّ في هذا الإتجاه.

فبنوا قواعدهم في الفقه وأصول تفكيرهم علىٰ تأويله بما يتفق والخط العام لمخالفة الإسلام في جوهره ومقاصده في توحيد الفهم عن الدين وأحكامه.

ثمّ فليبرز كيان باسم الإسلام مشوّه ذهنياً ولتتضارب المذاهب وتكثر الآراء وكلّ حزب بما لديهم فرحون، وليتمكّن أعداء الإسلام منه من أقرب الطرق.

ولنا أن نتوقف عند كلام للأشتر بعد أن أجبر علىٰ ترك القتال لنرىٰ كم لهؤلاء أهل الجباه وقرّاء القرآن من مظهر يخبر عن الصلاح ومخبر ينطوي علىٰ الفساد فيما هو الإغترار بهم في مظهرهم والتي كشف مخبرهم موقفهم في إنهاء القتال وقبول التحكيم في شعار ظاهره الدين وباطنه الإرتداد وهو أن لا حكم إلاّ لله.

يقول مالك: يا أصحاب الجباه السود كنّا نظنّ صلاتكم زهادة في الدنيا وشوقاً إلىٰ لقائه تعالىٰ فلا أرىٰ فراركم إلاّ إلىٰ الدنيا من الموت يا أشباه النيب الجلالة قبحاً لكم ما أنتم برائين بعدها عزّاً أبداً فابعدوا كما بعد القوم الظالمون[1].

ولكي يقوىٰ لهم الجانب في المجتمع الإسلامي اتخذوا كثرة العبادة سبيلاً أضف إلىٰ أنّ هذا المظهر لو تفشّىٰ في الحياة وأصبح المسلم يقيّم علىٰ أساسه فيعني ذلك إنحسار الإسلام كقيمة علياً ومثل أرقىٰ ومنهج كامل ثابت وعزله عن الواقع الإجتماعي والسياسي وإيداعه مريضاً بائساً ناعساً في جوامع المسلمين.

---

(١) بهج الصباغة: ٧/ ١٦٧ نقلاً عن الطبري.

وللملاحظ في طريق الفتن الّتي مرّت على المسلمين لم يكن ضحيتها إلاّ أولئك الوادعين الحالمين في غيبوبة العبادة والتهجّد، والذين لا يرون الإسلام إلاّ في هذا الإتجاه لأنّه العمل الذي ليس من ورائه ضريبة في المال أو النفس!!

فالإسلام حركة في الواقع وإنقطاع وتوجّه رائد فلن نأخذ منه ما نتطبع عليه ونترك بعضاً لأنّنا ضعفاء حياله. فنحاول أن نؤسلم واقعنا المريض عبر تبريرات ومسوغات شرعية في أغلب الأحيان.

* * *

وتأكّد هذا الإتجاه في حياة الكثيرين منهم حتىٰ أصبح لهم رمزاً واضح المعالم ذلك أنّ حركة الخوارج كان يتوزعها طرفان.

الأوّل: المنافقون والذين إرتدوا الثوب الإعلامي خوفاً علىٰ أنفسهم من هديره القاصف يوم دخل النبيّ مكّة، وكانوا فيها يدبّرون الأمور للإطاحة به، ولمّا لم يجدوا إلىٰ ذلك سبيلاً دخلوا فيه بوجه وتركوا الوجه الآخر فيما يعتقدونه وما تكنّه نفوسهم[1].

الثاني: المؤمنون السطحيون الذين تشرأب أعناقهم لكلّ صيحة فيها إسم مقدّس أو عنوان مقدّس بدون أن يعرفوا الخلفيات ويدرسوا الدوافع لهم ظاهر الحال كما يقال.

وهؤلاء السطحيون يشكّلون خطراً علىٰ حالة الوعي الجديدة التي خلقتها الدعوة.

كما أنّهم المادة الخام لحركة النفاق الّتي يقودها أعداء الدين في أي وقت شاءوا وأي مكان إختاروا.

فما أسهل علىٰ أهل اللّياقات والألوان المتعدّدة أن يعتمدوا الوسائل ويصطنعوا الأحابيل ويلبسوها اللّباس الإسلامي المرقّع ويخرجوها إلىٰ واقع هؤلاء السطحيّن وهي تحمل المفردة الدينيّة الواضحة كما فعلوها في رفع المصاحف

---

(١) أمثال ذلك الأشعث بن قيس المرتدّ عن الدين وتزعم هو حركة الإرتداد عند بعض القبائل المرتدّة وارغم علىٰ الاستسلام فيما عفىٰ عنه أبو بكر وارجع إليه زوجته أم فروة بنت أبي بكر، انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١/ ٢٩٥.

وتحكيم القرآن. ليجرّوهم إلىٰ مواقعهم ويجنّدونهم ضدّ الإسلام.

* * *

ولمن ينظر كيفيّة التحولات الّتي عصفت بروح النصر والإقتدار التي كان عليها جيش العراق يرىٰ الإتفاق واضحاً بين مفاصل النفاق في هذا الجيش وبين الحاضن المربي لهذه المفاصل وهو معاوية.

ولمن ينظر إلىٰ الإطروحة الجامعة الّتي طرحها الخوارج في شعارهم الذي وقعوه أن لا حكم إلاّ لله، وإفتراضهم أن يتوب عليّ عليه السلام ومعاوية من خطيئتهما يجد أيضاً أنّ الأمر مبيّت لعليّ عليه السلام حيث أنّ معاوية بعد أن تضع الحرب أوزارها يملك قاعدة أقوىٰ من عليّ عليه السلام وهم أهل الشام الذين عرفوا بولائهم الشديد له والمنافقون في كلّ مكان من أمكنة العالم الإسلامي فيما هي اليهودية الّتي تخطّط وتهيىء الأرضية المناسبة في كلّ موقع ومساحة وتقدّم لهم ما يحتاجونه في حركتهم ضدّ عليّ والإسلام.

أضف إلىٰ أنّ الحالة العشائرية والقبلية قد أعيدت بشكلها القديم وكهيئتها يوم كانت أعرافها وقيمها ديناً.

وهي بالتالي تخدم معاوية من موقع المحافظ الوحيد علىٰ روحها وهيكلها وهو المطرب علىٰ أوتارها والعازف الوحيد الذي يستفيد منها عندما يريد عليّ عليه السلام كما هو الحال أن يردّ الناس إلىٰ دين السماء ويسوّي الأرض والإنسان وفق متبنيات هذا الدين.

فحين يطلب من عليّ عليه السلام أن يتوب ذلك أمر لا يمكن أن يكون وإذن يبقىٰ المطلب ساري المفعول فيما هو المسوغ الذي تقوم عليه حرب الخوارج علىٰ عليّ عليه السلام وهكذا كان.

* * *

ومن المفارقات العجيبة في هذه الحركة المارقة أنّ الذين دفعوها إلىٰ هذا الموقف النازف فيما هو الاستئصال من الجذور والمطاردة الّتي لا تبقى ولا تذر بقوا هم محافظين علىٰ مواقعهم ولم يدخلوا معها في الحرب لا لعدم إيمانهم بها بل لأنّ هدفهم المركزي قد تحقّق وهو خلع عليّ عليه السلام من الخلافة وإسقاط هيبتها عند جمهور الكوفة وغيرها.

ولهذا رأينا أن معاوية بعد التحكيم مباشرة والانشقاق الذي أحدثه الإرتجاع والردّة لم يكن بالذي يرجع المياه إلىٰ مجاريها الطبيعية أو أنه يبقىٰ منتظراً إنتهاء الفترة المزمع فيها إيقاف القتال وشنّ الغارات.

بل عمل بما يعكّر الأجواء ويرعب الناس ويهدّد القبائل الآمنة وقد تعرّض شيعة عليّ عليه السلام في كلّ مدنهم إلىٰ القتل والسلب والتهديد.

وهذا ممّا أربك الخلافة في الكوفة وجمهورها الموزّع ممّا فكّر عليّ عليه السلام في إعادة الحرب ثانية ليشغل معاوية عن شنّ غاراته، ويفوّت الفرصة علىٰ مفاصل الردّة ممّا تعطي إعادة الحرب مع معاوية عنواناً آخر وإسلوباً يختلف عن سابقه ولعلّ الله من وراء ما وضع الإمام عليه السلام من تخطيط محكم أن يشلّ وإلىٰ الأبد هذا الموج الآثم المرتدّ.

وبمجرّد أن استخبر معاوية بهذه النيّة عمل وبقوّة مع الرؤوس المارقة عبر وسائله المعروفة أن يشوشوا علىٰ عليّ عليه السلام الكوفة ويربكوا عليه سيره فيها ويعملوا وفق ما كانوا يعتقدون وهو الموقف من الكافرين كما يرون علياً وأصحابه.

ولهذا فمعاوية لم يخسر يوم نزفت دماء الخوارج بل هو الرابح في خسران عليّ عليه السلام هذا العدد الهائل الذي كان معه في الجمل وصفّين.

* * *

وأنت خبير أن من لا حظّ له في دنيا الإسلام ولا إرتقاء في مبادئه ومفاهيمه فإنّه يظل يخاتل الحياة ويتشبث بالسقطات والدنايا.

فهؤلاء المارقة الذين صفّاهم عليّ عليه السلام في النهروان بوحي منهم وإرادة وطلب وإلاّ فعليّ دعاهم إلىٰ قتال معاوية من جديد فرفضوا ذلك وأبوا عليه إلاّ مقاتلته فكانت لهم هذه النهاية المروعة والمصير المشؤوم. وبقيت لهم حثالة توزّعوا في البلدان وجمعوا لهم أنصاراً ومريدين مستفيدين من إثارة النعرات الجاهلية والثأر للدماء التي سفكها عليّ في النهروان ـ دماء إخوانهم وأبناء قبائلهم ـ وكانت هذه المناداة تحمل الكثيرين ممّن عمي قلبه وتبلّد ذهنه علىٰ الالتحاق بهم.

فكان أشرس بن عوف الشيباني أوّل من رأسوه عليهم بعد وقعة النهروان فحارب جند عليّ في الدسكرة في مائتين ثمّ سار إلىٰ الأنبار فوجّه إليه عليّ عليه السلام في ثلاثمائة فواقعه فقتل أشرس.

كما أنّ هلال وابن علقمة كانا علىٰ رأس مئتي رجل من الخوارج فتلاقيا باسبذان. وزحف أبو مريم التميمي علىٰ الكوفة وتقاتل مع جند الإمام فقتل هناك[1].

ثمّ خرج الأشهب أو الأشعث بن بشر من بجيلة فوجّه إليه عليّ جيشاً فتقاتلا بجرجرايا من أرض جوخىٰ فقتل الأشهب.

ثمّ خرج سعيد بن قفل التميمي بالبندينجين فخرج إليهم جماعة عليّ عليه السلام فقتلوهم[2].

وأظهر الخرّيت بن راشد الخلاف علىٰ عليّ عليه السلام ومعه مجموعة لصوص وبطّالين فأهلكهم جماعة عليّ عليه السلام وبدّدوا شملهم[3].

هذا من أمرهم مع عليّ عليه السلام بعد النهروان.

وأمّا ما كان من أمرهم مع معاوية والدولة الأموية والعبّاسية فذاك ما قد أوجزنا فيه الكلام إلىٰ حدّ الإختصار والإقتصار علىٰ حروبهم مع المهلّب بن أبي صفرة لأنّ علىٰ يده انتهىٰ ما لهم من جذوة وتوقّد وأصبحوا فيما بعد سلاّبين وقطّاع طرق وإنتهت المبادىء والعبادة إلىٰ هذا المستنقع الآسن.

وبالجملة فقد ربح المخطّط فترة حتّىٰ علىٰ حساب استقرار الدولة الأموية والعباسية فيما هو اشتغالها بهم وهو شغل شاغل عمّا يرومه أهلُ الغيرة علىٰ الدين والمقالع المهمّة في الحياة الإسلامية من استئصال جذوة اليهود وتمكين الدين في كلّ الأرض.

* * *

فإذا آمنّا بأنّ المحرّك لهؤلاء هم المنافقون ومن ورائهم اليهودية العاملة في الخفاء ونحن إذ لا نفرّق بينهم وبين السلطات الّتي تعاقبت علىٰ حكم المسلمين من حيث التوجّه أو الإسترخاء في أكثر من موقع أمام هذا الوجود الأثيم.

إذن لماذا خرج المارقون عن الدّين علىٰ هاتين الدولتين الأموية والعباسية وأزعجتهما حتّىٰ وقع السيف عليهم؟

---

(١) أنظر الكامل في التاريخ: ٣/٣٦٧.
(٢) أنظر أعيان الشيعة للأمين: ١/٥٢٥.
(٣) لمزيد الاطلاع وبشكل تفصيلي راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١/٥٩٠.

إنّ المتتبع جذور هؤلاء وانحدارهم القبلي يجزم جميعاً من العرب الأقحاح الذين ملئوا الحياة العربية عروبة قائمة علىٰ السيف وعلىٰ الإحتفاظ بالكيان العربي فهم من تميم وحنيفة وربيعة وحسبك بهنّ الأمهات الحاضنات للمنطق العربي المبين.

ثمّ إنّ العرب بصفاءهم الذي أخذوه من صفاء الجزيرة وبراءتهم في التعامل مع الحياة لن يجدوا ضيقاً في حياة مفتوحة إلىٰ إيجاد حكومة مركزية تنضم لهم أمورهم وتوحّدهم في أماكنهم وتكتب لهم إسماً في قاموس الحضارة الكبير.

فلمّا أن جاء الإسلام وفرض نفسه بديلاً حضارياً انفتحت له قلوبهم، لا بإعتبارهم بمستوىٰ فهم مبادئه وهضم اطروحاته في مجالات الحياة المتعدّدة.

بل باعتبار رسوله العربي الذي ملأ آفاق الدنيا نزاهة وطهراً وأمانة وصدقاً وأريحية.

والإنسان العربي بطبعه الثابت ميّال إلىٰ هذه الشمائل والخلال فوضعوا أياديهم علىٰ يده للنهوض بأعباء هذه الرسالة العادلة.

وإنكفأ آخرون بفعل الجهل الجاثم الذي لم تحرّكه الحياة وتبدّلاتها السريعة.

فالذي مشىٰ مع الرسالة في رحابها استساغ حياتها لأنّها قد ناغمت مشاعره وأيقظت فيه روحاً لم تكن من ذي قبل هي دافعة له في دروب الحياة كرجل حضارة وصاحب قضية.

فاشتغل معها ردحاً من الزمن حتّىٰ إذا رست سفن أحداثها إلىٰ ما بعد رحيل المصطفىٰ إلىٰ ساحل الخلافة فقدت نورها النبويّ وقوّتها المحمدية وصمودها الرسالي فرجع من رجع عن الإسلام وظهرت في أفق الحياة سحب الردّة عن الدِّين فتهيأ لها عزم الخليفة الأوّل في إطاره كخليفة وكإنسان يمثّل شريحة عربية فرتق الفتق وحلّ المشكل، ولكن بقيت في نفوس العرب من أمثال هذه القبائل الرّبعية وأنّ المستفيد من الوضع بشكل عام هي القبائل المضرية.

إذن كان يفترض أن تتولّىٰ شرائح عربية أخرىٰ الإمامة والخلافة كما هو الرأي الدفين الذي تحمله عقليات عربية ربعية.

وبات اشكالهم علىٰ أنّ الزعامة في قريش أمراً لا يمكن أن يستمر بدون أن تثار بوجهه العراقيل وتوضع في طريقه العقابيل.

ولقد أثار هذا الدفين عمر بن الخطّاب أواخر حياته ـ وهو المعروف بإثارته وإن لم تجني نفعاً له أو لقوميته ـ حيث قال:

«لو كان سالم مولىٰ حذيفة حياً ما عدوته»[1].

وهذا يعني بداية لتثوير القطاعات التي تكمن في نفسها عدم المشاركة في الحكم والتي تعيش كما أراد لها مبدأ حصر الخلافة في قريش علىٰ طول الطريق رعية وقاعدة.

ولهذا كلّه فقد فكّر المخططون لهذا التجمع المارق أن يثور علىٰ كلا الطرفين عليّ ومعاوية.

وقد كان الخوارج في بدأ أمرهم لم يكونوا بالمستوىٰ المطلوب من الحنكة السياسية بقدر ما كانوا أناساً علىٰ مستوىٰ محدود من الفهم السياسي الذي يقوم علىٰ رفض التحكيم فقط.

وفيما بعد تحرَّكت عندهم هذه المبادىء من تكفير عليّ عليه السلام وعثمان وطلحة والزبير وعائشة ـ وإعفاء الخليفتين أبي بكر وعمر باعتبارهما أنّهما منتخبان شعبياً ولم يخرجا عن الجادّة الّتي فيها مصلحة الإسلام والمسلمين كما ظهر علىٰ عثمان حيث ولّىٰ الفاسقين لا لشيء إلاّ لأنّهم من أهله وقبيلته. وعليّ الذي رضي بالتحكيم وتنازل عن إمرة المؤمنين ولو لفترة.

ولهذا نجد الخوارج قد إنعكست علىٰ متبناهم الفكري والفقهي فيما بعد ما كانوا عليه في أيّامهم الأولىٰ. وما قتالهم الأمويين وغيرهم إلاّ علىٰ هذا الإعتبار القبلي الذي شجّع علىٰ إظهاره وإبرازه مروقهم من الدين بادىء الأمر.

ولم يتمكّن معاوية وأمثاله من أن يوقفوا هديرهم بوجهه وبوجه الأجيال من بعده، لأنّ ما يعتقدونه من موقعهم كعرب معزولين عن الحياة السياسية يعتقدون أيضاً أنفسهم الآن مسلمين علىٰ طريقتهم الخاصّة.

وكلا الإتجاهين في التفكير لا ينسجم والحالة الأمويّة والعباسية.

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١/ ٦٤٩.

إشارات وتنبيهات نبوية

النبيّ الأكرمﷺ فوق ما علّمه الله البيان والقرآن فصّل له عبر الوحي الأمين ما أجمله في كتابه، وفتح له آفاق الحياة فرآها بمفرداتها إلىٰ أن تقوم الساعة.

وقد علّمهﷺ عليّاً وفاطمة وتوارث أئمة أهل البيتعليهم السلام هذا العلم الإلهي تبعاً.

وقد أكّد لنا القرآن أنّ ما يقوله النبيّ ويتفوّه به فهو وحي يوحىٰ علّمه شديد القوىٰ، وما ينطق عن الهوىٰ إنّه رسول نبيّ كريم.

إذن هذه التركة الضخمة من الإخبارات الغيبية لهي معلم من معالم ثقافتنا الإسلامية وهي شارة صدق في دروب المعرفة والتفكير والتحليق في رحاب الغيب، والإنفتاح علىٰ نواميس الكون، وما فيه من الغاز ورموز ولا يدرك حلّها إلاّ هو وأهل بيتهعليهم السلام.

وهي كذلك إسلوب من أساليب الدعوة إلىٰ الدّين لمن تخلق هذه الإخبارات في روحه إثارة وتومض في وجدانه ومضة.

وقد إستلم عليّعليه السلام هذه الثروة الهائلة من الإشارات الصادقة والتنبيهات الندية ومشىٰ علىٰ هدي ما فيها بدون أن تتخلل بينها وبين إيمانه بها ووضوحها لديه تطوّر الزمن وتبدّلاته وكثرة أحداثه.

فأحداث النهروان واضحة جلية يعرف فيها أشخاصها المفتونين وما سيؤول من أمورهم وبالتالي فهو يتحرّك علىٰ اتجاهين.

الأوّل: الخزين الغيبي الذي ألفه وتلقّاه من معلم مدرسته النبيّ الأعظمﷺ.

الثاني: الحركة علىٰ أساس خطّة العمل الذي يجمع علىٰ أصولها المسلمون فما رواه عن النبيّﷺ قال:

إذا حدّثتكم عن رسول الله ﷺ فلأن أخرّ من السّماء أحبّ إليّ من أن أكذب على رسول الله ﷺ وإذا حدّثتكم فيما بيننا عن نفسي فإنّ الحرب خدعة وإنّما أنا رجل محارب سمعت رسول الله ﷺ يقول: يخرج في آخر الزمان قوم أحداث الأسنان سفهاء الأحلام قولهم من خير أقوال أهل البرية صلاتهم أكثر من صلاتكم وقراءتهم أكثر من قراءتكم لا يجاوز إيمانهم تراقيهم يمرقون من الدّين كما يمرق السهم من الرّمية فاقتلوهم[1].

وقد تواترت الأخبار عنه ﷺ في ما وعد الله تعالىٰ قاتلي الخوارج من الثواب فعلىٰ لسانه ﷺ بينا هو يقسم قسماً جاء رجل من بني تميم يُدعىٰ ذا الخويصرة.

فقال: أعدل يا محمّد.

فقال: قد عدلت.

فقال له ثانية: أعدل يا محمّد فإنّك لم تعدل.

فقال ﷺ: ويلك! ومن يعدل إذا لم أعدل!

فقام عمر بن الخطّاب فقال: يا رسول الله إئذن لي أضرب عنقه.

فقال: دعه فسيخرج من ضئضيء[2] هذا قوم يمرقون من الدّين كما يمرق السهم من الرّمية ينظر أحدكم إلىٰ نصله فلا يجد شيئاً فينظر إلىٰ نضّيه[3] فلا يجد شيئاً ثمّ ينظر إلىٰ القذذ[4] فكذلك سبق الفرثَ والدّم يخرجون علىٰ حين فرقة من النّاس تحتقر صلاتكم في جنب صلاتهم وصومكم عند صومهم يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم آيتهم رجل أسود مخدج[5] اليد إحدىٰ يديه كأنّها ثدي إمرأة أو بضعة تدردر[6].

ولمّا دارت الدائرة علىٰ أهل النهروان وكان فيهم ذو الثدية فطلبه عليّ عليه السلام طلباً حثيثاً وقلّب القتلىٰ ظهراً لبطن فلم يقدر عليه فساءه ذلك وجعل يقول:

والله ما كذبت ولا كذّبت إطلبوا الرجل وإنّه لفي القوم.

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢/ ٢٦٧.

(٢) ضئضيء: جنس.

(٣) النضّي: القِدْح وهو السهم قبل أن ينصل ويريش.

(٤) القذّة: ريشة السهم.

(٥) مخدج اليد: من أخدجه الله إذا نقص عضواً منه.

(٦) تدردر: أي ترجرج تجيء وتذهب أنظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢/ ٢٦٦.

فلم يزل يتطلبه حتىٰ وجده وهو رجل مخدج اليد كأنها ثدي في صدره[1].

ولمّا أخبرت عائشة بأنّ علياً عَلَيْهِ السَّلَامُ قتل ذا الثدية قالت: لعن الله عمرو بن العاص فإنّه كتب إليّ يخبرني أنّه قتله بالإسكندرية ألا إنّه ليس يمنعني ما في نفسي أن أقول ما سمعته من رسول الله ﷺ يقول: «يقتله خير أمّتي من بعدي»[2].

وكان النبيّ ﷺ قد أخبر علياً أنّك ستقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين وهي من دلائل نبوّته.

وكان النبيّ ﷺ أيضاً قد أخبر بأنّ هؤلاء سيقتلون أهل الإسلام ويقيمون السيف فيهم ويحرّمون قتل كلّ من إنتمىٰ إلىٰ اليهود أو إلىٰ النصارىٰ أو إلىٰ المجوس وعلىٰ هذا شهد لهم بالمروق من الدّين كما يمرق السهم من الرّمية[3].

ولقد رأيناهم لمّا انصرفوا عن رايات عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ هدّدوا الناس بالقتل فأتت طائفة منهم علىٰ النهر إلىٰ جنب قرية فخرج منها رجل مذعوراً آخذاً بثيابه فأدركوه فقالوا له: أأرعبناك؟

قال: أجل.

فقالوا: قد عرفناك أنت عبد الله بن خبّاب صاحب رسول الله ﷺ.

قال: نعم.

قالوا: فما سمعت من أبيك يحدّث عن رسول الله ﷺ.

قال: إنّ رسول الله ﷺ قال:

«إنّ فتنة جائية القاعد منها خير من القائم».

وقال: «إنّ طائفة تمرق من الدّين كما يمرق السهم من الرّمية يقرؤن القرآن صلاتهم أكثر من صلاتكم».

فضربوا رأسه فسال دمه في النهر ما إذ قرّ ـ أي ما اختلط بالماء ـ كأنّه شراك.

ثمّ دعوا بجارية له حبلىٰ فبقروا عمّا في بطنها[4].

---

(١) بحار الأنوار: ٣/ ٣٥١.

(٢) أنظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢/ ٢٦٨.

(٣) أنظر الفصل لابن حزم: ٣/ ١٨٩.

(٤) بحار الأنوار: ٣٣/ ٣٤٥.

وقد أرشد النبيّ ﷺ جمعاً من أصحابه ووعوا بعضهم إرشاده ودرسه وهو الأمر بقتالهم تحت راية من يقاتلهم علىٰ تأويل القرآن وهو عليّ عليه السلام قال عمّار. أمرني النبيّ ﷺ بقتال الناكثين وقد فعلت وأمرني أن أقاتل القاسطين فأنتم هم وأصحابك ـ يشير إلىٰ عمرو بن العاص ـ وأمّا المارقين فما أدري أدركهم أم لا[1].

وعن محمّد بن سليمان قال: قدم علينا أبو أيّوب الأنصاري فنزل ضيعتنا يعلف خيلاً له فقلنا: قاتلت المشركين ثمّ جئت تقاتل المسلمين فقال:

إنّ النبيّ ﷺ أمرني بقتال القاسطين والمارقين والناكثين فقد قاتلت الناكثين والقاسطين وإنّا إن شاء الله بالنهروانات وما أدري أنّىٰ هي[2].

ويحدثنا المسيّب بن نجية يقول: لمّا أتانا سلمان قادماً تلقيناه ـ إلىٰ أن قال ـ ثمّ سار حتّىٰ إنتهىٰ إلىٰ حروراء فقال: ما تسمّون هذه الأرض قالوا حروراء.

فقال: خرج بحروراء شرّ الأولين ويخرج بها شرّ الآخرين[3].

هذه إضمامات نبويّة وإشارات نابهة يضعها لنا رسول الله ﷺ كما وضعها لأصحابه في طريق المعرفة من أجل أن نصل إلىٰ الحقّ من طريق الحقّ ولئلاّ تشطّ بنا الخطىٰ في وسط الطريق كما إنكفأ من لا حظّ له في الدنيا ولا نصيب له في الآخرة فاختار غير طريق أمير المؤمنين عليه السلام. فهي بواعث أمل ودلائل واضحة ثبّتنا الله عليها إلىٰ آخر نفس في الحياة.

---

(١) صفّين لنصر بن مزاحم المنقري.

(٢) رجال الكشّي:

(٣) رجال الكشّي:

إشارات وتنبيهات علوية

عليٌّ عليه السلام واحد من أولئك المتألهين عبر الزمان من أنبياء وأوصياء وعباد صالحين بل فاقهم في هذا الإتجاه، ومن يعش مع الله تعالىٰ يفتح الله له قلبه فيشرف علىٰ الغيب ويقرأ التاريخ في ماضيه وحاضره ومستقبله.

وحين ندرك أنّ علياً عليه السلام كان يرىٰ في دفاتر مستقبل الإسلام والحياة الإسلامية هكذا نحو من التوجّهات البغيضة ضدّه فلماذا لا يعلن حربه ضدّها من أوّل يوم وينهي الصّراع؟

ذلك ما نتمنّاه ونرغب في أن يكون، ولكن أليست هذه الأرض هي ساحة لصراع الحقّ والباطل؟

ثمّ لو كشف لعليّ عليه السلام غطاء المستقبل ومصير الأفراد وما هم عليه. ومصير الأمم والحضارات، ثمّ لم يمارس عليّ عليه السلام دور الدعوة والتربية لها في منطقها الإسلامي الواضح أليس ذلك تعطيل لأحكام الله في الحياة؟

ثمّ هل العقوبة قبل الجناية واردة في تشريعنا الخلّاق؟

فلا يمنع من أن يرىٰ الإنسان كلّ شيء فيما هو رأي العين فلا يقيم أثراً إلاّ عندما تدعو الضرورة الدينيّة القائمة علىٰ مقاييس شرعية ثابتة، فهي أشبه شيء بمعلومات إضافية إلىٰ القرار الدّيني.

فعليّ عليه السلام ليس بينه وبين الغيب حجاب فلقد فرّقه القرب والحبّ والتعلّق والهيام بالله تعالىٰ.

يروىٰ أنّه خرج ذات ليلة من مسجد الكوفة متوجّهاً إلىٰ داره وقد مضىٰ ربع من اللّيل ومعه كميل بن زياد وكان من خيار شيعته ومحبّيه فوصل في الطريق إلىٰ باب رجل يتلو القرآن في ذلك الوقت ويقرأ:

«أمّن هو قانت آناء اللّيل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربّه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنّما يتذكّر أولو الألباب».

بصوت شجي حزين فاستحسن كميل ذلك في باطنه وأعجبه حال الرّجل من غير أن يقول شيئاً فالتفت صلوات الله عليه وآله إليه وقال:

يا كميل لا تعجبك طنطنة الرجل إنه من أهل النار وسأنبئك فيما بعد.

فتحيّر كميل لمكاشفته له علىٰ ما في باطنه ولشهادته بدخول النار مع كونه في هذا الأمر وتلك الحالة الحسنة.

ومضىٰ مدّة متطاولة إلىٰ أن آل حال الخوارج إلىٰ ما آل وقاتلهم أمير المؤمنين فالتفت أمير المؤمنين إلىٰ كميل وهو واقف بين يديه والسيف في يده يقطر دماً ورؤوس أولئك الكفرة الفجرة محلّقة علىٰ الأرض فوضع رأس السيف علىٰ رأس من تلك الرؤوس وقال:

يا كميل أمّن هو قانت آناء اللّيل ساجداً وقائماً. . . هو ذلك الشخص الذي كان يقرأ القرآن في تلك اللّيلة فأعجبك حاله فقبّل كميل قدميه وإستغفر الله[1].

وقد استخدم الإمام عليه السلام مع الخوارج طريقة التخويف من وراء التهديد المستمرّ وإبراز الصورة الّتي سيكونون عليها فيما بعد فقال عليه السلام:

فأنا نذير لكم أن تصبحوا صرعىٰ بأثناء هذا النهر وبأهضام[2] هذا الغائط[3].

وأوعد زرعة بمصيره المؤلم وذلك حين دخل النخيلة ودخل معه كثير من الخوارج فدخل حرقوص بن زهير السعدي وزرعة بن البُرج الطائي ـ وهما من رؤوس الخوارج ـ عليه عليه السلام فقال له حرقوص، تب من خطيئتك وأخرج بنا إلىٰ معاوية نجاهده.

فقال له عليّ عليه السلام: إنّي كنت نهيتكم عن الحكومة فأبيتم ثمّ الآن تجعلونها ذنباً أما إنّها ليست بمعصية ولكنّها عجز من الرأي وضعف في التدبير وقد نهيتكم عنه.

فقال زرعة: أما والله لئن لم تتب من تحكيمك الرّجال لأقتلنك أطلب بذلك وجه الله ورضوانه.

---

(١) إرشاد القلوب للديلمي: ٢/ ٢٢٦ بتصرف.

(٢) الأهضام: جمع هضم وهو المطمئن من الوادي والغائط ما سفل من الأرض.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢/ ٢٦٥.

فقال له عليّ عليه السلام بؤساً لك ما أشقاك! كأني بك قتيلاً تسفي عليك الرياح.

قال زرعة: وددت أنّه كان ذلك[1].

وأخبر عليه السلام ربيعة بن شدّاد الخثعمي ـ وكان شهد معه الجمل وصفّين ومعه راية خثعم ـ فقال له عليه السلام بايع علىٰ كتاب الله وسنّة رسوله، وكانت هذه المبايعة قد أحدثها المسلمون بعد اختلاق الضجّة الّتي أحدثها الخوارج بعد التحكيم تأكيداً منهم علىٰ مواصلة الطريق مع عليّ عليه السلام.

فقال له الخثعمي علىٰ سنة أبي بكر وعمر.

فقال عليه السلام له ويلك لو أنّ أبا بكر وعمر عملا بغير كتاب الله وسنّة رسوله لم يكونا علىٰ شيء من الحقّ، أما والله لكأنّي بك وقد نفرت مع هذه الخوارج فقتلت وكأنّي بك وقد وطئتك الخيل بحوافرها ـ فقتل يوم النهر مع خوارج البصرة ووطأته الخيل وشدخوا وجهه ورأسه[2].

ولمّا خرج عليّ عليه السلام إلىٰ أهل النهر أقبل رجل من أصحابه ممّن كان علىٰ مقدّمته يركض حتّىٰ إنتهىٰ إلىٰ عليّ عليه السلام.

فقال: البشرىٰ يا أمير المؤمنين.

قال: ما بشراك؟

قال: إنّ القوم عبروا النهر لمّا بلغهم وصولك فأبشر فقد منحك الله أكتافهم.

فقال له: الله أنت رأيتهم قد عبروا!

قال: نعم، فأحلفه ثلاث مرّات في كلّها يقول نعم.

فقال عليّ عليه السلام: والله ما عبروه ولن يعبروه وإنّ مصارعهم لدون النطفة.

والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة لن يبلغوا الأثلاث ولا قصر بوازن حتّىٰ يقتلهم الله وقد خاب من إفترىٰ.

ثمّ أقبل فارس آخر يركض فقال كقول الأوّل فلم يكترث عليّ عليه السلام بقوله وجاءت الفرسان كلّها تقول مثل ذلك.

---

(١) تاريخ الطبري: ٦/٤٠.

(٢) بهج الصباغة للتستري: ٧/١٤٣.

فقام عليّ عليه السلام فجال في متن فرسه، فقال شاب من الناس والله لأكوننّ قريباً منه فإن كانوا عبروا النّهر لأجعلنّ سنان هذا الرّمح في عينه أيدّعي علم الغيب.

فلمّا انتهىٰ عليه السلام إلىٰ النّهر. وجد القوم قد كسروا جفون سيوفهم وعرقبوا خيلهم وجثوا علىٰ ركوبهم وحكّموا تحكيمة واحدة بصوت عال له زجل.

فنزل ذلك الشاب فقال: يا أمير المؤمنين إنّي كنت شككت فيك آنفاً وإنّي تائب إلىٰ الله وإليك فاغفر لي.

فقال عليّ عليه السلام إنّ الله هو الذي يغفر الذنوب فاستغفروه(١).

ولمّا أمر عليّ عليه السلام أصحابه أن يحملوا علىٰ الخوارج قال لهم: إحملوا عليهم فوالله لا يقتل منكم عشرة ولا يسلم منهم عشرة، فحمل عليهم فطحنهم طحناً قتل من أصحابه عليه السلام تسعة وأفلت من الخوارج ثمانية(٢).

فقيل له عليه السلام يا أمير المؤمنين هلك القوم بأجمعهم فقال:

كلاّ والله إنّهم نطف في أصلاب الرّجال وقرارات النساء كلّما نجم منهم قرن قطع حتّىٰ يكون آخرهم لصوصاً سلاّبين(٣).

ولمّا أجمع الخوارج المارقون كلمتهم علىٰ كفر عليّ عليه السلام قال لهم:

أصابكم حاصب(٤) ولا بقي منكم آبر(٥) أبعد إيماني بالله وجهادي مع رسول الله صلى الله عليه وآله أشهد علىٰ نفسي بالكفر! لقد ضللت إذاً وما أنا من المهتدين فأوبوا شرّ مآب وأرجعوا علىٰ أثر الأعقاب.

أما أنّكم ستلقون بعدي ذلاً شاملاً وسيفاً قاطعاً وأثرة(٦) يتخذّها الظالمون فيكم سنّة.

وهذا الإخبار عن مستقبل حالهم وقد وقع ذلك فإنّ الله قد سلّط علىٰ

---

(١) أنظر بهج الصباغة: ٧/ ٢٧٢.

(٢) أنظر الكامل في التاريخ: ٥٤٣.

(٣) نهج البلاغة: خطبة/ ٦٠.

(٤) الحاصب: الريح الشديدة التي تثير صغار الحصىٰ.

(٥) الآبر: النمّام.

(٦) الأثرة: الاستبداد عليهم بالفيء والغنائم.

الخوارج بعده الذلّ الشامل والسيف القاطع. والإثرة من السلطان وما زالت حالهم تضمحل حتىٰ أفناهم الله تعالىٰ وأفنىٰ جمهورهم ولقد كان لهم من سيف المهلب بن أبي صفرة وبنيه الحتف القاضي والموت الزؤام[١].

وهكذا يحلّق عليّ عليه السلام في إخباراته عن المارقين ليوجد في ضمير الأمّة فسحة تعيشها بصفاء المطمئن الذي يدرس الحاضر علىٰ أساس الماضي ذي التجربة الغنية بالأحداث وعلىٰ أساس المستقبل المليء بالقضايا التي تفوّه بها أمير المؤمنين وأشار إليها رسول الله صلى الله عليه وآله.

ولئلاّ تعيش هذه المفردات الرائعة من العلم الإلهي عند عليّ عليه السلام وحده وهو يواجه فتن عارضة وقد تشمل المجتمع الإسلامي كلّه، فالإشارة إليها تثبيت علىٰ خطّ الإمامة الذي انطوىٰ علىٰ العلم بالمستقبل يقول عليه السلام:

بل إندمجت[٢] علىٰ مكنون علم لو بحت به لأضطربتم إضطراب الأرشية[٣] في الطوي[٤] البعيدة[٥].

ولقد نبئت بهذا المقام وهذا اليوم[٦] يا أخا كليب لبس هو بعلم غيب وإنّما هو تعلّم من ذي علم[٧].

---

(١) ابن أبي الحديد في شرحه على نهج البلاغة: ٤/١٣١ وسنفصّل للقارىء ذلك في موضوع شخصية الخوارج وحروبهم.
(٢) اندمجت: انطويت.
(٣) الأرشية: الحبال.
(٤) الطوي: البئر.
(٥) نهج البلاغة: خطبة/ ٥.
(٦) نهج البلاغة: خطبة/ ١٦.
(٧) نهج البلاغة خطبة/ ١٢٦.

من آراء الخوارج

يمكننا علىٰ وجه السرعة أن نجمل آراء الخوارج في كثير من المسائل الإسلامية الّتي لها مساس عملي في حركة الإنسان المسلم.

وآراؤهم الّتي إعتمدوها علىٰ امتداد وجودهم في غاية البساطة ممّا يغلب عليها روح التهور واللاّفهم ممّا حدا بهم هذا النزق الذهني إلىٰ ضمورهم تدريجياً وكمقدمة طبيعية لنشوء الاختلاف فيما بينهم وبالتالي لم يبق لهم أثر في الواقع ممدوح لأنّ ما جاءوا به كان مخالفاً لمحكم الكتاب والسنّة وما أجمع المسلمون عليه، ولأنّهم قد جرّتهم الإنفعالات اللاّمدروسة تجاه أبّهة الخلافة ومقامها السامق ووقوفهم ضدّ طواغيت بني أمية والعبّاس بشكل غير منظّم ممّا أدّىٰ كلّ ذلك إلىٰ استئصالهم من الجذور وإستحال الباقي منهم إلىٰ لصوص سلاّبين.

ونحن إذ نجمل هذه الآراء علىٰ أساس ما تعطينا الصّورة الجلية عنهم عند كلّ فرقهم واتجاهاتهم وكيفية نشوء حركة تصحيح لبعض خزعبلاتهم من بعضهم.

لأنّنا لا ننكر أنّ دوافع الإختلاف بينهم بعضها قائم علىٰ تصحيح فكرة والخروج علىٰ أخرىٰ. وهذا من شأنه أن يضع لبنة سليمة في طريق البناء السليم لهم إلاّ أنهم لم يوفقوا جميعاً إلىٰ إزالة المعتقد الأساس والمحور الذي يدورون حوله وهو تأويل القرآن تأويلاً باطلاً وتكفير الإمام عليّ بن أبي طالب، وجواز قتل المخالف والأخذ بظواهر القرآن وعدم تحكيم السنّة في تبيان ذلك وغيرها ممّا استعرضناه مجملاً هنا.

فقد تأوّلوا أنّ عليّاً هو الحيران الذي ذكره الله تعالىٰ في كتابه المجيد:

«كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلىٰ الهدىٰ إئتنا».

والأصحاب الذين يدعونه إلىٰ الهدىٰ هم الخوارج وعليّ عليه السلام أبىٰ أن

يدخل معهم في هداهم فبقي حيران ليس له أصحاب!!!

وقالوا أنزل الله فيه: «ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدُّنيا ويشهد الله علىٰ ما في قلبه وهو ألدّ الخصام».

وقالوا في قاتله ابن ملجم أنّ الله أنزل فيه: «ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله»[1].

وعلىٰ هذا المعنىٰ أنَ عليّاً بعد أن نقموا عليه تذكّروا أنّ الله وصمه وندّد به أما ما كانوا عليه من الموافقة معه قبل التحكيم فهو أمير المؤمنين!!

يا لها من مهازل الذهن وفقدان البصيرة!؟

فأضحىٰ عليّ عليه السلام كافراً ومن ورائه الرّعية أمّة محمّد ﷺ الغائب منها والشاهد.

ولهذا جاءت فتاواهم تقول: أنّ الدار دار كفر: «يقصدون دار مخالفيهم» إلاّ من أظهر إيمانه ولا يحلّ أكل ذبائحهم ولا توارثهم.

ومن حُلّ دمّه فقد حلّ ماله وعرضه، ولبعض فرقهم عندهم أنّه لا يباح مال مخالف إلاّ إذا قتل ولا يقتل من لا يقاتل، وبعضهم لا يستحلّون مال أحد حتّىٰ يقتلوه فإن لم يجدوا صاحب المال لم يتناولوا من ذلك المال شيئاً دون أن يظهر صاحبه فيقتلوه فإذا قتلوه حينئذ استحلّوا ماله وقد جعلوا هذا شريعة لهم[2].

وأستحلّوا دم كلّ من يقول أنا مسلم واستحرموا دماء اليهود والمجوس والنصارىٰ.

ولعلّ المتأني يصل إلىٰ نتيجة من خلال ما ورد عنهم من فتاوىٰ وأحكام وقرارات بهذا الشأن.

فاليهود أهل غطرسة في التاريخ والنصارىٰ لهم إمتدادهم المذهبي في الأمم، والمجوس لا يرون إلاّ أنفسهم لما أصابهم من الإغترار بإمبراطوريتهم والأبعاد الحضارية الّتي هم عليها.

فلمّا جاء الإسلام عطّل كلّ فسادهم وأدال صروح دولهم وفرض عليهم

---

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة: ١/ ٨١.

(٢) الكامل للمبرّد: ٢/ ١٧٨.

الجزية مقابل بقائهم على الأرض حيث لا يحق لهم الحياة عليها.

وحرّر العرب المسلمون بلاد فارس من جور حكّامهم وترهات حضارتهم ودخلها الإسلام ديناً قيّماً لا أمت فيه ولا عوج.

فما عسى اليهود والنصارى والمجوس أن يعملوا ضدّ هذه الدعوة الجديدة أقاموا بوجهها السدود وزرعوا الأشواك وشاء الله أن يخرج الإسلام منتصراً.

فأخذوا يتحيّلون في الدخول فيه إبتغاء إضعافه من داخله وحتّ قواه في الوقت الذي يسهم في إنجاح خططهم الغباء الذي أطبق على جمهرة من المسلمين الذين رضوا بحكّام لهم صلات وعلاقات بهذه الكيانات المناوئة للإسلام.

إمّا عن انتحال حقيقي مبرقّع أو عن بقاء على الجاهلية الأولى والتغني على أوتارها الخرقاء ولكنه التنسيق والتعاون للإطاحة بالإسلام.

ولهذا عندما إنفلت الخوارج عن الرُباط الإسلامي في كلا قسميه الإلهيّ الذي يمثله عليّ عليه السلام أو القاسط الذي يمثله معاوية.

وإن نحن نتحفظ على إسلام معاوية ولمن يقرأه بعمق ويتابع غاراته بعد التحكيم على الفصائل المؤمنة والمدن الآمنة، والعلاقات القائمة بينه وبين الرومانيين النصارى، لا يتسنى له أن يفصل من حيث الإنتماء أو الإرتماء في أحضانهم عن الخوارج.

إلاّ أنّ الفارق فيما بينهما أنّ معاوية في توقيته لضرب الكيان الإسلامي ذو خطوات يحتاج لها زمن، والكيانات المناوئة للإسلام من يهود ونصارى ومجوس تريد التعجيل في خلخلة كيان الإسلام وزعزعته وإشتغاله بنفسه حتّى لا يفكّر أحد وخليفة المسلمين المنتخب هو العدو اللّدود ليهود ينتظر الفرصة لتصفية الأجواء وتنقيتها من كلّ العوائق والعكر اليهودية في البلاد الإسلامية.

ولهذا تحرّك الخوارج وهم يحملون أفكاراً ومتبنيات تحصّن الوجود اليهودي وغيره وتستبيح الإسلام والمسلمين في دمائهم وأمنهم.

فمن فتاواهم أنّهم لا يرون أخذ الجزية من المجوس.

ومن قال لا إله إلاّ الله محمّد رسول الله بلسانه ولم يعتقد ذلك بقلبه بل اعتقد الكفر أو الدّهرية أو اليهودية أو النصرانية فهو مسلم عند الله مؤمن ولا يضرّه

إذا قال الحقّ بلسانه ما اعتقد بقلبه[1].

وذكر بعض من جمع مقالات المنتمين إلىٰ الإسلام أنّ فرقة من الإباضية رئيسهم يدعى زيد بن أبي أبيسة ـ وهو غير المحدث المشهور ـ كان يقول: أنّ في هذه الأمّة شاهدين عليها هو أحدهما والآخر لا يدري من هو ولا أين هو ولا يدري لعلّه قد كان قبله وإنّ من كان من اليهود والنصارىٰ يقول لا إله إلاّ الله محمّد رسول الله إلىٰ العرب لا إلينا كما تقول العيسوية من اليهود قال فإنّهم مؤمنون أولياء الله تعالىٰ وإن ماتوا علىٰ هذا العقد وعلىٰ التزام شرائع اليهود والنصارىٰ وإنّ دين الإسلام سينسخ بنبيّ من العجم يأتي بدين الصابئين وبقرآن آخر ينزل عليه جملة واحدة[2].

ومن فتاواهم أنهم أوجبوا علىٰ الحائض الصلاة والصيام في حيضها وقال بعضهم لا ولكن تقضي الصلاة إذا طهرت كما تقضي الصيام.

وأباحوا دم الأطفال ممّن لم يكن في عسكرهم وقتل النساء أيضاً ممن ليس في عسكرهم.

وقالوا: أن الإمام إذا قضى قضية جور وهو بخراسان أو بغيرها حيث كان من البلاد ففي ذلك الحين نفسه يكفر هو وجميع رعيته حيث كانوا من شرق الأرض وغربها ولو بالأندلس واليمن فما بين ذلك من البلاد.

وقالوا: لو وقعت قطرة خمر في جبّ ماء بفلاة من الأرض فإنّ كلّ من خطر علىٰ ذلك الجبّ فشرب منه وهو لا يدري ما وقع فيه كافر بالله تعالىٰ.

قالوا: إلاّ أنّ الله تعالىٰ يوفّق المؤمن لإجتنابه[3].

وقالوا: المنافقون علىٰ عهد رسول الله ﷺ إنّما كانوا موحدين لله تعالىٰ أصحاب كبائر.

وكلّ ذنب صغير أو كبير ولو كان أخذ حبّة خردل بغير حقّ أو كذبة خفيفة

---

(١) أنظر الفصل لابن حزم: ٤/١٨٩/ ١٩٠.

(٢) راجع الفصل لابن حزم: ٤/١٨٩ يقول ابن حزم إلاّ أنّ جميع الإباضية يكفرون من قال بشيء من هذه المقالات انتهىٰ، ولهذا نرىٰ أنّ الإباضية استمرّ بهم الحال إلىٰ الآن في قيام مذهبهم لإبتعادهم عن هذه السفاسف وإن إنطوو علىٰ غيرها إلاّ أنها خفيفة وغير مسفّة إلىٰ حدّ ما.

(٣) نفس المصدر السابق.

علىٰ سبيل المزاح فهي شرك بالله وفاعلها كافر مشرك مخلّد في النار إلاّ أن يكون من أهل بدر فهو كافر مشرك من أهل الجنّة وهذا حكم طلحة والزبير عندهم[1].

وهذا ممّا يعزّز الصّلة فيما بينهم وبين الوجوه الّتي نكثت العهد ونقضت الميثاق والبيعة مع عليّ عليه السلام وهم متّهمون بولاءهم لليهودية[2] من ذي قبل كطلحة فتأمل.

ولهم في خصوص اتخاذ إمام وسائس مزيد من الأخذ والرد والرفض والقبول.

فبعضهم يقول بوجوب إقامة إمام، والبعض الآخر يرىٰ إقامته مصلحياً لا شرعياً[3]، وآخرون يذهبون إلىٰ تجويز إمامين في عصر واحد. ما لم تجتمع الكلمة ولم يقهر العدو[4].

وأصحاب نجدة بن عويم الحنفيّ يقولون: ليس علىٰ الناس أن يتخذوا إماماً إنّما عليهم أن يتعاطوا الحق بينهم[5].

ولهذا لمّا طرحوا شعارهم: لا حكم إلاّ لله كان يتضمن غياب القائد والإمام والقائم بأمور الدّين.

وإنّما يحكم الله تعالىٰ عبر كتابه المجيد فمن خلال القيمين عليه والحاكمين به.

كما أنّ طبيعة الحياة الإسلامية وغيرها لا تتحمّل الفوضىٰ في وقت أصبح لزاماً علىٰ أهله أن ينظّموا أمورهم وفق أطروحات حضارية ومتبنيات سليمة.

ولهذا أشار الإمام عليّ عليه السلام لمّا سمع منهم ذلك مستغرباً هذا القرار الذي يمثّل انفلاتاً من عقال القانون الذي تعارفه الناس برهم وفاجرهم فقال:

كلمة حقّ يراد بها باطل! نعم إنّه لا حكم إلاّ لله ولكن هؤلاء يقولون لا إمرة إلاّ لله وإنّه لا بدّ للناس من أمير برّ أو فاجر يعمل في إمرته المؤمن ويستمتع

---

(١) انظر الفصل لابن حزم: ١٩١/٤.
(٢) لنا في هذا المعنىٰ كلام تجده في كتابنا الناكثون في الجمل.
(٣) أنظر الملل والنحل للشهرستاني: ص١٣٧.
(٤) الفصل لابن حزم: ١٩٠/٤.
(٥) نهج البلاغة: كتاب: ٤٠.

فيها الكافر ويبلّغ الله فيها الأجل ويجمع به الفيء ويقاتل به العدو وتأمن به السبل[1].

وهكذا تراهم يتخبطون خبط عشواء لا يبصرون الطريق ولا يهتدون السبيل فليس هناك من يفصل ويبتّ في أمورهم السياسية فالرجرجة في الموقف وما تمليه عليهم طبيعة الأحداث المتغيرة التي يواجهون بها الحياة ويواجهونها عند كلّ منعطف هي السمة الغالبة عليهم.

ولهذا فهم يحتاجون في حركتهم إلىٰ ما يلزم التابعين لهم فليس هناك من يمنحه مرضه أو شيخوخته العذر في الهجرة معهم أو القتال فمن ثقل عن هجرتهم فهو منافق[2].

أضف إلىٰ آراء لهم وتمحلات أركستهم في حمأة الجهل وأحلّت بدارهم البوار وأبعدهم عن الساحة الفقهية والعقيدية الّتي يتسابق فيها المسلمون كلٌّ حسب إجتهاده ولكن في إطار الفهم الموحّد للقرآن وما ورد عن السنة الشريفة وما جاء عندهم من اختلاف في الرأي فهو من الإجتهاد الذي يعزّز الحكم والرأي فيعطيه دفعاً إلىٰ أمام ويبني للإسلام حياة فكريّة قائمة علىٰ التفتح ممّا يجعله صالحاً يتمشىٰ مع ركب الحياة وحركة التجديد فيها والتجدّد.

فمّما ينفر منه الرأي السليم ويتهدّد به القرآن المجيد في تخلية ساحة النبوات من إرتكاب الذنب ومقارفة المعاصي وما تؤكده مدرسة الخوارج من أنّ ارتكاب الكبيرة كفر بل إنّ كلّ ذي ذنب جاهل بالله تعالىٰ والجهل بالله، عندهم كفر.

فهم يجوزّون علىٰ الأنبياء أن يرتكبوا الكبائر والصغائر وقد أخذوا ذلك من ظاهر قول الله تعالىٰ.

«إنّا فتحنا لك فتحاً مُبيناً ليغفرَ لك الله ما تقدّم من ذنبك وما تأخر»[3].

فهم يفترضون بعد أن يرتكب النبيّ ﷺ الكبير من الذنب أو الصغير فإنّه يغدو كافراً وعلاج رجعته إلىٰ دينه وإلىٰ هداه فإنّه يعلن توبته وبذلك يصح منه إسلامه.

---

(١) أنظر الفصل لابن حزم: ٤/ ١٩٠.

(٢) تاريخ المذاهب الإسلامية: ١/ ٨١.

(٣) الملل والنحل للشهرستاني: ص١٣٧.

وقالوا يجب البراءة من الطفل حتىٰ يدعىٰ إلىٰ الإسلام ويجب دعاؤه إذا بلغ وأطفال المشركين في النار مع آبائهم.

وناقض بعضهم فقالوا لو عذّب الله العباد علىٰ أفعال قدّرها عليهم أو علىٰ ما لم يفعلوه كان ظالماً، وقضوا بأنّ أطفال المشركين في النار ولا عمل لهم ولا شرك[١].

وأجازوا نكاح بنات البنات وبنات أولاد الإخوة والأخوات.

وجوّزوا تزويج المسلمات من مشركي قومهم أصحاب الكبائر!

وأنكروا رجم الزاني وأسقطوا الحدّ عن الزاني المحصن لأنّ حدّ الرّجم لم يذكر في القرآن.

وكذلك أسقطوا الحدّ عمن يقذف الرجال بخلاف من يقذف النساء حيث قذف الرجال لم يذكر في القرآن والثاني مذكور.

وقالوا من لم يعرف الله بجميع أسمائه وصفاته فهو جاهل به والجاهل به كافر حتىٰ يصير عالماً بجميع ذلك فيكون مؤمناً.

وأنّ تارك الصلاة كافر لا لأجل تركه الصلاة لكن لجهله بالله.

وأنكروا سورة يوسف من القرآن لأنّ فيها حبّ وغرام!!

ويعظّمون جريمة الكذب علىٰ شرب الخمر والزنىٰ فيزعمون أنّ من نظر نظرة صغيرة أو كذب كذبة صغيرة ثمّ أصرّ عليها فهو مشرك وإنّ من زنىٰ وسرق وشرب الخمر غير مصرّ عليه فهو مسلم إذا كان من موافقيهم.

ولعلّنا إن مشينا مع هذه الخزعبلات يطول بنا ونحن نروم الإختصار ولا شيء عندنا إلاّ أن نضع بين يدي القارىء هذه التمحلات ليرىٰ بأمّ عينيه ما لأعداء عليّ والخارجين عليه من السوء والجهل والطيش ومخالفة الكتاب والسنة.

ولهذه الإجتهادات المختلفة الأثر في إيجاد مساحة كبيرة لنشوء صراعات ذهنية علىٰ طول الخطّ، لأنّ القاسم المشترك الذي وحّدهم في خندق واحد هو تكفير عليّ والخروج عليه، أمّا ما استحدث من آراء وأرقام جديدة في مسار الفكر

(١) أنظر الملل والنحل للشهرستاني بهامش الفصل لابن حزم: ١/ ١٧٣.

والثقافة والموقف تجاه الأمّة الإسلامية فذلك خاضع لرأي فرد أو أفراد وليس بالضرورة أن يقتنع الآخرون به، ما دام الفهم غير متساوٍ والإدراك متباين في مسائل الدين والشريعة والإنفلات غدا طبيعياً.

فبدأت المعارضة الشديدة والنقمة علىٰ الخوارج وأخذت تتسّع لأنّ المحرّك باتجاه التمرّد التدريجي علىٰ المحكم القرآني والسنة المبيّنة الموضحة للمتشابه فيه لا يتنازع عليه.

أضف إلىٰ عدم وجود حجّة في الرأي ومقياس تقاس عليه الأمور ولهذا رأينا الجرأة متناهية في إحداث مسائل جرّت الويلات علىٰ الأمّة فيما أغرت جمهرة من المسلمين أن حملوا السيف في وجهها.

ثمَّ لا نعدم أن خرجت من هذه الزمرة الضّالة من انفتح علىٰ الحياة الإسلامية في رأيها الفقهي والتعايش معها واتخاذ أسلوب المرونة والسلمية[١].

فبينا تفتي الأزارقة[٢] بأنّ الدار دار كفر وأنّهم جميعاً في النار والتقية معهم لا تحلّ مستدلين بقوله تعالىٰ:

﴿إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله... ولا يخافون لومة لائم﴾[٣].

يقول النجدات[٤] في الردّ عليهم محتجّين بقوله تعالىٰ:

﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه﴾[٥].

وكذلك يكفّر الأزارقة القعدة ومن لا حيلة له في الجهاد والهجرة وكذلك حلّلوا قتل الأطفال واستحلّوا الغدر بأمانة من خالفهم.

نجد نجدة بن نافع يثور علىٰ هٰذه الآراء ولا يجعل لها من نفسيته نصيباً فيردّها مستدلاً بقوله تعالىٰ:

﴿ليس علىٰ الضعفاء ولا علىٰ المرضىٰ ولا علىٰ الذين لا يجدون ما ينفقون

---

(١) امثال الأباضية والصفرية.

(٢) جماعة نافع بن الأزرق الحنفيّ.

(٣) سورة المائدة: الآية ٥٤.

(٤) أصحاب نجدة بن نافع.

(٥) سورة غافر: الآية ٣٨.

حرج إذا نصحوا لله ورسوله﴾[1].

ويندّد بقتل الأطفال مستدلاً بقوله تعالىٰ:

﴿ولا تزر وازرة وزر أخرىٰ﴾[2].

ويقول في القعدة: وقد قال الله سبحانه في القعدة خيراً فقال:

﴿وفضّل الله المجاهدين علىٰ القاعدين أجراً عظيماً﴾[3].

فتفضيله المجاهدين علىٰ القاعدين لا يرفع منزلة من هو دون المجاهدين أو ما سمعت قوله تعالىٰ:

﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر﴾[4] فجعلهم من المؤمنين.

وأزعجه الرأي الذي يستحلّ الغدر بأمانات من خالفهم فقال للأزرق: ثمَّ إنّك لا تؤدي أمانة إلىٰ من خالفك والله تعالىٰ قد أمر أن تؤدىٰ الأمانات إلىٰ أهلها[5].

فلمّا بلغ الأزرق هذا الاحتجاج عليه عبر رسالة أرسلها نجدة إليه ردّها مبيّناً الأدلة في اتخاذ هكذا آراء فقال:

أمّا هؤلاء القعدة فليسوا كمن ذكرت ممّن كان علىٰ عهد رسول الله ﷺ لأنّهم كانوا بمكّة مقهورين محصورين لا يجدون إلىٰ الهرب سبيلاً ولا إلىٰ الإتصال بالمسلمين طريقاً وهؤلاء قد تفقّهوا في الدين وقرؤا القرآن والطريق لهم نهج واضح وقد عرفت ما قال الله تعالىٰ فيمن كان مثلهم إذ قالوا: ﴿كنّا مستضعفين في الأرض﴾[6].

فقال:

﴿ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها﴾[7].

وقال سبحانه:

﴿فرح المخلّفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم

---

(١) سورة التوبة: الآية ٩١.

(٢) سورة الإسراء: الآية ١٥.

(٣) سورة النساء: الآية ٩٥.

(٤) سورة النساء: الآية ٩٥.

(٥) أنظر شرح ابن أبي الحديد لنهج البلاغة: ٤/١٣٦.

وأنفسهم في سبيل الله﴾[1].

وقال: **﴿وجاء المعذّرون من الأعراب ليؤذن لهم﴾**[2] فخبّر بتعذيرهم وأنّهم كذبوا الله ورسوله ثمّ قال:

﴿سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم﴾[3] فانظر إلىٰ أسمائهم وسماتهم.

وأمّا الأطفال فإنّ نوحاً نبيّ الله كان أعلم بالله منّي ومنك وقد قال:

﴿ربّ لا تذر علىٰ الأرض من الكافرين ديّاراً إنّك إن تذرهم يضلّوا عبادك ولا يلدوا إلاّ فاجراً كفّاراً﴾[4].

فسمّاهم بالكفر وهم أطفال وقبل أن يولدوا فكيف كان ذلك في قوم نوح ولا تقوله في قومنا والله تعالىٰ يقول:

﴿أكفاركم خير من أُوْلَئِكُمْ أم لكم براءة في الزُّبر﴾[5].

وهؤلاء كمشركي العرب لا يقبل منهم جزية وليس بيننا وبينهم إلاّ السيف أو الإسلام.

وأمّا استحلال أمانات من خالفنا فإنّ الله تعالىٰ يقول أحلّ لنا أموالهم كما أحلّ دماءهم لنا، فدماؤهم حلال طلق[6]، وأموالهم فيء للمسلمين[7].

---

(١) سورة النساء: الآية ٩٧.

(٢) سورة النساء: الآية ٩٧.

(٣) و (٤) سورة التوبة: الآيات ٨١ و٩٠.

(٥) سورة التوبة: الآيات ٨١ و٩٠.

(٦) سورة نوح: الآيات ٢٦ و٢٧.

(٧) سورة القمر: الآية ٤٣.

(٨) أي حلال طيّب.

(٩) أنظر الكامل للمبرّد: ٦١٣ طبع أوروبا.

إختلاف الخوارج فيما بينهم

من فرق الخوارج فرقة العجاردة أتباع عبد الكريم بن عجرد[1] فافترقوا إلى فرق لخلاف عقائدي وفقهي بينهم.

يروىٰ أنّ رجلاً منهم اسمه شعيب كان مديناً لآخر اسمه ميمون فلمّا تقاضىٰ هذا دينه.

قال شعيب: أعطيكه إن شاء الله.

فقال ميمون: قد شاء الله ذلك في هذه الساعة.

فقال شعيب: لو شاء لم أستطع إلاّ أن أعطيكه.

فقال ميمون: قد أمر بذلك، وكلّ ما أمر به فقد شاء، وما لم يشأ لم يأمر به.

فأرسل شعيب وميمون إلىٰ رئيسهم وإمامهم عبد الكريم عجرد فأجابهم إجابة مبهمة، فادعىٰ كلّ منهم أنّ إجابته توافق رأيه فانقسموا بناءً علىٰ هذا الاختلاف إلىٰ شعيبية وميمونية.

ولأحدهم اسمه ثعلبة كانت له بنت فخطبها عجرديّ وأرسل إلىٰ أمّها يسألها.

أن إذا كانت قد بلغت ورضيت الإسلام علىٰ الشرط الذي يعتبره العجاردة لم يبال كم كان مهرها؟

فأجابت الأمّ إنّها مسلمة في الولاية سواء بلغت أم لم تبلغ، وهذا الرأي مخالف لهم، فرفع الأمر إلىٰ إمامهم عبد الكريم عجرد فاختار البراءة من الأطفال.

فلم يحظَ هذا القول بقبول أبيها ثعلبة فاستقلّ هو الآخر برأيه وأنشأ فرقة سمّيت فيما بعد بالثعالبة.

---

(١) أنظر في التفصيل عنهم الملل والنحل: ١/١١٢.

وبرز في أفق الخوارج فرقة الأزارقة وهؤلاء كانوا تبعاً لنافع بن الأزرق الحنفي وقد قاتلوا عبد الله بن الزبير والأمويين طيلة تسع عشرة سنة.

وكان سبب اختلافهم مع الخوارج أنّ امرأة من أهل اليمن عربية ترىٰ رأي الخوارج تزوجت رجلاً من الموالي علىٰ رأيها، فقال لها أهل بيتها فضحتنا فأنكرت ذلك فلمّا أتىٰ زوجها قالت له: إنّ أهل بيتي وبني عمّي قد بلغهم أمري وقد عيروني وأنا خائفة أن أكره علىٰ تزويج بعضهم فاختر منّي إحدىٰ ثلاث خصال.

إمّا أن تهاجر إلىٰ عسكر نافع حتّىٰ نكون مع المسلمين في حوزهم ودارهم.

وإمّا أن تخبأني حيث شئت.

وإما أن تخلّي سبيلي فخلّىٰ سبيلها.

ثمّ إنّ أهل بيتها استكرهوها فزوجوها ابن عمّ لها لم يكن علىٰ رأيها فكتب ممّن بحضرتها بأمرها إلىٰ نافع بن الأزرق يسألونه عن ذلك.

فقال رجل منهم: إنّها لم يسعها ما صنعت ولا وسع زوجها ما صنع من قبل هجرتهما لأنّه كان ينبغي لها أن تلحق بنا لأنّا اليوم بمنزلة المهاجرين بالمدينة ولا يسع أحد من المسلمين التخلّف عنّا كما لم يسعنا التخلّف عنهم فتابعه علىٰ قوله ذلك نافع بن الأزرق وأهل عسكره إلاّ نفراً يسيراً وبرئوا من أهل التقية وأحدثوا أشياء.

وقد أقام نافع بن الأزرق بموضعه من الأهواز واستتب له الأمر هناك وكان نافع يفتي بفتاوىٰ لم تكن ليقتنع بها نجدة بن عامر فردّها وإنشقّ عليه[1].

وخالف نجدة زياد بن الأصغر وهذا الأخير خفّف إلىٰ حدّ ما من الغلو الذي عليه نافع ونجدة[2].

هذا مجمل لإختلاف الخوارج فيما بينهم وهو يعطينا صورة عن هذا التجمّع الذي لم يقم علىٰ أصول وأسس سليمة، ولمن يتوغّل أكثر ويستقصي فرقهم في مظانّها من الكتب المطولة[3] يجد أنّ هذه الأمّة قد وزّعها الإختلاف المشين كلّ

(١) راجع الكامل للمبرّد: ٦١٣.

(٢) أغلب ما قرأت في موضوع [مجمل آراء الخوارج] بما فيه من غلو وتعسّف فهو من نافع.

(٣) من الكتب شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد والملل والنحل للشهرستاني والكامل للمبرّد والفصل لابن حزم الظاهري وتاريخ المذاهب الإسلامية للشيخ أبو زهرة وأكثر كتب التاريخ.

تحت راية رجل حقود وفرقة غاوية ضالّة.

وإستعراضنا المجمل السريع هذا أردناه أن يكون لفتة وإثارة في الإطلاع على كيفية الإختلاف.

وكأنّ دين الله تعالىٰ بعد رحيل المصطفىٰ المختار موكول إلىٰ آراء الرّجال واجتهاداتهم.

وليس الغريب أن يكفر ويخرج أحد من الدّين ويرعب أمّة القرآن ويقلقها إنّما الغريب لرعاع النّاس وغوغائها وبعض من أصبح علماً من أعلام الدّين كيف يستسيغ هذا الطرح ويتولّىٰ هذا الإتجاه ويقدّم دمائه بسخاء أمام لا شيء.

إلاّ أن نقول أنّ الروح القبلية هي الّتي جمعتهم في هذا الإطار ومن خلالها انفتحوا علىٰ مقرّرات القائمين علىٰ الحركة المارقة.

فتنة الخوارج

في معركة صفّين حيث الدّهاء والمكر الذي استخدمته الحركة القاسطة ممّا فات علىٰ معسكر التوحيد في كثير من مفاصله المقاتلة أنّ عملية التحكيم الّتي فرضتها وسائل إعلامها المشؤومة خطوة إيجابية في إيقاف نزيف الدّماء وبالتالي تحقيق المطلوب من وراء ما يحكمان به الحكمانوالذي لا يعدو حكمهما أن يكون علىٰ كتاب الله تعالىٰ كما هو المفترض.

في الوقت الذي بات واضحاً جلياً عند زمرة واعية من أصحاب عليّ عليه السلام الذين رفضوا التحكيم بقوّة إلاّ أنّ الأمر الواقع قد فرض قبولهم لذلك حيث الكثرة الكاثرة الّتي انفتحت علىٰ هذا المشروع وتلقّته بقبول حسن.

ومن هنا ندرك بعمق أنّ الوعي هو الذي يثبّت صاحبه علىٰ الخط والتدين الساذج ليس بميسوره أن ينقل صاحبه إلىٰ المواقع المرجوّة في الحياة.

فهؤلاء الخوارج الذين خرجوا علىٰ أمير المؤمنين عليه السلام هم في نفس الوقت كانوا قد خرجوا علىٰ معاوية بنفس الحجّة والإعتبار لوقوفهم فيما بعد علىٰ خطأهم في قبول مشروع التحكيم.

وقد أبتلي المجتمع الإسلاميّ بهم باعتبارهم ظاهرة جديدة لها ما يبررها في الحركة ويسوّغ خروجها علىٰ الخلافة الّتي رضيت بالتحكيم عند من لا يروق له مشاريع عليّ عليه السلام.

وأصبح عليّ عليه السلام أمام هذا الموج الأهوج كما هو أمام موج الردّة في الشام فما عساه يصنع وما هي الخطوات الوئيدة الّتي تهدأ من روعهم وترجعهم فيما هم عليه من الجهل والإستهتار دون ما يعتقدونه إلىٰ رشد متوازن وتدبّر رشيد لأنّهم إن لم يرجعوا إلىٰ الصفّ فمعنىٰ ذلك توزيع القوىٰ علىٰ جبهتين في آن واحد في الوقت الذي يفترض حسب ما تملي ظروف الحسم العسكري علىٰ

الإمام عليه السلام أن ينهي الحساب مع خصمه اللدود الأول معاوية ومن ثمّ هم. أضف إلىٰ هذا لو لم يكن في نيّة هؤلاء أن لا يرفعوا السيف في وجه عليّ وحكومته الفتية لبقي يخوض معهم أسلوب النقاش والموعظة والمساجلات، مع أنّ القوم لم يكونوا بهذا المستوىٰ فهم يرون علياً كافراً كما يرون معاوية كذلك ويطلبون منه أن ينكث العهد وينقض المواثيق التي كانوا هم السبب الرئيس في قبول عليّ عليه السلام لها ويتوب عن ذنبه ثمّ يتوجّه من جديد نحو الشام لمقاتلة معاوية من جديد وهذا ما لا يكون في قاموس عليّ عليه السلام وها هو ينقل لنا ذلك ويذكّرهم:

نشدتكم بالله أتعلمون أنّهم حين رفعوا المصاحف فقلتم نجيبهم إلىٰ كتاب الله قلت لكم إنّي أعلم بالقوم منكم إنّهم ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن إنّي صحبتهم وعرفتهم أطفالاً ورجالاً فكانوا شرّ أطفال وشرّ رجال إمضوا علىٰ حقكم وصدقكم إنّما رفعوا لكم هذه المصاحف خديعة ووهناً ومكيدة فرددتم عليّ رأيي وقلتم لا بل نقبل منهم فقلت لكم اذكروا قولي لكم ومعصيتكم إيّاي فلمّا أبيتم إلاّ الكتاب اشترطت علىٰ الحكمين أن يحييا ما أحياه القرآن وأن يميتا ما أماته القرآن فإن حكما بحكم القرآن فليس لنا أن نخالف حكم من حكم بما في الكتاب وإن أبيا فنحن من حكمهما براء[1].

ولم يكن من بدّ فقد ركبوا جهلهم ورفعوا شعارهم بوجه عليّ عليه السلام رافضين ما يقول وما وقّع عليه وكان شعارهم المركزي لا حكم إلاّ لله، وهو شعار برّاق ظاهره الإيمان والتوحيد ولكنه يعيش في داخله الردّة والفساد وينطوي أصحابه علىٰ خروج من الدين واضح.

وكان عليّ عليه السلام يؤكّد علىٰ فصائل العمل وأبناء مدرسته بما هي الدعاية ضدّ هذا الشعار والإعلان علىٰ المحتوىٰ الوبيء الذي عليه الخارجون عن الصفّ الإسلاميّ في خطّ الإمامة أن هذا الشعار يتضمن نفي وجود سائس وأمير يقود حركة الإسلام ويوجّه أحداث الحياة وفق الرؤية الإسلامية، وهو الذي تدور عليه رحىٰ مصلحة الإسلام، فيما هو التشخيص الدقيق لكلّ حدث من وراء رؤاه وفهمه ووعيه.

ولم تشهد الحياة الإسلامية هكذا نوع من الطرح بل طبيعة الأشياء تفرض أن

---

(١) الإرشاد للمفيد: ص١٤٤.

يكون هناك حاكماً مفترض الطاعة يتوجّه إليه الناس في ساعات الشدّة والرخاء.

أمّا لو تركت الأجواء بغير قيّم على كتاب الله وما جاء به الرسول الأعظم ﷺ من متبنيات لكان الهرج والمرج ولضاع القرآن بالتبع من وراء الأفهام المتعدّدة له والتأويلات الّتي تصب في قالب تلك الأفهام.

قال عليه السلام: كلمة حق يراد بها باطل نعم إنّه لا حكم إلاّ لله ولكنّ هؤلاء يقولون لا إمرة وإنّه لا بدّ للناس من أمير برّ أو فاجر يعمل في إمرته المؤمن ويستمتع فيها الكافر ويبلغ الله فيها الأجل ويجمع به الفيء ويقاتل به العدو وتأمن به السّبل ويؤخذ به للضعيف من القويّ حتّى يستريح برّ ويستراح من فاجر[1].

ولهذا كان هذا الشعار يقلق الحياة الإسلامية بما يحمل من مأساة في طيّاته وبين ثناياه.

لأنّ المسألة إذا رقت إلى تكفير خليفة المسلمين فماذا يكون حكم المسلمين يا ترى؟ وقد أصر الإمام عليه السلام على الوفاء بالعهد وانتظار النتيجة الّتي يفترض أن تكون قرآنية، كما أكّد على لزوم الرأي العام والسواد الأعظم لأنهما طوع القرار الصادر من خليفة المسلمين وأمّا الشاذّ عن الجماعة والداعي إلى الفرقة وإن جمل الشعار الإسلاميّ فلا يعدو أن يكون متآمراً على الإسلام. فقال عليه السلام:

ألا من دعا إلى هذا الشعار فاقتلوه ولو كان تحت عمامتي هذه وإنّما حكم الحاكمان ليحييا ما أحيا القرآن ويميتا ما أمات القرآن وإحياؤه الإجتماع عليه وإماتته الإفتراق عنه فإن جرّنا القرآن إليهم إتبعناهم وإن جرّهم إلينا القرآن إتبعونا فلم آت لا أباً بجراً[2] **ولا ختلتكم عن أمركم ولا لبّسته عليكم وإنّما اجتمع رأي ملائكم**[3] **على اختيار رجلين أخذنا عليهما أن لا يتعدّيا القرآن فتاها عنه وتركا الحقّ وهما يبصّرانه وكان الجور هواهما فمضيا عليه وقد سبق استثناؤنا عليهما في الحكومة بالعدل والصّمد**[4] **للحقّ سوء رأيهما وجور حكمهما**[5].

فالإمام عليه السلام كان أخوف ما يخاف عليه هو أن يتسرّى الحكم إلى القاعدة

(١) نهج البلاغة المختار من كلامه عليه السلام: ٤٠.
(٢) البجر: بالضم، الداهية والأمر العظيم.
(٣) ملائكم: الملأ، أشراف الناس ورؤسائهم.
(٤) الصمد: القصد.
(٥) نهج البلاغة المختار من الكلام: ١٢٧.

وبالتالي تنشب حرباً أهلية لا مسوغ لها إلاّ الحماقة والجهل. لأنّ طبيعة التفكير القاصر حول كفر عليّ عليه السلام وهو الخليفة على المسلمين سيؤدي بالتالي حكم التكفير لعامّة المسلمين وإيجاد فكرة التطهير الشاملة لهذه الأرض الّتي لا تقلّ مسلماً كما يزعمون وبالفعل لقد أضحى ذلك متبنى فقهياً له أصوله التفكيرية القائمة على ممارسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. فلهذا قالوا أنّ الدار دار كفر لا يجوز الكفّ عن أحد من أهلها، فقتلوا الأطفال والبهائم والصالحين من عباد الله[1].

فخاطبهم أمير المؤمنين عليه السلام لمّا سمع عنهم أنّهم قد استهتروا بالحياة من أجل ما يعتقدون ولم يبقوا لأحدٍ إلاّ ولا ذمة ولم يراعوا لمسلم حرمة قال:

> **فإن أبيتم إلاّ أن تزعموا أنّي أخطأت وضللت فلم تضلّون عامة أمّة محمّد صلى الله عليه وآله بضلالي وتأخذونهم بخطأي وتكفّرونهم بذنوبي سيوفكم على عواتقكم تضعونها مواضع البراءة والسّقم وتخلطون من أذنب بمن لم يذنب وقد علمتم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله رجم الزاني ثمّ صلّى عليه ثمّ ورّثه أهله وقتل القاتل وورّثه أهله وقطع السارق وجلد الزاني غير المحصن ثمّ قسم عليهما من الفيء ونكحا المسلمات فأخذهم رسول الله صلى الله عليه وآله بذنوبهم وأقام حقّ الله فيهم ولم يمنعهم سهمهم من الإسلام[2].**

(١) أنظر بحار الأنوار: ٣٣/٣٧٣.

(٢) نهج البلاغة المختار من كلامه: ١٢٧.

وضع الكوفة

اختار عليّ عليه السلام الكوفة بعد منصرفه من صفّين قاعدة له وعاصمة يدير منها دفّة الوضع السياسي للبلدان الإسلامية الأخرىٰ لأنها ذات موقع استراتيجي مهم فهي نافذة علىٰ الشام الّتي تعتبر العقبة الحرون أمام خلافته وإمامته وبين الوضع في الحجاز الذي تتجاذبه الإختلافات القائمة بين العوائل والّتي يتوزّع الولاء فيها علىٰ مقدار ما تملكه الكيانات من إقناع ولياقة وهذا من شأنه أن يضعف هيبة الخلافة ويفقدها صلاحيتها بالتدريج.

وكذلك فالكوفة تكاد تكون قريبة من البصرة الّتي هي معقل وموقع مهمّ للرأي العثماني والتصورات الّتي يمليها أنصاره.

أضف إلىٰ كلّ هذا فالكوفة تتمتّع بإقتصاد أرقىٰ بكثير من المدينة وما أحوج ما يكون الخليفة الجديد إلىٰ تأمين اقتصاديات حكومته لأنّه الشريان الأبهر لحركة الحياة في كيانها.

وقد توالىٰ علىٰ الكوفة عدّة ولاة منذ تأسيسها وزرع هؤلاء الولاة بذور التربية الّتي يريدونها وتكوّنت لهم فيها مجاميع ومريدون.

مع أنّ هناك ثلّة طاهرة في خطّ الإمامة إلاّ أنّها لا تشكّل القوّة الضاربة الّتي بإمكانها أن تعطف بسير الأحداث والقضايا متىٰ شاءت.

أضف إلىٰ الهجانة الّتي صبغت المجتمع الكوفي فهو مجتمع خليط من عدّة جنسيات.

ولو تسنّىٰ لأمير المؤمنين أن يمكث فيهم طويلاً لخلق من هذا المجتمع بشكل مثير مجتمعاً مثالياً رائعاً. لا يمكنه أن ينفصل عنه أو يولّي وجهه عن قراراته إلاّ أنّ الفترة كانت قصيرة والحجم الإعلامي ضدّه كان كبيراً وحركة المعارضة جادّة لا تلوي علىٰ شيء.

ولهذا رأينا جملة من جيشه عليه السلام همّوا باللّحاق بالخوارج وكانوا علىٰ خوف منه وقد أرسل رجلاً من أصحابه يعلم له علمهم. فلمّا عاد إليه قال له:

آمنوا فقنطوا أم جبنوا فظعنوا؟

فقال الرجل: بل ظعنوا يا أمير المؤمنين.

فقال: بعداً لهم كما بعدت ثمود أما لو أشرعت الأسنّة إليهم وصبّت السيوف علىٰ هاماتهم لقد ندموا علىٰ ما كان منهم إنّ الشيطان اليوم قد استغلّهم[1] وهو غداً متبرىء منهم ومخلّ عنهم فحسبهم بخروجهم من الهدىٰ وإرتكاسهم[2] في الضلال والعمىٰ وصدّهم عن الحقّ وجماحهم[3] في التّيه[4].

ولمّا سار أمير المؤمنين عليه السلام إلىٰ النهروان استخلف علىٰ الكوفة رجلاً من النخع يقال له هانىء بن هوذة فكتب إلىٰ عليّ عليه السلام أنّ غنياً وباهلة فتنوا فدعوا الله عليك أن يظفر بك[5].

وساد الهرج هذا المجتمع وفقدت الضوابط والموازين فيه وقد لعب الخوارج دوراً له الأثر في هذا الهياج الأهوج، وأرادوا أن يعيدوا الضجّة علىٰ مقام الخلافة كما كان عليه الناس مع عثمان.

ففي ذات يوم خرج عليّ عليه السلام يخطب الناس فصاحوا به من جوانب المسجد لا حكم إلاّ لله.

وصاح به رجل منهم واضع إصبعه في أذنيه فقال:

﴿ولقد أوحي إليك وإلىٰ الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطنّ عملك ولتكوننّ من الخاسرين﴾[6].

فقال له عليّ عليه السلام:

﴿فاصبر إنّ وعد الله حقّ ولا يستخفنّك الذين لا يوقنون﴾[7].

---

(١) استغلّهم: أي وجدهم فلاً لا خير فيهم.

(٢) الركس: ردّ الشيء مقلوباً.

(٣) جماحهم: جمح الفرس أي غلب فارسه.

(٤) التيه: الضلال.

(٥) أنظر الغارات للثقفي: حديث ٢.

(٦) سورة الزمر: الآية ٦٥.

(٧) سورة الروم: الآية ٦٠ والخبر في تاريخ الطبري: ٥/٤٠١.

فإذا تلفّت الناس لمكان الصائح نادىٰ:

لا حكم إلاّ لله ولو كره المتلفّتون!!

فرفع عليّ رأسه وقال:

لا حكم إلاّ لله ولو كره أبو الحسن، إنّ أبا الحسن لا يكره أن يكون الحكم لله.

ثم قال: حكم الله أنتظر فيكم[1].

(١) أنظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١/٤٩٠.

خلفية حركة الخوارج

أطاف المارقون حول فكرة قتال معاوية وتوبة عليّ من ذنبه فالأولىٰ تعني نقض العهود بين طرفين وفي ذلك إيحاء بعدم احترام الإسلام للعهد «إنّ العهد كان مسؤولاً» ثمّ هي القاعدة الّتي أجبرت القيادة علىٰ أن ترضخ لقرار التحكيم المشين، وبعد أن تتفق مع خصيمها في قرار إيقاف القتال إلىٰ فترة محدّدة وربّما تبادر بالمطالبة في العودة إليه إذن هي صاحبة القرار وهي المعنيّة برفع شعار السلم والحرب متىٰ اشتهت. في الوقت الذي لا يسمح الإسلام بمثل هكذا لعب في حياته السياسية بالرغم من حداثة نشأته وأنّ له خصوم ومناوئون في خارج الدولة الإسلامية وفي داخلها. ومن هنا يمكننا أن نقف علىٰ أنّ أي تحرّك يشبع الحياة صخباً وضجيجاً ليس إفرازاً طبيعياً تفرزه طبيعة الحدث الداخلي من تصورات مختلفة أو نزاعات قائمة علىٰ آراء مخصوصة بقدر ما هو وليد تفكير وسعي جاد أنشأته المدارس الأخرىٰ غير الإسلامية في هذا البيت الإسلامي الناشيء.

ولهذا انصبّ اهتمام الإمام علىٰ مسألة خروجهم بالسيف كتعبير عن قوّة عسكرية تواجه الدولة والخلافة تنفّذ الأوامر وهي غافلة عمّا يصنع بها ويراد منها ولم يعر أيّ إهتمام إلىٰ المسائل الأخرىٰ كمسألة كفره كما يقولون فإنّه عليه السلام ردّ ذلك ببساطة الواثق المطمئن.

أبعد صحبة رسول الله ﷺ والتفقه في دين الله أرجع كافراً ثمّ قال:

يا شاهد الله عليّ فاشهد ... أنّي علىٰ دين النبيّ أحمد

من شكّ في الله فإنّي مهتدي ... يا ربّ فاجعل في الجنان موردي

أصابكم حاصب ولا بقي منكم آبر أبعد إيماني بالله وجهادي مع رسول الله ﷺ أشهد علىٰ نفسي بالكفر؟ لقد ضللت إذاً وما أنا من المهتدين[1].

---

(١) نهج البلاغة: خطبة/ ٥٨.

فالمسألة إذن أبعد من أن يكون عليّ كافراً ومذنباً، المخطط لهذه الفترة الزمنية ولهذا الكيان الناشىء الذي أزاح الشبح المخيف عن القلوب بقوته وشكيمته وإصراره ثمّ هذا الموج الهادر من الشبّان المقبلين للإسلام بكلّ حيوية وإرادة يفترض أن يضعف ويشلّ ويأكل بعضه بعضاً، ولكن هل من يلتفت؟!

أجل لقد راح معاوية كما راح الناكثون وهكذا المارقون ضحية التخطيط اليهوديّ في المدينة والمسيحية الّتي عشعشعت في بيوت الخلافة روحاً.

ولم يكن من عليّ عليه السلام إلاّ تنبيههم مع علمه الكامن الكامل بأنّ هؤلاء صنائع لأولئك.

ولهذا بقي وبقيت مدرسته هدف الطعان علىٰ امتداد الأزمان ذلك أنّها شخّصت المؤامرة وأنهت دورها من أن تشقّ طريقاً لها في نفسية وروحية هذه المدرسة علىٰ جميع أصعدتها الفكرية والثقافية.

وظلّ القطّاع المتمرّد في أسماء متعددة من ناكثين أو قاسطين أو مارقين يرتعون ويتغذّون من ثدي الجريمة الذي هيأته الأيادي الأثيمة من يهود ونصارىٰ.

وهذا ما تجده في ما يفتون به من أنّ دار الهجرة دار كفر كما ذهبوا إلىٰ تكفير المسلمين واستحلال دمائهم.

فمن طريف أخبارهم حين أرادوا المضيّ إلىٰ المدائن أصابوا مسلماً ونصرانياً فقتلوا المسلم لأنّه عندهم كافراً واستوصوا بالنصرانيّ وقالوا: إحفظوا ذمّة نبيّكم[١].

فهذا موقف فقهي يراد منه الإبقاء علىٰ النصارىٰ وتهديد حياة المسلمين وهو هدف الحركة المارقة الّتي لا يعرف أكثر المنتمين إليها أسرارها ومراميها إلاّ أنّهم أوقفوهم علىٰ ظاهر يتمثّل بكفر عليّ ومعاوية وقناعة بالجهاد في سبيل الله وفق ما يرونه.

وكم تركت من آثار في التربية المعوجّة علىٰ طريق الإسلام بحيث أنّ الرّائي لهذا الدين من وراء تصرّف وتعنت أتباعه يلفظه ويتركه لأنّه مجموعة متناقضات لا يستقرّ فيها الذهن السليم.

---

(١) أنظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢/ ٢٨٠.

فهم يستحلّون قتل الإنسان المسلم بل أيّ إنسان فرضاً ويستحرمون قتل الخنزير ويعتبرون قتله فساداً في الأرض!!!

وسقطت رطبة من نخلة فوضعها أحدهم في فيه فصاحوا به فلفظها تورعاً[1].

وهكذا ففي كلّ يوم يخرج نتوء فاسد يشلّ حركة الإسلام ويشغل حياة المسلمين بما لا طائل ورائه إلاّ سفك الدّماء والإشتغال فيما بينهم وترك عدوهم يخطط وينشأ أجيالاً علىٰ هذا التخطيط حتىٰ يعيق بعدده وعدّته حركة الإسلام الصاعدة[2].

(١) أنظر الكامل في التأريخ: ٥٦٠.

(٢) موضوع من آراء الخوارج فيه تفصيل زائد على ما ذكرناه هنا عن مقاصد ومرامي وأهداف وجذور الحركة المارقة.

الحوار مع الخوارج

في غضون هذه الفترة القصيرة تكوّن للخوارج مكوّن ثقافي خاصّ وإهتدوا إلىٰ طرق كثيرة للتفكير في أغلب المجالات الإسلامية فصار لهم أدباً خاصّاً وفهماً للقرآن وتأويله وفقهاً خاصّاً فيما هي مدرسة قائمة علىٰ السيف والجهاد كما هو الواقع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما يزعمون إلىٰ جانب ذهني متميّز وإن كان باتجاه الشيطان والإرتداد عن الحقّ.

ولهذا فقد اهتمّ عليّ عليه السلام بهم اهتماماً بالغاً لأنّ الإنسان العقائدي المنطلق من موقع عقيدي خاص لا يضع السيف ولا يستسلم فهو أمام حالتين أمّا النصر أو الموت دون ما يعتقد.

ولقد رأينا علياً عليه السلام حين أرسل أليهم أحد أنبغ تلامذة مدرسته وهو عبد الله بن عبّاس ذلك الرجل الذي انطوىٰ علىٰ تفكير ناهض وعلىٰ أسس عقلية في متابعة المفردات العلمية وكان قد أوصاه أن:

لا تخاصمهم بالقرآن فإنّ القرآن حمّال ذو وجوه تقول ويقولون ولكن حاجّهم بالسنّة فإنّهم لن يجدوا عنها محيصاً[1].

ومع كلّ هذا فلم يفلح ابن عبّاس في أن يخرج معهم بنتيجة مرجوة فأساليبهم مشبعة بالختل والحيل والإلتفاف.

فقد التقاهم ابن عبّاس فقالوا له: ويلك يا ابن عبّاس أكفرت بربّك كما كفر صاحبك عليّ بن أبي طالب، ودار الحوار بينه وبين خطيبهم عتّاب بن الأعور الثعلبي:

فقال ابن عبّاس: من بنىٰ الإسلام؟

(١) نهج البلاغة: من كتابه إلىٰ عبد الله بن عباس.

فقال: الله ورسوله.

فقال: النبيّ أحكم أموره وبيّن حدوده أم لا؟

قال: بلىٰ.

قال: فالنبيّ بقي في دار الإسلام أم ارتحل؟

قال: بل إرتحل.

قال: فأمور الشرع ارتحلت معه أم بقيت بعده؟

قال: بل بقيت.

قال: وهل قام أحد بعده بعمارة ما بناه؟

قال: نعم الذرية والصحابة.

قال: أفعمّروها أو خرّبوها؟

قال: بل عمّروها.

قال: فالآن هي معمورة أم خراب؟

قال: بل خراب.

قال: خرّبها ذرّيته أم أمّته؟

قال: بل أمّته.

قال: وأنت من الذّرية أو من الأمّة؟

قال: من الأمّة.

قال: أنت من الأمّة وخرّبت دار الإسلام فكيف ترجو الجنّة؟[1]

فرجع ابن عبّاس فقال له أمير المؤمنين: ما رأيت؟

فقال ابن عبّاس: والله ما أدري ما هم؟

فقال عليه السلام: أرأيتهم منافقين؟

فقال: والله ما سيماهم سيماء منافقين إنّ بين أعينهم لأثر السّجود وهم يتأوّلون القرآن.

فقال عليه السلام: دعوهم ما لم يسفكوا دماً أو يغصبوا مالاً[2].

(١) أنظر المناقب: ٢/ ٣٦٩.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١/ ٤٩٠.

وأرسل إليهم أيضاً صعصعة بن صوحان ليحاورهم فلمّا أتاهم قالوا له: أرأيت لو كان عليّ معنا في موضعنا أتكون معه؟

قال: نعم.

قالوا: فأنت إذاً مقلّد علياً دينك إرجع فلا دين لك!!

فقال: ويلكم ألا أقلّد من قلّد الله فأحسن التقليد فاضطلع بأمر الله صدّيقاً لم يزل أو لم يكن رسول الله ﷺ إذا اشتدّت الحرب قدّمه في لهواتها فيطاء صماخها بأخمصه[١] ويخمد لهبها بحدّة مكدوداً[٢] في ذات الله عنه يعبر رسول الله والمسلمون فأين تصرفون؟ وأين تذهبون؟ وإلىٰ من ترغبون؟ وعمّن تصدفون؟ عن القمر الباهر والسّراج الزّاهر وصراط الله المستقيم وسبيل الله المقيم قاتلكم الله أنىٰ تؤفكون أفي الصدّيق الأكبر والغرض الأقصىٰ ترمون، طاشت عقولكم وغارت حلومكم وشاهت وجوهكم لقد علوتم القلّة من الجبل وباعدتم العلّة من النهل[٣] أتستهدفون أمير المؤمنين ووصيّ رسول الله ﷺ لقد سوّلت لكم أنفسكم خسراناً مبيناً فبعداً وسحقاً للكفرة الظالمين عدل بكم عن القصد الشيطان وعمي بكم عن واضح المحجّة الحرمان.

فقال له عبد الله بن واهب الراسبيّ: نطقت يا ابن صوحان بشقشقة بعير وهدرت فأطنبت في الهدير أبلغ صاحبك إنّا مقاتلوه علىٰ حكم الله والتنزيل ثمَّ أنشد:

كي تلزموا الحقّ وحده	ونضربكم حتّىٰ يكون لنا الحكم
فإن تتبعوا حكم الإله يكن لكم	إذا ما اصطلحنا الحقّ والأمن والسلم
وإلاّ فإنّ المشرفيّة محزم	بأيدي رجال فيهم الدِّين والعلم

فقال صعصعة كأنّي أنظر إليك يا أخا راسب مرملاً بدمائك يحجل[٤] الطّير بأشلائك لا تجاب لكم داعية ولا تسمع منكم واعية يستحلّ ذلك منكم إمام هدىٰ.

قال الراسبيّ:

---

(١) الأخمص من باطن القدم ما لم يبلغ الأرض وهو كناية عن الإستعلاء علىٰ الحرب وإذلال أهلها.

(٢) بمعنىٰ الكاد.

(٣) العلّة: الشربة الثانية أو الشرب بعد الشرب تباعاً والنهل محركة أو الشرب.

(٤) حجل: نزىٰ.

سيعلم الليث إذا التقينا دور الرحىٰ عليه أو علينا

أبلغ صاحبك أنّا غير راجعين عنه أو يقرّ لله بكفره أو يخرج عن ذنبه فإنّ الله قابل التوب شديد العقاب وغافر الذنب فإذا فعل ذلك بذلنا المهج!!

فقال صعصعة: عند الصباح يحمد القوم السرىٰ[1].

ثمّ رجع إلىٰ عليّ عليه السلام فأخبره بما جرىٰ بينه وبينهم فتمثّل عليّ عليه السلام:

أراد رسولي الوقوف فراوحا يداً بيد ثمّ أسهما لي علىٰ السّواء

بؤساً للمساكين يا ابن صوحان أما لقد عهد إليّ فيهم وإنّي لصاحبهم وما كذبت ولا كذّبت وإنّ لهم يوماً يدور فيه رحا المؤمنين علىٰ المارقين فيا ويحها حتفاً ما أبعدها من روح الله ثمّ قال:

إذا الخيل جالت في الفتىٰ وتكشفت عوابس لا يسألن غير طعان
فكرّت جميعاً ثمّ فرّق بينها سقىٰ رمحه منها بأحمر قان
فتًى لا يلاقي القرن إلاّ بصدره إذا أرعشت أحشاء كلّ جبان

ثمّ رفع رأسه ويده إلىٰ السماء وقال:

اللّهمّ أشهد ثلاثاً قد أعذر من أنذر وبك العون وإليك المشتكىٰ وعليك التكلان وإيّاك ندرأ في نحورهم.

أبىٰ القوم إلاّ تمادياً في الباطل ويأبىٰ الله إلاّ الحقّ فأين يذهب بكم عن حطب جهنم وعن طيب المغنم.

وأشار إلىٰ أصحابه وقال: استعدّوا لعدوّكم فإنّكم غالبون بإذن الله ثمّ قرأ عليهم آخر سورة آل عمران[2].

---

(١) هذا مثل يضرب للرجل الذي يحتمل المشقة رجاء الراحة.

(٢) أنظر الاختصاص للمفيد: ص١٣٢.

الأشعث بن قيس وتأجيج الفتنة

الأشعث بن قيس مفصل من مفاصل النفاق في الكوفة ولو نظرنا في خلفية هذا الطاغية لوجدنا مستنقعاً عاشت فيه الإثارات، فهو يعيش عقدة نقص يريد أن يسدّدها من وراء حركته المنافقة ضدّ الخلافة الجديدة.

والأغرب من الأشعث الذي هو من الوضوح بمكان أولئك الذين يؤمنون به، ويرون رأيه، وإن دلّ ذلك فإنّما يدل علىٰ مبلغ الجهل والتعصّب الذي أطبق علىٰ أغلب مرافق الحياة، ولهذا عاش عليّ عليه السلام بينهم ضائعاً وكأنّه ليس مخلوقاً يمشي بينهم علىٰ هدىً من الله ورسوله.

ولقد حاولت مدرسة أمير المؤمنين في جزء من عملها التربوي الرّائد تعريف المسلمين بنوايا هؤلاء ومقاصدهم وما تكنّه ضمائرهم.

ولقد قام عليّ يخطب فقال: إنّ الناس يزعمون أنّ رسول الله ﷺ عهد إليك عهداً لم يعهده إلىٰ غيرك فقال: إنّه عهد إليّ ما في قراب سيفي لم يعهد إليّ غير ذلك فقام الأشعث وقال يا أمير المؤمنين هذه عليك لا لك، وكانت جرأة ووقاحة من هذا اللاّغث ليصنع أجواءً طبيعية للإعتراض علىٰ الخليفة حتّىٰ يكثر اللّغط فتسقط الهيبة وينتفي دور الكلام.

ولكن الإمام عليه السلام لم يفوّت له ذلك ولم يتسامح معه فخفّض إليه بصره ثمّ قال له:

وما يدريك ما عليّ ممّا لي؟ عليك لعنة الله ولعنة اللاّعنين حائك بن حائك[1] منافق بن كافر. والله لقد أسَرك الكفر مرّة والإسلام أخرىٰ فما فداك من واحدة منهما مالك ولا حسبك وإنّ امرءاً دلّ علىٰ قومه السّيف وساق إليهم الحتف

---

(١) التعبير بالحياكة: قيل أنّ الأشعث وأباه كانا ينسجان برود ولكن الصحيح الحياكة نسج الكلام كناية عن كونه كذّاباً.

لحريّ أن يمقته الأقرب ولا يأمنه الأبعد[1].

وفي حروراء حين قابل عليّ عليه السلام الخوارج فقال لهم: هذا مقام من فلج فيه فلج[2] إلىٰ يوم القيامة، ثمَّ كلّمهم وناشدهم فقالوا: إنّا أذنبنا ذنباً عظيماً بالتحكيم وقد تبنا فتب إلىٰ الله كما تبنا نعدلك، فقال: أنا أستغفر الله من كلِّ ذنب.

وكان عليه السلام قد ورّىٰ في هذا الاستغفار توبته وقد رجع من وراء استغفاره هذا ستّة آلاف من الخوارج فلمّا استقرّوا بالكوفة دار الحديث في دواوينها ومجالسها أنّ علياً رجع عن التحكيم ورآه ضلالاً، وإنّما ينتظر أن يسمن الكُراع[3] ويجبى المال ثمَّ ينهض إلىٰ الشام.

فأتىٰ الأشعث علياً فقال: يا أمير المؤمنين إنّ الناس قد تحدّثوا أنّك رأيت الحكومة ضلالاً والإقامة عليها كفراً.

ممّا اضطرّ علياً عليه السلام أن يصحر بالحقيقة ويقول فيما هو الردّ علىٰ هذه الإشاعة وإبطال ما أشاعه الأشعث لإعتبارات إجتماعية وقانونية لا يجيز عليّ عليه السلام أن تمرّ عليه وتطوف من حوله مجموعة أقاويل لا أساس لها ولا واقع ويبقىٰ هو ينتظر الفرص ويتصيّد الأعاذير ويلوذ بالتوريات. فقال عليه السلام:

من زعم أنّي رجعت عن الحكومة فقد كذب ومن رآها ضلالاً فقد ضلّ[4].

وهذه إثارة جديدة خلقتها الأفواه الكاذبة وأرست أسسها الردّة عن الذين فوقف عليّ أمامها شامخاً وخرجت الخوارج من المسّجد واستعادوا ما كانوا عليه بل أكثر من ذي قبل.

فكلّ فساد كان في خلافة أمير المؤمنين وكلّ اضطراب حدث فأصله الأشعث ولولا محاقّة[5] أمير المؤمنين عليه السلام في معنىٰ الحكومة في هذه المرّة لم يكن حرب النهروان ولكان عليه السلام ينهض بهم إلىٰ معاوية يملك الشام فإنّه صلوات الله عليه حاول أن يسلك معهم مسلك التعريض والموارية، وفي المثل النبوي: الحرب

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١/٢٣٩.
(٢) الفلج: الظفر.
(٣) الكراع: اسم للخيل.
(٤) أنظر الكامل في التاريخ: ٥٥٨ طبع أوروبا.
(٥) المحاقّة: أن يقول كلّ واحد من الطرفين أنا أحقّ هذا أصلها والمراد المحاجّة والمجادلة.

خدعة وذلك أنهم قالوا: تب إلىٰ الله بما فعلت كما تبنا ننهض معك إلىٰ الحرب فقال لهم: كلمة مرسلة يقولها الأنبياء والمعصومون فرضوا بها ضمائرهم من غير أن تتضمّن تلك الكلمة اعترافاً بكفر أو ذنب فلم يتركه الأشعث وجاء إليه مستفسراً فأفسد الأمر ونقض ما دبّره عليه السلام وعادت الخوارج إلىٰ شبهتها الأولىٰ[1].

أجل لقد عاد المغفلّون والمغرورون إلىٰ ما هم عليه وإلاّ فرؤوسهم ماشون علىٰ طريقتهم وكلّ ما يكون في طريق الحوار أو إيجاد حجارة في هذا المسعىٰ فهو من باب تفويت الفرصة واستثمار الوقت المناسب للإنقضاض.

ونحن لا نعدم الأسلوب العلوي في دعوته من صميم ما يعتقد أنّه جادّ في هدايتهم وله في هذا الإتجاه أمل، وعلىٰ أساسه يعمل ويحاور ويدعو.

(١) راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢/ ٢٨٠.

راية أمان

لمّا أن آيس عليّ عليه السلام من أثر الحوار الذي أجراه معهم وقد آثره كثيراً قتلهم لعبد الله بن الخبّاب واستهتارهم بمقدرات الأمّة.

كان لا يرىٰ بحكم ذلك التمرّد والمروق إلاّ أن يقاتلهم، في الوقت الذي لا يرون هم إلاّ قتاله أيضاً.

وأنّىٰ لعليّ عليه السلام وهو صاحب القلب الكبير أن يبيدهم وهو يعلم أنّ فيهم المغرّر به.

إذن يحتاج إلىٰ سقف زمني وراية أمان ينضوي تحتها من لا حاجة له بالحرب ومن دفعته ثورة الشباب بلا أن يعرف النتائج.

فأعطىٰ راية الأمان إلىٰ أبي أيوب الأنصاريّ لينتشل منهم من يقرر ومن يرجع إلىٰ عقله في تلك اللحظات.

فناداهم أبو أيّوب: من جاء إلىٰ هذه الراية أو خرج من بين الجماعة فهو آمن فرجع منهم ثمانية آلاف رجل وأقام الباقون علىٰ الخلاف.

ووجّه أمير المؤمنين عليه السلام نحوهم كتاباً علىٰ يد عبد الله بن أبي عقب:

«والسعيد من سعدت به رغبته، والشقي من شقيت به رغبته، وخير الناس خيرهم لنفسه، وشرّ الناس شرّهم لنفسه وليس بين الله وبين أحد من خلقه قرابة وكلّ نفس بما كسبت رهينة».

وأتاهم أمير المؤمنين عليه السلام فاستعطفهم فأبو إلاّ قتاله وتنادوا أن دعوا مخاطبة عليّ وأصحابه وبادروا بالجنّة وصاحوا: الرّواح الرّواح إلىٰ الجنّة[1].

---

(١) أنظر المناقب: ٢/ ٣٧١.

موقف البصرة والكوفة

لمّا كانت الحرب مما لا بدّ منها فقد كتب أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ إلىٰ ابن عبّاس يأمره باشخاص أهلها فقرأ عليهم الكتاب وأمرهم بالشخوص مع الأحنف فشخص معه منهم ألف وخمسمائة فاستقلّهم ابن عبّاس فخطبهم وقال: لم يشخص منكم إلاّ ألف وخمسمائة وأنتم ستون ألفاً ألا إنفروا مع جارية بن قدامة السعدي وتهدّد من يتأخر وأمر أبا الأسود بحشرهم فاجتمع إلىٰ جارية ألف وسبعمائة فقدموا عليه بالنخيلة.

وجمع أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ رؤساء أهل الكوفة وقال:

أنتم إخواني وأنصاري وأعواني علىٰ الحقّ وصحابتي علىٰ جهاد عدوي المحلّين بكم أضرب المدبر وأرجو تمام طاعة المقبل.

وطلب إليهم أن يكتب له كلّ رئيس ما في عشيرته.

فقام سعيد بن قيس الهمدانيّ فقال: يا أمير المؤمنين سمعاً وطاعة ووداً ونصيحة أنا أوّل الناس جاء بما سألت.

وقام معقل بن قيس الرياحي فقال له نحواً من ذلك.

وقام عديّ بن حاتم وزياد بن خصفة وحجر بن عدي وأشراف الناس والقبائل فقالوا مثل ذلك فرفعوا إليه خمسة وستّين ألفاً فكانوا مع أهل البصرة ثمانية وستّين ألفاً ومائتين وبلغه أنّ الناس يقولون: لو ساد بنا إلىٰ هذه الحرورية فبدأنا بهم ثمّ خرجنا إلىٰ المحلّين فخطبهم وقال:

إنّ غير هذه الخارجة أهم إلينا منهم فدعوا ذكرهم وسيروا إلىٰ قوم يقاتلونكم كيما يكونوا جبّارين ملوكاً ويتخذوا عباد الله خولاً فتنادوا من كلّ جانب سر بنا يا أمير المؤمنين حيث أحببت.

وقام صيفي بن فسيل الشيباني فقال: يا أمير المؤمنين نحن حزبك وأنصارك نعادي من عاديت ونشايع من أناب إلىٰ طاعتك فسر بنا إلىٰ عدوّك من كانوا وأينما كانوا فإنّك إن شاء الله لن تؤتىٰ من قلّة عدد ولا ضعف نيّة أتباع.

وقام إليه محرز بن شهاب التميمي من بني سعد فقال يا أمير المؤمنين شيعتك كقلب رجل واحد في الإجماع علىٰ نصرتك والجدّ في جهاد عدوّك فأبشر بالنّصر وسر بنا إلىٰ أيّ الفريقين أحببت فإنّا شيعتك الذين نرجو في طاعتك وجهاد من خالفك صالح الثواب ونخاف في خذلانك والتخلّف عنك شدّة الوبال[1].

(١) أنظر أعيان الشيعة الأمين: ١/ ٥٢٢.

المسير نحو الخوارج وقصّة الحرب معهم

وعسكر الخوارج هناك في منطقة تسمّىٰ «حروراء» واتجه عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بمن معه نحوهم يريد قتالهم فلما وصل النهر قال لهم: ادفعوا لنا قتلة إخواننا منكم نقتلهم بهم ثمّ أنا تارككم وكاف عنكم حتّىٰ ألقىٰ أهل الشام فلعلّ الله يردّكم إلىٰ خير ممّا أنتم عليه فقالوا: كلّنا قتلتهم وكلّنا نستحلّ دمائهم ودمائكم وخرج إليهم قيس بن سعد بن عبادة فوعظهم وإحتجّ عليهم وقال لهم ركبتم عظيماً من الأمر تشهدون علينا بالشرك وتسفكون دماء المسلمين فلم ينجع ذلك فيهم.

وخطبهم أبو أيّوب الأنصاري فقال أنا وإيّاكم علىٰ الحال الأولىٰ الّتي كنّا عليها فعلام تقاتلوننا.

فقالوا: إنّا لو تابعناكم اليوم حكمتم غداً.

قال: فإنّي أنشدكم الله أن تعجلوا فتنة العام مخافة ما يأتي في القابل.

وقال لهم أمير المؤمنين: أيّتها العصابة الّتي أخرجها عداوة المراء واللّجاجة وصدّها عن الحقّ الهوىٰ ألم تعلموا أنّي نهيتكم عن الحكومة وأخبرتكم أنّ طلب القوم إيّاها منكم مكيدة ونبأتكم أنّ القوم ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن وإنّي أعرف بهم منكم عرفتهم أطفالاً ورجالاً وهم أهل المكر والغدر وإنّكم إن فارقتم رأيي جانبتم الحزم فعصيتموني حتّىٰ إذا أقررت بأن حكمت فلمّا فعلت شرطت واستوثقت فأخذت علىٰ الحكمين أن يحييا ما أحيا القرآن ويميتا ما أمات فاختلفا وخالفا حكم الكتاب والسنة فنبذنا أمرهما ونحن علىٰ أمرنا الأوّل فما الذي بكم ومن أين أتيتم.

قالوا إنّا حكمنا فلمّا حكمنا أثمنا وكنّا بذلك كافرين وقد تبنا فإن تبت كما تبنا فنحن منك ومعك وإن أبيت فاعتزلنا فإنّا منابذوك علىٰ سواء وأنّ الله لا يحبّ الخائنين.

فرمىٰ الخوارج أصحاب عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بالنبل وأوتي برجل قتيل متشحّط بدمه.

فقال عليّ عليه السلام الله أكبر الآن حلّ قتالهم احملوا علىٰ القوم فحمل رجل من الخوارج علىٰ أصحاب عليّ عليه السلام فجرح فيهم وجعل يغشىٰ كلّ ناحية. ويقول:

أضربهم ولو أرىٰ عليّاً ألبسته أبيض مشرفيا

فخرج إليه عليّ عليه السلام وهو يقول:

يا أيها المبتغي عليّاً إني أراك جاهلاً شقيا
قد كنت عن كفاحه غنياً هلمّ فابرز ها هنا اليا

وحمل عليه عليّ عليه السلام فقتله ثمّ خرج منهم آخر فحمل علىٰ الناس ففتك فيهم وجعل يكرّ عليهم وهو يقول:

أضربهم ولو أرىٰ أبا حسن ألبسته بصارمي ثوب غبن

فخرج إليه عليّ وهو يقول:

يا أيّها المبتغي أبا حسن إليك فانظر أينا يلقي الغبن

وحمل عليه وشكّه بالرمح وترك الرمح فيه وإنصرف عليّ عليه السلام وهو يقول:

لقد رأيت أبا حسن فرأيت ما تكره.

وكان شدّة بأس الخوارج أن طعن أحدهم فمشىٰ في الرمح وهو شاهر سيفه إلىٰ أن وصل إلىٰ طاعنه فضربه فقتله وهو يقرأ: «وعجلت إليك ربّ لترضىٰ»[1].

وبالتالي لم يبق من القوم تسعة أنفار والباقون وفدوا إلىٰ جهنّم وبئس المصير.

ووقف عليّ عليه السلام علىٰ قتلىٰ الخوارج فقال:

بؤساً لكم لقد ضرّكم من غرّكم.

فقيل له: من غرّهم يا أمير المؤمنين؟

فقال: الشيطان المضلّ والأنفس الأمّارة بالسوء غرّتهم بالأماني وفسحت لهم في المعاصي ووعدتهم الإظهار فاقتحمت بهم النار[2].

---

(١) أنظر الأعيان: ١/ ٥٢٤.

(٢) نهج البلاغة: ٣٢٣.

شخصية الخوارج وحروبهم

لا يفهم المارقة شيء إلاّ التعامل بالسيف مع المسلمين وقد إنطوو علىٰ هذا المنحىٰ من التوجه والتصورات في حركتهم العامّة.

ولقد إنضوىٰ تحت لوائهم الكثير ممّا لم يجد حيلة ولا يهتدي السبيل وممّن يريد أن يعبّر عن حقده الملتاث علىٰ جمهرة المسلمين والكيان الإسلامي والخلافة.

ولقد ولّد هذا التجمّع علىٰ أساس القناعة بالأفكار ممّا عملوا لكثير من القطاعات المارقة غسيل دماغ فهيئوهم وهم عليها للخروج والثورة والإرعاب.

أضف إلىٰ أنّ المفاصل الخارجة والّتي تدير دفّة الأمور والمتصدية للقيادة لم يكونوا بالمهملين في مجتمعهم بل كانوا مقالع مهمّة ورموز واضحة في قبائلهم أو في تجمعاتهم.

وهذا من شأنه أن يعطي دفعاً قوياً لهم في أرض الواقع، وحركة سريعة لمواجهة الخلافة الّتي كانت تتسم بالقوّة والمكنة والزهد والعبادة، كما هو الحال لأمير المؤمنين عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

فهم والحال هذه أيضاً أهل عبادة وقراءة قرآن وزهد وتوجّه وقد أغرىٰ هذا المظهر العبادي كثيراً من الأمّة وإنساق الكثير معهم بسبب ذلك...

ولهذا فبعد أن خرجوا عن الصف الإسلامي تحت شعارهم المعروف لم يكن أحدٌ منهم يعرف الخوف من المصير الذي سيواجهه.

وكذلك بعد أن صفّاهم عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ في حرب النهروان ولم يبق منهم إلاّ حثالة كان لهم اللّياقة في سرعة الإنتشار في البلدان وإظهار دعوتهم علناً ممّا استجمعوا حول راياتهم الجموع الغفيرة التي أزعجوا بها المسلمين والسلطة وقتئذ.

وبالتالي رأينا الإنقسامات في صفوفهم ممّا أضعفهم أمام من يريدون حربه

والخروج عليه في وقت هم كحركة خارجة أحوج ما يكونوا إلىٰ الوحدة في الفهم والموقف.

وإن دلّت هذه الإنقسامات علىٰ شيء فإنّما تدلّ علىٰ أن في الخوارج ممَن لا يرغب في السكون والعمل علىٰ طريقة هي الحجّة في الحركة والتصور.

وطبيعي لأية مجموعة إذا تناوشتها الإنقسامات علىٰ أساس التصحيح الثقافي والذهني فإنّ عمرها سيطول ممّا يكون لها مستقبل في حركة الحياة وإستقطاب الذوات لهم الأثر والأهمية في وسط مجتمعهم.

علىٰ أنّ حركة الخوارج لم تكن بالّتي تمتلك تصوّراً دقيقاً للإسلام في أصوله وأسسه ولم تمتلك خطّة مستحكمة في طريقة العمل.

وهذا هو السبب الذي شقّ الحركة علىٰ فرق وإتجاهات ومذاهب وهو طبيعي لمن لم يكن له حجّة في الإسلام ووعي.

إذن لا ينسحب هذا التقييم علىٰ مساحة النبوات وأوصيائهم والأماثل الذين يحكمون بما أنزل الله تعالىٰ.

حيث الإنقسامات في هذه الدائرة حالة مرضية لأنّها تعني التراجع والإنكفاء لأنّ النبوات ومن يقوم بتطبيق ما جاءوا به عن وعي وبصيرة هي قمّة سامقة في وعي الأديان والإطروحة المثلىٰ الّتي لا يبليها تبدّل الزمن ولا يأت عليها الهزال مهمّا تعاقبت الأجيال.

ولهذا لو لم يتورّط الخوارج في إتخاذهم مبدأ تكفير المسلمين ولا أي متبنىٰ له صفة الاختلاف مع الإسلام كدين. واكتفوا بمخالفة عليّ عليه السلام لكفاهم ذلك مروقاً لأنّ عليّاً عليه السلام له صفة القيمومة علىٰ الدّين والمحرّك لمبادئه في عمق الواقع المعاش وهو المقياس له في كلّ منحىٰ من مناحيه.

ولهذا الأساس أطلق عليهم عليّ عليه السلام في مستقبل لهم فيما تتوالىٰ عليهم الضربات والنكبات أن سيكونوا لصوصاً سلاّبين[1].

لأنّ من لا يملك تصوراً متيناً وواضحاً عن أحداث الحياة ولا كيفية تطويع

---

(١) نهج البلاغة خطبة/ ٦٠.

الحياة للمبادىء بإسلوب أمثل. فإنّه ستحيله الحياة إلىٰ ركام وجثة هاجعة لا حراك فيها.

ولأنّ منطق القوّة منطق لا يتسنىٰ له أن يعيش ويحيا علىٰ طول الطريق، ولا يملك الخوارج غيره وغير الإجتهادات التي لم يوفّق لها أن تأخذ طريقها أمام السيل الهادر من الفهم الواعي للدِّين في إطار الإجتهاد الذي تراعىٰ فيه الأحكام العامّة للإسلام والبقاء علىٰ هيبتها وقدسيتها.

ومع كلّ هذا فهم في الحياة الإسلامية أصبحوا حقيقة واقعة وظاهرة لا بدّ أن يحسب لها حساب لإعتبارات تقدّمت.

وبالتالي لم يكتب لهم النجاح في مسارهم وصاروا شذر مذر كلّ تحت نجمة من النجوم ولم يكن لهم من يقوم بترجمة ثقافتهم وفكرهم عبر هذا التاريخ الطويل إلاّ الشواذ من الناس والمعطّل الذي لا يقوىٰ علىٰ مواجهة الحياة.

ويبقىٰ تقييم أمير المؤمنين يلاحقهم أينما كانوا حيث يقول:

وأنتم معاشر أخفاء الهام سفهاء الأحلام[١] ثمَّ أنتم شرار الناس ومن رمىٰ به الشيطان مراميه وضرب به تيهه[٢].

ولكنّ عليّاً عليه السلام لا يعدم فيهم نيّاتهم بشكل عام وهو الإنتصار للدّين والحقّ ولكن عبر طريق معوجّ ورأي خائر وجهل مقيت أودىٰ بهم في مهاوي الهلاك والضياع.

ولو قايسناهم وهم علىٰ هذه الحال مع غيرهم من الذين يقصدون الباطل والتمرّد علىٰ الله تعالىٰ بإسم الإسلام لرجحت كفّتهم.

ولهذا فعليّ عليه السلام الذي كان يرىٰ في المستقبل القريب وما يتمخض عن أحداث جسام أنّ هؤلاء الذين أخطأوا في طلبهم للحق والهدىٰ سيكون لهم جولة وتمرّد علىٰ من طلب الباطل فأدركه وهو معاوية والأمويون بشكل عام حيث يقول:

لا تقتلوا الخوارج بعدي فليس من طلب الحقّ فأخطأه كمن طلب الباطل فأدركه[٣].

---

(١) نهج البلاغة خطبة/ ٣٦.

(٢) نهج البلاغة كتاب/ ٢١٧.

(٣) نهج البلاغة خطبة/ ٦١.

ولنا ونحن أمام الحديث عن شخصيتهم في حاضرها مع علي عليه السلام ومستقبلها مع غيره أن نستعرض بشكل خاطف وكإثارة وشاهد بسيط علىٰ ما قدمناه.

علىٰ أن نستعرض أهمّ شخصياتهم الّتي ذكرها المؤرخون ممّن لهم السهم الوافر في عملية القتال والتمرّد علىٰ السلطة. أو الوقوف أمام الوجودات الأخرىٰ الّتي تدّعي لنفسها الحقّ في خلافة المسلمين كعبد الله بن الزبير مثلاً.

فلقد كان نجدة بن عامر الحنفي وهو من أبرز شخصياتهم وله أتباع وأصحاب يسمّون بالنجدات وله رأي وفقه.

كان نجدة يصلّي بمكّة بحذاء عبد الله بن الزبير في كلّ جمعة وعبد الله يطلب الخلافة فيمسكان عن القتال من أجل الحرم.

وإستولىٰ نجدة علىٰ اليمامة وعظم أمره حتّىٰ ملك اليمن والطائف وعمان والبحرين ووادي تميم وعامر.

ومنهم المستورد بن سعد التميمي وهو من النسّاك كثيري الصلاة وله آداب وحكم مأثورة منها.

إذا أفضيت بسري إلىٰ صديقي فأفشاه لم ألمه لأنّي كنت أولىٰ بحفظه.

لا تفش إلىٰ أحد سرّاً وإن كان مخلصاً إلاّ علىٰ وجه المشاورة.

كن أحرص الناس علىٰ حفظ سرّ صاحبك منك علىٰ حقن دمك وخرج المستورد علىٰ المغيرة بن شعبة وهو والي الكوفة لمعاوية بن أبي سفيان في جماعة من الخوارج، فوجّه المغيرة إليه معقل بن قيس الريّاحي فلمّا تواقفا دعاه المستورد إلىٰ المبارزة.

وقال له: علام تقتل الناس بيني وبينك؟

فقال معقل: النصف سألت، فأقسم عليه أصحابه.

فقال: ما كنت لآبي عليه فخرج فاختلفا ضربتين خرّ كلّ واحد منهما من ضربة صاحبه قتيلاً.

ومنهم حوثرة الأسدي خرج علىٰ معاوية في عصابة من الخوارج فبعث إليه معاوية جيشاً من أهل الكوفة فأنزعج منهم حوثرة فقال لهم: يا أعداء الله أنتم

بالأمس تقاتلون معاوية لتهدّوا سلطانه وأنتم اليوم معه لتشدّوا سلطانه، وقتل في هذه الحرب.

ومنهم قريب بن مرّة الأزديّ وزحّاف الطائي وكانا عابدين مجتهدين من أهل البصرة. خرجا في أيّام معاوية في إمارة زياد.

وإختلف الناس أيّهما كان الرئيس؟ فاعترضا الناس فلقيا شيخاً ناسكاً من بني ضبيعة من ربيعة بن نزار فقتلاه.

وتنادىٰ الناس فخرج رجل من بني قطيعة من الأزد وفي يده السيف فناداه الناس من ظهور البيوت الحروريّة: انجُ بنفسك فنادوه لسنا حرورية نحن الشّرط فوقف فقتلوه.

فبلغ أبا بلال مرداس بن أديّة خبرهما فقال: قريب لا قرّبه الله! وزحّاف لا عفا الله عنه! ركباها عشواء مظلمة.

ثمّ جعلا لا يمرّان بقبيلة إلاّ قتلا من وجدا، حتّىٰ مرّا علىٰ بني عليّ بن سُود من الأزد وكانوا رماة، كان فيهم مائة يجيدون الرّمي فرموهم رمياً شديداً فصاحوا:

يا بني عليّ البقيا، لا رماء بيننا، فقال رجل من الأزد من بني عليّ بن سود:

لا شـيء لـلـقـوم سـوىٰ السّـهـام   مـشـحـوذة فـي غـلـس الـظـلام

ففرّ عنهم الخوارج وخافوا الطلب واشتقوا مقبرة بني يشكر حتّىٰ نفذوا إلىٰ مُزينة ينتظرون من يلحق بهم من مضر وغيرها فجاءهم ثمانون وخرجت إليهم بنو طاحية من بني سود وقبائل من مزينة وغيرها فاستقتلت الخوارج وحاربت حتّىٰ قتلت عن آخرها وقتل قريب وزحّاف.

ومنهم نافع بن الأزرق وكان شجاعاً مقدماً في فقه الخوارج وإليه تنسب الأزارقة.

وكتب نافع إلىٰ من بالبصرة: أمّا بعد فإنّ الله إصطفىٰ لكم الدّين فلا تموتنّ إلاّ وأنتم مسلمون.

إنّكم لتعلمون أنّ الشريعة واحدة والدين واحد ففيم المقام بين أظهر الكفّار ترون الظلم ليلاً ونهاراً وقد ندبكم الله عزّ وجلّ إلىٰ الجهاد فقال:

﴿وقاتلوا المشركين كافّة﴾[1].

ولم يجعل لكم في التخلّف عذراً في حال من الأحوال فقال:

﴿إنفروا خفافاً وثقالاً﴾[2].

وإنّما عذر الضعفاء.والمرضىٰ والذين لا يجدون ما ينفقون ومن كانت إقامته لعلّة ثمَّ فضّل عليهم مع ذلك المجاهدين فقال:

﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضّرر والمجاهدون في سبيل الله﴾[3].

فلا تغترّوا وتطمئنّوا إلىٰ الدُّنيا فإنّها غرّارة مكّارة لذّتها نافدة ونعيمها بائد حفّت بالشهوات إغتراراً وأظهرت حبرة[4] وأضمرت عبرة فليس آكل منها أكلة تسرّه ولا شارب منها شربة تؤنقه[5] إلاّ ودنا بها درجة إلىٰ أجله وتباعد بها مسافة من أمله وإنّما جعلها الله دار المتزوّد منها إلىٰ النعيم المقيم والعيش السليم فليس يرضىٰ بها حازم داراً ولا حكيم قراراً فاتقوا الله وتزوّدوا فإنّ خير الزاد التقوىٰ والسلام علىٰ من إتّبع الهدىٰ.

ويعتبر نافع بما أوجد من فقه وآراء جديدة منفرداً عن الخوارج في فقههم وآراءهم ولهذا أقام في أصحابه بالأهواز يستعرض الناس ويقتل الأطفال ويأخذ الأموال ويجبي الخراج وفشا عماله بالسّواد فارتاع لذلك أهل البصرة[6].

وقاد نافع حروباً ضراساً راح ضحيتها كثير من الناس وكان معه عطية بن الأسود وعبيدة بن هلال اليشكري وأخاه محرز بن هلال.

فاتفق أهل البصرة علىٰ رجل من قريش يقال له مسلم بن عبيس علىٰ أن يسير إلىٰ الأزارقة في سبعمائة رجل فخرج والتقىٰ معهم.

---

(١) سورة التوبة: الآية٣٦.

(٢) سورة التوبة: الآية ٤١.

(٣) سورة النساء، الآية: ٩٥.

(٤) الحبرة: النعمة.

(٥) تؤنقه: تعجبه.

(٦) أنظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٤/ ١٣٢ ـ ١٤٠.

وكانت البصرة يومذاك تحت إمرة عبد الله بن الحارث والذي يتولّىٰ عبد الله بن الزبير ويرجع إليه.

وإختاروا فيما بعد المهلّب بن أبي صفرة لعزمه وحزمه ومعرفته بالحروب فأوقع في صفوفهم الهزائم.

فتراجع الأزارقة إلىٰ موضع يقال له الرجان من أرض فارس واجتمع إليهم خلق كثير ممّن كان علىٰ رأيهم.

فأرجعهم قطري بن الفجأة وقال لهم:

إعلموا أنّه لم يوت قوم في ديارهم إلاّ ذلّوا فسيروا بنا إلىٰ المهلب وثقوا من ربّكم بالنصر.

حتّىٰ إذا صاروا إلىٰ الأهواز إذا هم بجيش عظيم يقوده المهلّب فالتحموا معهم وفي هذه المرّة ولّت الأزارقة الأدبار منهزمين، وسار إليهم المهلّب حتّىٰ وافاهم بموضع يقال له كازرون فلمّا عاين القوم بعضهم بعضاً اصطّفوا وجرّدوا الصّفاح وأشرعوا الرّماح.

فأوقع فيهم الهزيمة النكراء فولّوا مهزومين إلىٰ سابور فنادىٰ المهلّب في أصحابه وسار حتّىٰ وافاهم هناك فلمّا نظروا إلىٰ رايته وقد طلعت بادروا وقد خرجوا إليه في تعبئة وزينة وسلاح وآلة لم يكونوا أظهروها قبل ذلك. فحاصرهم فيها وفيها جاءه عزله من قيادة الجيش وعيّن مكانة عمر بن عبيد الله بن معمّر التميمي.

فأقام معهم حرباً كان لهم فيها الفوز وزحفوا علىٰ سواد ابن معمّر فاستباحوه وأخذوا جميع ما فيه ثمّ رجعوا إلىٰ سابور بالغنائم فأرجعوا المهلّب ثانية لقتالهم.

وكانت لهذه الحروب الّتي استمرّت ما يقرب من عشرين سنة الأثر في زعزعة النظّام ممّا دفع الشيعة في الكوفة أن يتحرّكوا ويأخذوا بثارات أبي عبد الله الحسين بن عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وكان رئيس هذا التجمّع سليمان بن صرد الخزاعي فكتبوا إلىٰ شيعة أهل البصرة وشيعة المدائن بما قد عزموا عليه فأجابوهم علىٰ ذلك.

وبعدها قام المختار بأمر من محمّد بن الحنفيّة الذي كان مظاهراً لعبد الله بن الزبير ولبني أميّة قتلة أخيه الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وكان للخوارج في هذه المنازلات والتحولات السياسية مواقف متأرجحة فبعض كان مع عبيد الله بن زياد في قتل الحسين عليه السلام وبعض كان مع أهل البيت يعني زين العابدين كسعيد بن المسيّب وأمثاله ضدّ الأمويّين. إيماناً منهم بعدم صلاحية الإثنين وإعانة كليهما علىٰ قتل أحدهما الآخر هي ربح لهم كما يرون.

ولهذا رأيناهم حين قام المختار الثقفي بالأمر واجتمعت كلمة أهل الكوفة حوله طالباً بثارات الحسين وقتل من شارك في قتله رأيناهم ينقضون بيعة المختار ويؤلبون عليه أمثال الشمر بن ذي الجوشن وشبث بن ربعي وأضرابهما المارقين.

وقد مكّن الله المختار منهم فقتلهم شرّ قتلة. وهرب منهم من هرب وألقىٰ بنفسه وجماعته في أحضان مصعب بن الزبير في البصرة، لمواطاتهم معه علماً أنّه مشغول بقتال إخوان لهم وهم الأزارقة في سابور وغيرها.

فسار مصعب بن الزبير ومعه المهلّب بن أبي صفرة والمارق البغي محمّد بن الأشعث بن قيس لقتال المختار في الكوفة. وفيها قتل المختار كما قتل محمّد بن الأشعث وأرسل مصعب برأس المختار إلىٰ أخيه عبد الله بن الزبير بمكّة.

وسار خالد بن عبد الله بن أسيد أمير العراقين لقتال الأزارقة فبلغ ذلك قطري بن الفجأة صاحب الأزارقة فقام فيهم خطيباً وقال:

يا معاشر المهاجرين! إنّه قد صار أمرنا إلىٰ ما كنا عليه وقد كان الناس في المهابة علىٰ ما كانوا عليه.

فقال له عبيدة بن هلال: يا أمير المؤمنين! أو لا تخاف يوماً مثل يوم عبد الله بن ماحوز؟

فقال قطري: إنّنا نخاف ولكن مع الخوف رجاء.

ثمّ سار من بلاد فارس حتىٰ تقاربوا من الأهواز فجبوا الخراج وقتلوا من ناواهم وقوي أمرهم وتسارع الناس إليهم من كلّ ناحية.

فاقتتل خالد مع الخوارج قتالاً شديداً وكان النصر لهم فيها والفوز وانهزم خالد وسلمت سفنه بجميع ما فيها من مال وسلاح ثمّ ملؤها قصباً وأشعلوا فيها النار وأطلقوها فأقبلت السفن والنار ملتهبة فيها كأنّها الجبال.

فدعا المهلّب ابنه يزيد فتقدّم إليهم فهزمهم وصاروا إلىٰ أرض فارس ونزل المهلّب بالأهواز علىٰ خراجها.

ثمَّ سار إليهم أخو خالد وهو عبد العزيز وكان هذا القرار علىٰ غير رضا من عبد الملك بن مروان إلاّ أنّ خالداً يريد أن يسقط هيبة المهلّب من قلوب أهل البصرة وينكّل به:

ولم يحالف عبد العزيز الحظّ في القضاء عليهم حيث انهزم هو وقتل جيشه وسبيت امرأته، فتقدّم قطري بن الفجأة فضرب عنقها.

فجاء المنهزمون حتّىٰ صاروا إلىٰ الأهواز وبها يومئذ المهلّب فأخبروه بأمر الوقعة فاغتمّ المهلّب لذلك غمّاً شديداً ثمَّ أمر بالجسور فقطعت خوفاً من أن تدخل الأزارقة إلىٰ البصرة.

ثمَّ إنّ عبد العزيز مضىٰ إلىٰ مكة فأقام بها حياءً من الناس.

ثمَّ سمع أنّ الأزارقة تريد البصرة فكتب خالد إلىٰ المهلّب يأمره بردّهم فسار المهلّب من الأهواز يريد الأزارقة فالتقوا وتقاتلوا قتالاً شديداً وفي هذه الوقعة قتل الحصين بن مالك فجزعت الأزارقة عليه جزعاً شديداً.

وتقدّم محرز بن هلال أخو عبيدة بن هلال حتّىٰ وقف بين الجمعين علىٰ فرس له وهو يقول: اللّهمّ إنّي أسألك الجنّة ومرافقة أهل النهروان ثمَّ حمل فلم يزل يقاتل مقبلاً غير مدبر حتّىٰ قتل، فاغتمّ الأزارقة غمّاً شديداً. واستماتوا بعد مقتله فوثب لهم المهلّب وصارت الدّائرة عليهم وولوا مدبرين واحتوىٰ المهلب علىٰ كراعهم وعامّة أموالهم.

وعزل عبد الملك بن مروان خالداً وولىٰ بشر بن مروان مكانه. وعزل بشر المهلّب عن حرب الأزارقة، فرجعوا من سابور فارس حتّىٰ نزلوا الأهواز فأشار وجوه أهل البصرة علىٰ بشر أنّه لا يقدر أحد علىٰ الأزارقة إلاّ المهلّب فأرجعه علىٰ مضض.

فخرجَ إليهم المهلب بعشرة آلاف فارس من البصرة من الأزد قومه وثمانية آلاف من أخلاط القبائل ثمَّ سار يريد الأهواز ورحلت الأزارقة من الأهواز حتّىٰ لحقت بسابور.

وأقام المهلّب في الأهواز ثلاثاً ثمّ رحل حتّىٰ نزل بمدينة رامهرمز في جميع

أصحابه وفي هذه الفترة اعتلّ بشر بن مروان فمات فلمّا سمع جماعة المهلّب ذلك تفرّق عنه بعضهم وبلغ الأزارقة موت بشر ففرحوا لذلك فقام قطري بن الفجأة في الأزارقة خطيباً فقال:

أمّا بعد يا معشر المهاجرين! فإنّ بشر بن مروان قد مات وتفرّق الناس عن المهلّب إلاّ قليل منهم وهذا العراق ليس به أمير فهل لكم أن تغنموا الفرصة من المهلّب بن أبي صفرة بوقعة تواقعوه بها؟ فلعلّنا أن نظفر منه بشيء.

فقام عبيدة بن هلال اليشكري فقال: يا أمير المؤمنين! إنّ المهلّب لا يقيم بدار مضبعة وقد بقي معه من أصحابه من يثق بهم وهم الذين سرنا إليهم بالأمس فنفونا عن جسر الأهواز حتّىٰ بلغوا بنا إلىٰ سابور.

ولو أنّ المهلّب رأىٰ منّا تحرّكاً لم نبال أن يسير إلينا فيمن معه فيلقانا كان الأمر له أم عليه.

فقام عبد ربه الكبير فقال: يا أمير المؤمنين! دع عنك كلام عبيدة بن هلال فإنّ المهلّب لا يبرح من رامهرمز أبداً ولو أقام بها وحده أو يأتيه المدد فإن أردته فهذا وقته ما دامت الخيل قد تفرّقت عنه.

فقام عمرو القنا فقال: يا أمير المؤمنين! دع عنك كلام هؤلاء وأترك المهلّب ما تركك وأرده ما أرادك فليس الذي في يده بأعظم ممّا في يديك.

وإنّك إن خاطرت لم يخاطر لأنّه شيخ العراق ومحرك الحروب غير مدافع.

فقال قطري بن الفجأة أما إنّه لولا علمي بأنّ المشورة فيها البركة لما شاورتكم في شيء أبداً غير أنّي أعلم رأيكم إن تركتم المهلّب اليوم وطلبتموه غداً ندمتم أشدّ الندامة.

وكتب المهلّب إلىٰ عبد الملك بن مروان يعلمه بجموع الأزارقة وشدّة بأسهم فجمع ابن مروان وجوه القوم وخطبهم إلىٰ أن قال: فمن للعراق وحرب الأزارقة؟

فسكت الناس وتكلّم الحجّاج فقال: أنا لها يا أمير المؤمنين! فولّني إيّاها، فقال عبد الملك لكاتبه أكتب عهده علىٰ العراقين.

ثمّ كتب إلىٰ المهلّب في حرب الأزارقة. وحشر الناس إلىٰ المهلّب حشراً وإستعمل السيف في من تأخّر.

فأقام المهلّب علىٰ سابور يحارب الأزارقة ليلاً ونهاراً حتّىٰ طالت الحرب ثلاث سنين كملاء وأزادها سنة ولم تنتهي، وأكثر الحجاج من رسله إلىٰ المهلّب لأنه أزعجه طول الحرب.

وإستعر القتال بينهم حتّىٰ إنهزمت الأزارقة ورحلوا عن سابور حتّىٰ صاروا علىٰ مسيرة عشرين فرسخاً منها. ودخلها المهلّب، وكان ذلك الوقت وقت برد وثلج ومطر.

وبينا المهلّب يخطب الناس بسابور وذلك في يوم النحر إذ أقبلت الأزارقة في جيش عرَمرم يقدمهم عمرو القنا وبلغ ذلك المهلّب فقطع الخطبة وأقبل إلى ابنه المغيرة فقال: يا بني دع الناس وعيدهم وأخرج إلىٰ أعداء الله.

فعبّىٰ المغيرة أصحابه وخرج من باب سابور فلمّا صار إلىٰ باب الخندق وإذا بعمرو القنا وقد تلقّاه بجيشه فتقاتلا وجرح فيها عمرو القنا وإنكشف الإزارقة من بين يدي ابن المهلّب كشفة فضيحة.

ثمّ كان بعد الأضحىٰ بثلاثة أيّام إذا بالأزارقة وقد أقبلت بخيلها ورجلها مستعدّين للموت، واشتدّ القتال بينهم وكلبت الأزارقة علىٰ المسلمين وحمل المهلّب بنفسه عليهم فلم يزل يقاتل حتّىٰ جرح سبع عشرة جراحة.

وعزمت الأزارقة علىٰ أن يبيت المهلّب في عسكره فزحفوا في جوف اللّيل حتّىٰ أشرفوا علىٰ المهلّب علىٰ باب سابور وعبيدة بن هلال اليشكري أمامهم فقال: أيقظوا القوم لكيلا يقولوا إنّنا أتيناهم وهم نيام! فاستيقظ الناس ودارت بينهم معركة عظيمة وقتل من الخوارج جماعة.

وجاء عين للمهلّب فقال أيها الأمير! إن أردت القوم الساعة فإنّ القوم قد صاروا إلىٰ شعب بوّان[1] وتقاتلا القوم فأطبقت الحرب هذه عليهما وكان الفضل للخوارج في أوّل النهار وللمهلّب في آخره.

وارتحلت الخوارج من موضعهم حتّىٰ صاروا إلىٰ إصطخر ووافاهم المهلب هناك ودارت الدائرة علىٰ الخوارج فانهزموا إلىٰ إصطخر وتحصّنوا بها فحاصرهم المهلّب فيها شهراً كاملاً.

---

(١) بوّان: شعب بين فارس وكرمان معجم البلدان ٢/ ٣٠٠.

وبعدها زحف بعضهم علىٰ بعض فأخذ أحدهم يبرز للآخر فيتقاتلان قتالاً منكراً كانت الهزيمة حصّة الخوارج والفضيحة.

فهربوا من إصطخر إلىٰ المدينة البيضاء[1] فوافاهم المهلب فيها فلمّا التفت الخوارج إلىٰ خيل المهلّب قد وافتهم رجعوا إليه وعزموا علىٰ الموت فتقدّم عبيدة بن هلال فحمل عليه بشر بن أخي المهلّب فطعنه طعنة سقط عبيدة عن فرسه مفضوحاً.

وصاح صالح بن مخراق: يا معشر المهاجرين! موتوا علىٰ دينكم وولّوني قتال القوم.

وجعل ينادي يا معشر المحلين بشر لبشر ونفر لنفر والله لابرحت أموت أو تموتوا.

فبرز إليه المفضّل ابن المهلّب فطعنه فانفلت منها وهو يولول.

واشتدّ القتال وجعلت الخوارج كلّما ملّ منهم قوم من القتال تأخّروا وتقدّم آخرون.

فقال المهلّب سبحان الله العظيم!! والله ما رأيت ولا سمعت بمثل هؤلاء القوم ساعة قط كان كلّ ما ينقص منهم أن يزيد فيهم.

وبعدها ولّىٰ الخوارج مدبرين نحو المدينة البيضاء فحاصرهم المهلّب فيها وضيّق عليهم غاية الضيق فلمّا رأوا ذلك خرجوا كالسباع الضارية.

وتقدّم عمرو القنا ونازله المفضّل بن المهلب فطعنه الأخير وكان في يده لواء الخوارج فسقط منه فأخذه أصحاب المفضّل.

فرجع عمرو القنا إلىٰ الحرب ثانية وإشتبك القتال بين الفريقين وحمل عمرو القنا علىٰ رجل من أصحاب المفضّل قد كان اللّواء في يده ليأخذه منه وحمل عليه المفضّل فضربه ضربه فولىٰ منهزماً هو وأصحابه حتّىٰ دخلوا المدينة البيضاء وذلك في وقت المساء.

وأصبحوا في ذات يوم وقد خرجوا من المدينة في تعبئة لم ير مثلها قبل ذلك إلىٰ حرب المهلّب وتقدّم رجل منهم يقال له زياد الضبيّ فجعل ينادي يا معشر

(١) أكبر مدينة في كورة اصطخر المعجم ٢/ ٣٣٥.

المحلين! هل من مبارز! فحمل عليه الرقاد بن عمرو فطعنه فخرّ منها قتيلاً فضجّ الخوارج بالبكاء عليه.

ثمّ إنّهم استماتوا فجعلوا يقاتلون أشدّ القتال إلىٰ أن اختلط الظلام وهكذا حتّىٰ جاءهم الاختلاف فحلّ بساحتهم فصاروا علىٰ ثلاث فرق:

فرقة مع صاحبهم قطري بن الفجأة.

وفرقة مع عبد ربّه الكبير.

وفرقة مع عبد ربّه الصغير.

فوثب رجل منهم يقال له الصلت بن مرّة الأيادي إلىٰ قطري بن الفجأة فقال:

يا أمير المؤمنين إنّا كنّا مرّة أفاعي فأصبحنا اليوم خنافس وقد كنّا أسوداً فأصبحنا ضباعاً وقد أصبح المهلّب يرجو منّا ما كنّا نرجو منه وقد بلغني أنّك تريد الهرب فإن كنت إنّما تريد الله والدار الآخرة فاثبت ومت حتّىٰ نموت معك وإلاّ فدع أصحابك حتّىٰ يستأمنوا إلىٰ المهلّب فإنّه يؤمنهم وانشأ يقول:

أبقىٰ لنا عبد رب بعد الفتنا   طعن الصدور فصرنا ضحكة العرب

فلمّا سمع قطري ذلك استعبر باكياً ووطّن نفسه علىٰ الموت وزحف هو وأصحابه علىٰ المهلّب وإقتتل القوم يومهم ذلك إلى اللّيل.

وارتحل عبد ربه الكبير وعبد ربه الصغير نحو بلاد كرمان وصار كلّ واحد منهم علىٰ حدة.

وارتحل قطري إلىٰ جيرفت، واشتدّ الحصار علىٰ قطري وأصحابه بمدينة جيرفت واتصل الخبر بأصحابه أنّه يريد الهرب فقام إليه رجل من الخوارج يقال له عامر بن عمرو السعدي فقال: يا أمير المؤمنين! إنّنا قد بلغنا عنك أنّك تريد الهرب فإن قاتلت قاتلتُ معك وإن هربت فأنا أبرأ إلىٰ الله منك!

فقال قطري من ههنا إضربوا عنقه! فضرب عنق السعدي فوثب ابن عمّ له فقال له: يا أمير المؤمنين! يكلمك ابن عمّي بكلمة فيها رضى فتأمر بضرب عنقه! لا يجب أن يكون جوابك القتل وعقابك السيف فإنّ الطاغي يرجع والمستعتب يعتب ألا والله لم يبق معك أحد إلاّ فارقك! فإنّ فعالك هذه من فعال الجبّارين.

فلمّا أن جنّ اللّيل هرب ذلك الرجل في جماعة من الخوارج حتّىٰ صاروا إلىٰ المهلب فاستأمنوه فأمّنهم.

فانزعج قطري كثيراً فأرسل إلىٰ من كان معه أن يتهيئوا لحرب المهلّب فإختلطوا وتلاحموا واقتتلوا قتالاً شديداً نسوا ما كان قبل ذلك ولم يزالوا علىٰ ذلك يومين وليلتين.

فلمّا كان من اليوم الثالث استخبر عبد ربه الصغير بقتال الخوارج مع المهلّب فسار إلىٰ المهلّب في جيش لجب وتقاتلوا معه فما انتصف النهار حتّىٰ قتل عبد ربه الصغير وقتل عامّة أصحابه وهم أربعة آلاف مقاتل وما إنفلت منهم إلاّ شرذمة قليلون.

ونظر قطري إلىٰ ما قد نزل بعبد ربه الصغير وأصحابه فولّىٰ منهزماً ووضع السيف في أصحابه فقتل منهم مقتلة عظيمة.

ومضىٰ هارباً حتّىٰ صار إلىٰ مدينة الريّ ومعه عبيدة بن هلال ومن تبعهم من الخوارج.

وافترقوا وقتئذ فصار قطري إلىٰ ناحية طبرستان ومضىٰ عبيدة قومس في ذيل جبال طبرستان.

وانضمت الخوارج إلىٰ عبد ربه الكبير فبايعوه بالخلافة وقالوا: نحن معك أو نفنىٰ عن آخرنا.

فغضب لذلك عطية بن الأسود وخرج من العسكر مخالفاً لعبد ربه وتبعه عبد ربه في نفر من أصحابه فقال: يا أبا الأسود! ارجع رحمك الله ولا تشقّ العصا فإنّ الناس قد بايعوني فلا تخالف ما عليه إخوانك.

فقال له عطية بن الأسود لا حاجة لي في المقام معك، فحمل عليه عبد ربه فطعنه في خاصرته طعنة فقتله ورجع إلىٰ عسكره فلمّا كان اللّيل لم يبق أحد من أصحاب عطية إلاّ خرج من العسكر وهم يقولون الصلاة خلف عبد ربه حرام بعد هذا ثمّ صاروا إلىٰ المهلّب فإستأمنوا إليه فأمّنهم.

فجمع عبد ربّه أصحابه فخطبهم وقال:

أمّا بعد يا معشر المهاجرين! فإن كنتم فقدتم الرجال فلم تفقدوا الإسلام وقد أراحكم الله من خمسة أشياء من جفاء قطري بن الفجأة، وأخلاط عبيدة بن هلال ونخوة عمرو القنا، وغيّ عبد ربه الصغير، وفتنة عطية بن الأسود، وقد صيّركم الله إلىٰ بصائركم الأولىٰ فاحمدوا الله علىٰ ذلك! وقد علمتم أنّ المهلّب قد نزل مدينة

جيرفت واحتوىٰ علىٰ غنائم إخوانكم وبني أعمامكم وأنا سائر إليه فسيروا علىٰ بركة الله.

فسار عبد ربه الكبير بجيشه حتىٰ شارف جيرفت فخرج المهلّب منها كالمنهزم عنها فظنّ أنّه قد انهزم بين يديه.

وشدّد المهلّب الحصار علىٰ جيرفت واشتدّ القتال بينهما ممّا ولّت الخوارج حتىٰ دخلوا المدينة بشرّ وعر فأقاموا يومهم ذلك.

فلمّا أصبح المهلّب عبّىٰ أصحابه للحرب ودنا من باب جيرفت وبلغ ذلك عبد ربّه قام في أصحابه خطيباً فقال:

يا معشر المهاجرين! إنّ قطري بن الفجأة وعبيدة بن هلال وعمرو القنا وشيعتهم إنّما هربوا رجاء البقاء وليس إلىٰ البقاء من سبيل ولقد زحف إليكم القوم وهؤلاء قوم بحدّهم وحديثهم فإن غلبوكم علىٰ الحياة فلا يغلبوكم علىٰ الموت فانظروا أن لا تبقىٰ الرماح إلاّ بالنحور والسيوف إلاّ بالوجوه وتعجّلوا قبل أحداث هذه الدُنيا وهبوا أنفسكم لله في الدنيا يهبها لكم في الآخرة ولا تيأسوا من النصر فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين.

فخرجت الخوارج مستميتين وقد عزموا علىٰ الموت وصاح عبد ربّه بأصحابه: يا معشر المهاجرين! روحوا إلىٰ الله فإنّ القوم رائحون إلىٰ النار.

فعندها كلبت الخوارج واشتدّ القتال ونزل عبد ربه عن فرسه فكسر جفن سيفه ونزلت معه الخوارج وكسروا جفون سيوفهم وعزموا علىٰ الموت.

فحمل عليهم المهلب حملة واحدة فقتل عبد ربّه فيها وقتل معه قريب من أربعة آلاف رجل في ربضة واحدة، وسالت دماؤهم إلىٰ وادي جيرفت حتىٰ احمرّ ماء الوادي وبقي الباقون بلا نظام فولّوا هاربين فمنهم من دخل مدينة جيرفت ومنهم من استأمن المهلّب فأمنه ومنهم من هرب علىٰ وجهه في البلاد.

ودخل المهلّب المدينة فاحتوىٰ علىٰ ما كان فيها من أمتعة الخوارج ودوابّهم وسلاحهم وأموالهم ونساءهم وأولادهم.

وأمّا من إنفلت من الخوارج أصحاب قطري وعمرو القنا فوجّه الحجّاج إليهم سفيان بن الأبرد الكلبي فذهبوا إليهم فاقتتلوا قتالاً شديداً فانتهت المعركة بقتل قطري وعمرو القنا وصالح بن مخراق ولم يفلت من الخوارج إلاّ واحداً وإسمه

قيس بن الأصمّ الضبيّ فبعث سفيان برؤوس هؤلاء المارقة إلىٰ الحجّاج.

ثمّ سار سفيان بجيشه إلىٰ قومس وكان قد تحصّن فيها عبيدة بن هلال فأجهدهم الحصار فأقبل عبيدة حتّىٰ أشرف من الحصن علىٰ سفيان فقال: يا أهل الشام يا عبيد من غلب! يا بقية الأحزاب! إجتمعوا إليّ! فدنا الناس من الحصن فقال: أيّما أحبّ إليكم أقرأ القرآن أم أنشدكم الشعر؟ فقالوا: أمّا القرآن فقد حفظناه يا عبيدة بن هلال ولكن أنشدنا شيئاً من شعرك.

فقال عبيدة: يا فسقة يا فجرة يا كفرة! أتختارون الشعر علىٰ القرآن.

ثمّ أمر عبيدة بن هلال بباب الحصن ففتح وخرج في أصحابه إلىٰ سفيان فاقتتلوا قتالاً شديداً علىٰ باب الحصن ساعة ثمّ نزل عبيدة عن فرسه فعرقبه وكسر جفن سيفه وترك أصحابه ففعلوا كذلك فلم يزل يقاتلون قتال قوم قد يأسوا من الحياة حتّىٰ قتل عبيدة وأصحابه كلّهم في معركة واحدة.

ثمّ أمر سفيان برأس المارق عبيدة ورؤوس أصحابه فجمعت ووجهت إلىٰ الحجّاج ووجّه بها الحجّاج إلىٰ عبد الملك بن مروان.

ومع هذا التقتيل المستمر والإفناء لهم عن بكرة أبيهم نرىٰ لهم بين الحين والآخر وجوداً وتحرّكاً ومساحة.

* * *

فظهر في الكوفة شبيب بن يزيد من شيبان وأخذ يدعوا قبائل العرب فيدعوهم إليه ويوعدهم الغارة فلم يزل كذلك حتّىٰ اجتمع إليه جيش عظيم.

وبلغ ذلك الحجاج فوجّه إليه برجل من أهل الشام يقال له عبيدة بن مخراق القيني في ألف فارس فهزمه شبيب وقتل عامّة رجاله.

ثمّ وجه إليه بيزيد بن هبيرة المحاربي في ألفي فارس فهزمه شبيب وقتل عامّة أصحابه.

ثمّ وجه إليه بعبد الرحمن بن محمّد بن الأشعث فهزمه شبيب وأتىٰ علىٰ أصحابه.

ثمّ وجّه إليه بزحر بن قيس الجعفي فهزمه هزيمة قبيحة وقتل من أصحابه جماعة.

ثمَّ وجّه إليه بعتّاب بن ورقاء التميمي فقتله شبيب وهزم أصحابه.

ثمَّ وجّه إليه بالطهمان مولىٰ آل بني معيط فقتله شبيب.

فوجّه إليه الحجّاج بمولىٰ يقال له أبو الورد فقتله شبيب.

ثمَّ وجه إليه بزياد بن عمرو العتكي فهزمه شبيب وقتل عامّة أصحابه.

ثمَّ وجّه إليه محمّد بن موسىٰ بن طلحة بن عبيد الله فقتله شبيب.

ثمَّ وجّه إليه برجل يقال له الطرس مولىٰ بني تميم فقتله شبيب كذلك أربع سنين كاملة يهزم عساكر الحجّاج ويقتل رجاله.

وبلغ ذلك عبد الملك بن مروان فضاقت عليه الأرض بما رحبت فأمر الحجّاج أن يخرج إليه بنفسه فخرج إليه في عسكر لجب فنزل، بموضع يقال له السبخة وبلغ ذلك شبيباً فسار إليه في جيشه ذلك فلم يشعر الحجّاج إلاّ وخيل شبيب قد وافته وهم يقولون: لا حكم إلاّ لله ولو كره المشركون! نحن المطالبون بدماء الأزارقة.

ثمَّ وضعوا السيف في أصحاب الحجّاج وهزموا الحجّاج ومن معه حتّىٰ أدخلوهم الكوفة ورجع شبيب بأصحابه حتّىٰ نزل مدينة الأنبار.

فوجّه عبد الملك بن مروان بألف رجل من أهل الشام وبلغ الخبر إلىٰ شبيب بأنّ الحجّاج قد وافته الجيوش من أهل الشام في أربعة آلاف فارس فأقبل علىٰ أصحابه فقال: ما الرأي عندكم الآن؟

فقالوا: الرأي رأيك يا أمير المؤمنين؟

قال: فإنّي رأيت أن أكبس الكوفة اللّيلة لنا أم علينا.

فقال أصحابه: ها نحن معك فافعل ما أحببت.

قال: فاعلفوا إذاً خيلكم وحشّوها واسقوها ففعلوا ذلك ثمَّ ركب شبيب وركب معه أصحابه وأقبل نحو الكوفة ومعه أمّه يقال لها الجهيزة في امرأة من نساء الخوارج ومعه أيضاً امرأته غزالة وكانت غزالة من سبي أصفهان فأقبلت ومعها مائتان وخمسون امرأة من نساء الخوارج.

فسار شبيب أيضاً في عسكره ومعه النساء وهنّ قد تقلدن بالسيوف وفي أيديهنّ الرماح.

فكبس شبيب الكوفة ليلاً وقد هدأت العيون فلم يكذب أن دخل المسجد الأعظم فدعا بأمّه وإمرأته فأقعدهما علىٰ المنبر ثمّ وضع السيف في أهل المسجد من المصلّين والحرس فقتلوا بأجمعهم وهو يقول: يا عدو الله! يا بن أبي رغال! يا أخا ثمود! أخرج إلينا والحجّاج يقول لغلمانه لا تكلّموهم فلعلّ الله أن يكفينا أمرهم فلم يزل كذلك حتّىٰ إذا طلع الفجر قال لبعض أصحابه أذّن وأقم فأذّن وأقام وتقدّم شبيب فصلّى بأصحابه فقرأ بهم في الركعة الأولىٰ بأمّ القرآن والبقرة والثانية بأمّ القرآن وآل عمران حتّىٰ كادت الشمس أن تطلع ثمّ جلس في المحراب يسبّح وأقبلت الخيول من كلّ جانب حتّىٰ أحدقت بأبواب المسجد وهم يقولون لا حكم إلاّ لله ولو كره المشركون.

وأقبل الحجّاج ومعه أربعة آلاف من أهل الشام فخرج إليهم شبيب وأصحابه واضطرب القوم في وسط السوق اضطراباً شديداً فلم يزل يضارب ويطاعن من وقت الغداة إلىٰ الليل حتّىٰ انهزم من الكوفة ومضىٰ هارباً علىٰ وجهه وقد قتل أصحابه حتّىٰ صاروا إلىٰ مدينة الأنبار فنزلها.

وطارده الحجاج فيها ممّا ولّىٰ شبيب منهزماً حتّىٰ صار إلىٰ بادرياً وباكسايا ثمّ إلىٰ كرمان.

فوجّه إليه الحجّاج بسفيان بن الأبرد الكلبي فأقبل سفيان حتّىٰ نزل علىٰ شاطىء الدجيل وأقبل شبيب نحوه فلمّا أقبل ليعبر الدجيل إلىٰ ما قبله أمر سفيان بالغوّاصين بجسر الدجيل فقطع وإستدارت السفن فغرق شبيب مع فرسه وسلاحه فأخرجوه من الماء وإحتزّوا رأسه ووجه به سفيان إلىٰ الحجّاج وقتل أمّه جهيزة وإمرأته غزالة وقتل عامّة أصحابه. وأسّر من بقي فوجّه بهم إلىٰ الحجّاج فلمّا وقفوا بين يديه رفع رأسه فنظر إلىٰ شيخ منهم وسيم جسيم فقال له: يا شيخ! اخترت الدنيا علىٰ الآخرة؟

قال: كلاّ يا حجّاج! ولكنّي اخترت الآخرة علىٰ الدنيا بخروجي عليك وعلىٰ صاحبك الفاجر.

فقال الحجّاج: إضربوا عنقه.

فقال الشيخ: الحمد لله ولا حكم إلاّ لله الحمد لله علىٰ ما قضىٰ وقدّر ولكن لا تعجل يا حجّاج فقد قلت بيتين من الشعر أريد أن أختم بها عملي.

فقال الحجّاج: قل ما بدا لك فأنشأ يقول:

أبـرأ إلـىٰ الله مـن عـمـرو وشـيـعـتـه ... ومـن عـلـيّ ومـن أصـحـاب صـفّـيـن
ومـن مـعـاويـة الـغـاوي وشـيـعـتـه ... لا بـارك الله فـي الـقـوم الـمـيـامـيـن

ثمَّ قدّم فضرب عنقه.

ثمَّ قدّم إليه آخر فقال له الحجّاج: ما دينك؟

قال: أنا علىٰ دين صاحب الفلك.

قال الحجّاج: وأنا علىٰ دين صاحب الفلك أيضاً فما تقول في عليّ وعثمان؟

قال: كافران، فقدّم ثمَّ ضرب عنقه.

ثمَّ قدّم إليه آخر فقال له الحجّاج ما دينك؟

قال: أنا علىٰ دين صاحب الأحقاف.

قال الحجّاج: وأنا علىٰ دين صاحب الأحقاف فما تقول في عليّ وعثمان؟

قال: كافران جميعاً، فقدّم فضربت عنقه.

ثمَّ قدم إليه رجل فقال له الحجّاج: ما دينك؟

فقال: أنا علىٰ دين صاحب الحجر.

قال: فما تقول في عليّ وعثمان؟

قال: كافران، فقدّم فضربت عنقه.

وقدّم إليه ثلاثة نفر في حبل وقد شدّت أيديهم علىٰ أعناقهم.

قال لهم الحجّاج: ما دينكم؟

فقال أحدهم: أنا علىٰ دين الذي وفىٰ.

وقال الآخر: وأنا علىٰ دين صاحب الأيكة.

وقال الثالث: وأنا علىٰ دين صاحب الألواح.

فقال الحجّاج: وأنا علىٰ دين من ذكرتم.

فقال: ما تقولون في الختنين عليّ وعثمان والحواريين طلحة والزبير والحكمين عمرو بن العاص وأبي موسىٰ الأشعري؟

فقالوا: نقول إنّهم كفّار وليس الحكم إلاّ لله ربّ العالمين، فقدموا فضربت أعناقهم صبراً.

ثمَّ قدّم إليه أسيران يحجلان في قيودهما حتىٰ وقفا بين يديه.

فقال الحجّاج لأحدهما: ما دينك؟

فقال: أنا علىٰ دين الإسلام الذي بعث الله به نبيّه محمّداً فهدي به من الضلالة وأنقذ به من العمىٰ والضلالة والجهالة، وعلىٰ دين صاحبه أبي بكر الصدّيق الذي ولي أمور الناس من هذه الأمّة فكان محموداً وخرج من هذه الأمّة مفقوداً وعلىٰ دين صاحبه عمر بن الخطّاب الذي عاش في الدنيا حبيباً ثمَّ قبضه الله إليه سعيداً وشهيداً.

قال الحجّاج: فما تقول في أمير المؤمنين عثمان بن عفّان؟

قال: ذاك رجل لا يلتقي بإسمه الشفتان.

قال: فما تقول في أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب؟

قال: ذاك رجل آمن صغيراً وكفر كبيراً.

قال: فما تقول في معاوية بن أبي سفيان؟

قال: وما أقول في رجل بين أطباق النيران ينادي: يا حنّان يا منّان! والرب عليه غضبان!

قال: فما تقول في عبد الملك بن مروان؟

قال: وما الذي أقول في ابن طريد رسول الله ولعينه لقد أخطأ خطيئة أطبق بها السماء علىٰ الأرض بتوليته إيّاك علىٰ رقاب المسلمين فويل له من ديّان يوم الدين.

قال: دع عنك هذا فما تقول فيّ أنا؟

فقال: ما عرفتك إلاّ عادلاً قاسطاً.

فقال الحجّاج: قاتلك الله من رجل كأنّك أردت قول الله تبارك وتعالىٰ:

﴿الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور ثمَّ الذين كفروا بربهم يعدلون﴾(١).

فقال: هذا أردت يا حجّاج!

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١.

قال: وكأنك أردت قوله عزّ وجلّ: **﴿وأمّا القاسطون فكانوا لجهنم حطباً﴾**[1].

قال: هذا أردت يا حجّاج.

فقال الحجّاج: أخرّوه فأخرّوه فضربت عنقه صبراً.

ثمَّ أقبل على الآخر فردّ ما كان يعتقد صاحبه فأمر به الحجّاج فأطلق من قيده وكساه وأحسن إليه.

ثمَّ قدّمت إليه امرأة من نساء الخوارج وكانت من المتكلّمات يقال لهّا أمّ علقمة.

فقال لها الحجّاج: يا عدوة الله! الحمد لله الذي قتل أباك وأخاك وزوجك.

فقالت: نعم الحمد لله الذي قدّمهم إلىٰ الجنّة وأخّرني بعدهم وقد علمت أنّه لم يؤخّرني إلاّ لذنب عظيم قد أتيته.

فقال الحجّاج: لأفعلن بك ولأفعلن!

فقالت: ويلك يا حجّاج! عليّ تبرق وترعد! والله لقد خفت الله خوفاً جعلك في عيني أصغر من الذباب.

وجعلت أمّ علقمة تكلّم الحجّاج وهي منكّسة الرأس.

فقال لها الحجّاج: إرفعي رأسك وانظري إليّ.

فقالت: إنّي لأكره أن أنظر إلىٰ من لا ينظر الله إليه.

فأمر الحجّاج بقتلها فكانت السيوف تأخذها وهي تقول: لا حكم إلاّ لله حتّىٰ بردت.

هذا مختصر أردنا إيراده في تضاعيف هذه المحاولة لنرىٰ من خلاله شخصية هؤلاء المارقة من خلال ما إعتقدوا وثبتوا علىٰ ما كانوا يعتقدون ثمَّ شخصيتهم عند المنازلات والمناوشات والحروب الّتي خاضوها من أجل أن يبقوا حركة في الواقع لها قيمومتها التي انتزعوها من أفكارهم وما كانوا يتبنون.

---

(١) سورة المدثر: الآية ١٥.

وشاء الله أن لا تطول هذه الردّة ويطغىٰ لهم موج وتعظم لهم قضية ذلك أنهم نتوء فاسد مضّر لو إستشرىٰ في جسم الأمّة لإنحرفت إنحرافاً شديداً وخرجت عن الدائرة الّتي يريدها الله لها أن تكون فيها لتبلغ المكان السامق والرفعة والعظمة من بين أمم الأرض.

فقد هيأ لهم المهلّب ومن أمثاله فاستأصلوا جذورهم وقطعوا عليهم الطريق وإن نحن ندرك أنّ اشتغال الأمويين والعبّاسيين بهم أدىٰ إلىٰ إغماضهم ولو قليلاً عن أهل البيت عليهم السلام وروّاد مدرستهم.

لأنّ الأمويين لم يكونوا بالذين هم أحسن من الخوارج إن لم يكونوا أسوء بكثير إلاّ أنّ الخوارج زاحموهم في سلطانهم فكان الجواب لهم منهم هذا الذي رأيت.

موضوعات الكتاب

١ ـ الناكثون


مكتبة الروضة الحيدرية
الرقم ٦٩٦٦٩٠
التاريخ ٢٥/٩/٢٠٠٨

مجمع البحوث الإسلامية
بيروت - لبنان